د. خالص جلبي في أولى حلقات مكاشفاته:

لو استثمرت الولايات المتحدة الـ٢٠ مليار التي رصدت لضرب العراق في العالم العربي لكسبته دون حرب

* **مشكلة الإخوان المسلمين والأحزاب عموماً أنها مصانع تعليب ولا تمارس النقد الذاتي**
* **التوجه الجديد لسلمان العودة والقرني والحوالي في نبذ العنف سيقدم الكثير**
* **أضحك من كلمة انبهار بالغرب فالموضوع ليس انبهاراً بقدر ما هو إقرار بالحقائق.**
* **أنا الذي اكتشف جودت سعيد وهو غير حريص على اصطياد الأتباع**
* **أنا مرتاح في عملي بالقصيم ولا أواجه أية مضايقات**
* **نعم، هناك تأثير لزوجتي ليلى سعيد في توجهي الفكري ولكن..**
* **إذا لم يلتحم الوعي مع الإخلاص كانت النتيجة إما لا عمل أو تهوراً**
* **نشأت في بيئة بها تنوع ضمن شرانق تتبادل الكراهية المبطنة والريبة**
* نشر الحوار في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٨/ ٨/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٨ نوفمبر ٢٠٠٢ م

بين يدي مكاشفات

هل صحيح أن الصحوة الإسلامية وخصوصاً الحركية منها تكرر وتجترّ أخطاءها، دونما عظة أو درس من حوادث الأسلاف؟ ذات الخطأ الذي وقع فيه الشيخ أو القيادي أو الجماعة نرصده يتناسل على تعاقب حقب التأريخ القريب والبعيد متكرراً بسذاجة على تعدد رقع الجغرافيا..

تلجلج هذا السؤال بنفسي - وما يزال للحظتي يطرق رأسي بقوة - وأنا خارج من لقاء ضيف مكاشفات لهذا العدد وقد أمضيت خمساً من الساعات المتصلة في حوار لا يملّ بين يدي مفكر يأسرك بتدفق الأفكار والمعلومات والتأريخ والبراهين العقلية، يستحضر كل ذلك من ذاكرة ملأى وممتدة، متكئاً إلى ثقافة عميقة وقراءات واسعة في الفلسفة والعلوم الشرعية والمنطق والرياضيات وفنون عديدة..

وصلنا في الوقت الذي حدده لنا صاحب الكتاب الأشهر "النقد الذاتي" إلى شقته الواقعة بسكن الأطباء في مدينة بريدة، وكان في استقبالنا - أنا وصديقي الأحبّ يوسف القاسم - زوجة ضيفنا الأخت الفضلى ليلى سعيد، التي حضرت معنا اللقاء كاملاً، وأكرمتنا ببعض المداخلات التي أضفت على جو المكاشفة شيئا من التنويع والعمق.

بإيقاع شامي مميز ومحبب للأذن التي تعشق تلك الفصاحة العربية التي يمتلك ناصيتها إخوتنا في الشام كان د. خالص جلبي يجيب على أسئلة "مكاشفات"، والكلمات تنبعث من فيه آسرةً وسلسلةً لا تملك إلا أن تسحر أمامها، دعك من تلك الابتسامة الوادعة حيناً والساخرة دوماً - حسب سؤالي - التي ترافقه وهو يجيب بكل الهدوء والثقة ما خلا سؤالين أو ثلاثاً انفعل معها. بيد أن "الاستطرادات الطنطاوية " أدركت ضيفي - ولا أدري أهي لازمة في طبع إخوتنا الشوام أم إنها

حالات فردية - فتطول الإجابة في أحايين كثيرة، وأحتاج لأن أنفك من سحر الكلام وأنتبه كي أقطع على د. خالص استرساله الأخّاذ، وأدمغ اللقاء بطابع مكاشفات عبر جدال لا بدّ منه..

يبقى أن ننوه - للأمانة الصحفية - أننا اضطررنا الى حذف بعض الأسئلة وإجاباتها نظراً لطول المكاشفة من جهة، وإلى كمية الصراحة التي أترع بها ضيفنا اللقاء، ما جعلنا نتحفّظ على بعض الإجابات التي لا تحتملها المرحلة ولا الصحيفة، غير أننا أبقينا على الأهم من بوحه وذكرياته وكل رؤاه الفكرية التي كانت عليها ملاحظات من معارضيه..

بدأنا كعادتنا في سبر تأريخي لمسيرة الضيف عبر مراحل طفولته وصباه وبداياته وظروف التنشئة الاجتماعية التي ترعرع من خلالها، ومراحل التكوين الفكري، وتلكم الشخصيات والقراءات التي تأثر بها، زاعمين أن تلكم مفاتيح مهمة للوصول إلى فكر الضيف وفهمه على وجه دقيق، وهو ما يؤكد عليه كثير من الأحبة المتابعين لمكاشفات رغبة منهم في معرفة الخلفيات التي لا تظهر عادة إلى الواجهة..

عرّج بنا الضيف إلى حوادث الإخوان المسلمين في الشام بشكل مفصّل، وتحدث عن تجربته معهم بنقد لاذع شهر به ضيفنا لتلك الحركة وغيرها من الحركات الإسلامية. وبودي هنا أن أنوه في هذه المساحة إلى ضرورة دراسة تلك المرحلة والتجربة المأساوية من لدن رموز وقيادات الصحوة الإسلامية برؤية موضوعية جادة ونقد صريح متجرد يروم الفائدة والعظة، والالتفات إلى الأسباب الحقيقة التي أدت لتلك الكارثة التي ما يزال يلعق جراحها إلى اليوم جميع عناصرها الذين تفرقوا أيدي سبأ بعد خاتمة تراجيدية مؤلمة..

ولا أدري أكانت مغالاة فئة صغيرة - وهو ما يتكرر دوماً في كل مرحلة وزمن - وانحيازها إلى فكر أحادي صرف وقراءات تحتاج إلى دهاقنة الفقه وأساطين القراءة السياسية والاجتماعية كي يفتوا في قضايا عظيمة، كالتي جرؤت وجازفت

تلك الفئة على تنفيذها بطفولة سياسية مضحكة؟. أم أن الأمر يتجاوز ذلك إلى ظروف لا ندري ماهيتها وطبيعتها، وهو ما أتركه للمتابعين والراصدين لتلك الحقبة والأحداث..

نترككم مع الحلقة الأولى من مكاشفة د. خالص جلبي المفكر السوري المعروف غير ناسين تذكير أحبتنا في قراءة متأنية لإجابات وحجج ضيفنا حيال الاتهامات التي كلناها له، وقد جمعناها من مصادر شتى، لم نتعب كثيراً فيها بسبب كثرة خصومه الذين ردوا على أطروحاته الفكرية الحادة بشكل عنيف، التي تفنن في تنويعها واستفزازاتها..

متيحين بكل أريحية المداخلات والتعقيبات التي تأتي ضمن إطار الموضوعية والنقاش المتسربل بأدب الإسلام، وهو ما نزهو به حقيقة ونفخر في قراء الرسالة.

عبدالعزيز قاسم

*****

دعنا، بدايةً، نشكر لك استجابتك، ونرجو، كعادتنا في مكاشفات، أن تعطينا إضاءةً عن نشأتك في سورية ومراحل الطفولة والبيئة الاجتماعية التي نشأت فيها؟

* أنا من مواليد مدينة القامشلي عام ١٩٤٥م (أي أن عمري الآن ٥٧ سنة) درست هناك كل المراحل، الابتدائية والمتوسطة والثانوية، بعد ذلك توجهت إلى دمشق حيث درست في كلية الطب بالإضافة إلى علوم الشريعة. درست في مدرسة تسمى مدرسة الحمدانية، وكانت خلال المدة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٧م.

أصدقائي هم الكتاب والطير والشجر

سبق للشيخ علي الطنطاوي أن أبهجنا وأبهرنا بحديث ذكرياته عن الشام ولا ننسى تصويره الساحر لأجواء الشام والأحداث وقتئذ، ولكأنما كنا نشاهد عياناً في ذكرياته الغوطة وجبل قاسيون وبردى، فتضاعفت محبتنا للشام وأهله. حبّذا لو أمتعتنا كذلك بما علق بذاكرتك من مدة طفولتك هناك.. وخاصة ما يتعلّق بالطفل، آنذاك، خالص جلبي؟

* نشأت في بيئة غير متدينة، والدي لم يكن يؤدي الصلاة، ولا حتى صلاة الجمعة، لم يسبق لي أن رأيته يفتح المصحف أو أي كتاب آخر، بيتنا لم يكن فيه علم، ولا حتى تشجيع للعلم، عندما أجلس وأراجع نفسي أتعجب من شدة حبي للعلم منذ الصغر، منذ أن كنت في الصف الثاني الابتدائي (كان عمري حوالي ٨ سنوات) كنت آخذ من مصروفي اليومي وأذهب إلى مكتبة قرب دكان والدي وكنت أشتري قصصاً، وما زالت عالقة في ذهني من تلك الأيام مسرحيات شكسبير. كنت منذ الصغر أحب القراءة، صداقاتي كانت مع الشجر والطيور والكتاب. ولا يعني هذا أنه لم يكن لي أصدقاء ولكنني كنت أستأنس بالطبيعة فآخذ كتابي وأدرس وأحفظ تحت ظل الطبيعة، وكنا نسميه (بالجول) الجيم مثلثة النقاط. وكما ذكرت لك لم تكن بيئتي بيئة دينية. كما أننا نشأنا - وأنا الثاني وسط ستة ذكور وثلاث إناث - في بيئة عربية مخلوطة بالتركية. والدي عربي من ماردين في تركيا، ووالدة والدتي تركية من مدينة سامسون على البحر الأسود، أما والدتي فولدت في دمشق تحسن القراءة والكتابة بالتركية ولا تحسن اللغة العربية، وتحسن الضرب على العود. ولعل منها نشأ حبي للموسيقى، ففي بيتي موسيقى لغات العالم أجمع تقريباً من الشرق والغرب. وفي قناعتي أن كارثة أصابت الشرق بعدم تطوير الفن. ويجب أن نطور فرقاً موسيقية كما فعل الإيرانيون فأبدعوا في إنتاج موسيقى إسلامية هادفة.

موسيقى العالم دكتور. ما شاء الله لا قوة إلا بالله، بودي هنا إعطائي وقارئي نبذة عن مدينة القامشلي هذه التي نشأت بها..

* هي مدينة تقع على حدود تركيا تماماً، وهي الزاوية الشمالية الشرقية من سورية، ونحن فيها مزيج عجيب، وبها خليط غير معقول من الناس يتحدثون حوالي ثماني لغات، وبها كل الديانات تقريباً، وبها كل الطوائف المسيحية، ولكل طائفة مدرستها وكنيستها، وهي مدينة جامعة وخليط فيها من كل التيارات من قوميين وعلمانيين وشيوعيين وبعثيين ومتصوفة. والتصوف له طقوسه التي لا تصدقها إلا إذا رأيتها بعينيك، إذا ما جاء أحد الشيوخ فإن التابع تصيبه رعدة وتشنج عصبي ويدخل في حالة عجيبة حيث يبدو وكأنه مصاب بالصرع.

فسيفساء أثني وديني

في هذا الجزء دكتور. دعني أستأذنك لأبدي وجهة نظر شخصية، وأزعم أن أحد مفاتيح شخصية وفكر خالص جلبي الحالي، تتجلى في هذه النشأة وفي وسط هذا الفسيفساء الإثني والتنوع الديني والعرقي فضلاً عن زواجك من شركسية. ألست معي بأن هذه البيئة المنوعة كان لها بالغ التأثير في دعوتك للتسامح والسلم واللاعنف التي اشتهرت بها؟

* لا، أبداً. لم يكن للبيئة سبب في التحول العميق في حياتي بل كان هذا التنوع ضمن شرانق تتبادل الكراهية المبطنة والريبة. وأنا عندما أتذكر مدينتي التي ولدت فيها لا أحب الرجوع إليها أو أسكنها، ودمشق أحب إليّ - في حال الخلاص من وضع الاختناق السياسي - أن أسكن المدينة التي سكنها وأحبها ابن تيمية ومات في سجنها أعني الإمام ابن تيمية الذي تحتفظ تراب دمشق قرب مشفى التوليد مقابل الجامعة ببقاياه مع تلميذه ابن القيم الجوزية. ولقد مررت يوماً على قبرهما أثناء البناء حول قبرهما فأصبت بنوبة خشوع وأنا أتذكر التاريخ وجهاد الرجل وثوريته في تلك الأيام.

✍ ألم يكن لتلك البيئة أي تأثير دكتور، ولو طفيف، في اللاشعور على الأقل بتعبير علماء النفس؟

* لا، هناك ثلاث مراحل في حياتي: المرحلة الأولى عندما كنا أطفالاً حيث نشأنا وسط تلك البيئة، فلم نشعر بالتميز عن أقراننا، وكان شرب الخمور اعتيادياً في محيطنا. وأنا ذقت البيرة مرة واحد في حياتي وكان ذلك في عرس خالي، وشعرت أنني سأموت وقمت ليلاً فتقيأت، وبعدها لم أذق كحولاً في حياتي. أما المرحلة الثانية فكانت التدين التقليدي، أما الثالثة فكان الانفكاك عن التقليد.

العمل الحزبي

✍ أتصور أن مرحلة التكوين والثانوية كانت مرحلة ثرة. هل قادتك تلك المرحلة إلى الانخراط في العمل الحزبي؟

* هذا صحيح فقد كانت هذه المرحلة خطيرة جداً في حياتي، وهنا بدأنا نتحرك مع الإخوان. كان ذلك في نهاية المرحلة الثانوية في المدة من ١٩٥٨ - ١٩٦١م. حيث استطاع الإخوان اصطيادنا وكانوا أكثر أهل الساحة وعياً هم وحزب التحرير، ولكن لم يكن لجماعة التحرير نشطاء في القامشلي. كما أننا بسبب روح التحزب والتعصب انعزلنا عن باقي التيارات، فدخلنا شبكة الإخوان وانضممنا إلى التنظيم السري الداخلي. واستمر هذا حوالي ثلاث سنوات؛ السنة الأخيرة من الثانوي والسنتان الأوليان من الجامعة ثم افترقنا كما يقال جنتلمان. وقبل الانضمام للإخوان بدأنا نشتغل وحدنا وأسسنا حركة أطلقنا عليها اسم (شباب محمد)، وكان معي أخي الأكبر سناً وصديقان آخران، وكنا نشطاء جداً، وبدأنا نوزع منشورات في المناسبات الدينية مثل المولد النبوي الشريف وعاشوراء وذكرى الإسراء والمعراج وغيرها. بعد ذلك بدأنا نطوف على المساجد وكنا نخطب في المصلين، وأنا كنت أتحدث في المساجد في دروس دورية وعمري ستة عشر عاماً، وذهبت للمسجد الكبير وبدأت ألقي دروسي

فيه، كنت أقف عند المحراب وألقي الدرس قبل صلاة الجمعة، كنا نعظ الناس في المساجد، وهذا النشاط كان مستقلاً وغير مرتبط بحزبٍ معين. كانت أياماً جميلة، والآن تغلق المساجد بعد الصلاة مباشرة، وانتهت تلك الحقبة إلى غير رجعة. ولا ينطق أحد بدرس وسواه إلا بموافقة أمنية أي يجب أن يكون مجنداً عند المخابرات. وأيادي فروع الأمن امتدت إلى كل شيء، ولو كان فتح دكان أو أخذ وظيفة زبال. وما زلت أتذكر تلك الأيام وأنا أصلي خلف الإمام فأستمتع بتلاوته من القرآن. وبعد صلاة العشاء كان يقرأ سورة تبارك، فتسبح روحي مع معاني المطلق وتسيل العبرات. كنت أجد متعة كبيرة في الاستماع لهذه الآيات، وبدأت أحفظ الآيات والسور من الإمام مباشرة مثل ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ أذكر أنني حفظت هذه الآية من الإمام، وكذلك قوله تعالى ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾، وبدأت أحفظ الآيات، وزاد المحفوظ حتى أنهيت حفظ القرآن الكريم، واستغرق ذلك مني حوالي ست سنوات. بعد ذلك بدأت في اكتشاف كتب التراث والاطلاع على العلوم الإسلامية التقليدية. كانت حقبة تأسيسية مهمة.

كنت طالباً كسولاً في المرحلة الابتدائية

اعذرني لهذا السؤال دكتور: هل كنت متفوقاً، كذلك، في دراستك؟

* لا لم أكن طالباً متفوقاً في المرحلة الابتدائية، والانقلاب النوعي حصل في المرحلة المتوسطة، عندما قفزت إلى الصدر، وحافظت على هذا المستوى من التفوق حتى نهاية الطب. كنت لا أحب مادة الرياضيات وكسولاً فيها في المرحلة الابتدائية، وكان والدي يحل لنا المسائل ولا يفهمنا إياها، فكنت أحفظ الحل عن ظهر قلب، وأما إذا أخرجنا الأستاذ إلى اللوح فكانت مصيبة. والانقلاب النوعي لدماغي وتفوقي كان على يد أستاذ شيوعي وهنا وجه المفارقة. فالرجل كان يأتي إلى الصف فيطلب الكتاب. قال لي زميلي رحمه الله عبدالكريم حنون: هل

تريد أن يهتم بك الأستاذ؟ قلت: نعم. وكان صديقي هذا من عائلة من الإخوان المسلمين والحزبيون يشمون بعضهم مثل القط والفأر، فكانوا في عداوة مخيفة، وكانوا يعرفون أنه شيوعي وكانوا يعرفون أن الاتحاد السوفيتي ناشط في إرسال المجلات الشيوعية للمنطقة. قال لي عبدالكريم حنون: خذ مجلة شيوعية عليها أعلام الاتحاد السوفيتي وغلِّف بها كتاب الجبر أو الهندسة، وعندما يدخل الأستاذ الصف فيسأل عن الكتاب ناوله الكتاب بسرعة فتكون نوعاً من الرسالة الخفية أنك مهتم بحزبه والشيوعية أو ربما يظن أن والدك شيوعي. ونجحت الخطة في قسمها الأول. سألني الأستاذ: ما هذه الأعلام؟ أجبت متظاهراً بالمعرفة وبشيء من الفخر. إنها أعلام الاتحاد السوفيتي أستاذ. وبدأت الرحلة وأما النصف الثاني فكنت لا أحسن جدول الضرب. فبدأت أبذل جهداً كبيراً لتعليم نفسي، وهكذا فإن المدرِّس الشيوعي كان سبباً في قدح شرارة المعرفة عندي، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

مرحلة الثانوية

لنبدأ الحديث عن مرحلتك الثانوية، أيّ الأحداث فيها ما زالت مضيئة في ذاكرتك المتخمة والمليئة..

* لقد شطَّبت على البيئة التي خرجت منها، حتى الزواج من المنطقة التي أنا بها، عندما كنت أتصور أنني سأتزوج منها أُصاب بالقرف والتقزز. خلاصة القول كنت طالباً متفوقاً، وفي الصف العاشر كنت الأول على شعبتين. وفي فحص التوجيهي كانت نتيجتي الأول على المحافظة. ومن عجيب الظروف أنني اعتُقلت قبل الامتحان بشهرين. وكان ذلك أول اعتقال في حياتي ولم يكن الأخير. بل ستلحقه ثلاث اعتقالات أخرى قبل اتخاذ القرار بمغادرة الوطن المستمرة حتى اليوم. ولا أظن أنني سوف أستقر فيه فلم يعد وطناً. والناس فيه تعيش من أجل أن لا تعيش. بعد أن تحوَّل إلى سجن كبير وإذلال وفقر دون حدود. لقد تغيرت

الشام يا صديقي وصار عاليها سافلها. قد ينفع أن يموت فيها الإنسان، أما العيش فليس بحال، فقد تحولت إلى مقبرة وحفار قبور وقبور تبلع.

وماذا كان سبب الاعتقال؟ هل كان يتعلق بحوادث حماة؟

* كان السبب هو أنني كنت ذا توجه ديني ونشيط، وقد وقعت أحداث حماة عام ١٩٦٢م وكان ذلك في بدايات قدوم البعثيين للحكم، وكانت المدة التي سبقت تلك الحقب من أجمل أيام الحياة السياسية في سورية، ولا أظن أن الزمن سيجود بمثلها، وهي حقبة الانفصال ودامت سنتين حيث كانت الصحافة حرة والأحزاب من كل التوجهات تعمل وتتحاور وكانت الحياة أكثر حرية وأمناً. وأذكر أنه في عام ١٩٦٣م كان هناك شاب إسلامي اسمه مروان حديد وكان مهندساً زراعياً. وبالمناسبة فالحمويين متدينون ومحافظون، ولا يوجد تغطية وجه في مكان بشكل مكثف مثل حماة وربما بعدها حلب.

مروان حديد وخالص جلبي

دعني أقاطعك هنا وأتوقف قسراً عند هذه النقطة، لأن ثمة مفتاحاً آخر أزعم أنني سأغنم منه، ما هي طبيعة علاقتك بمروان حديد. فمن المعروف عنه انتمائه للجناح المسلح الإخوان المسلمين بسورية، وهو كان يمثل صوت الصقور في ذلك التنظيم؟

* نعم. مروان حديد كان رأس التنظيم المسلح ونقطة اندلاع أعمال العنف. كان رحمه الله بقدر كثافة إخلاصه بقدر تدني وعيه التاريخي. كنت أشبهه أن الموت لو كان على شكل رجل لخاف من مروان. كان بطلاً من أبطال الإسلام ولكن مصيبة على سورية بالوقت نفسه. وإذا لم يلتحم الوعي مع الإخلاص كانت النتيجة إما لا عمل أو تهورا. ولكن يجب أن نوضح هذا الأمر لخطورته وأمانة للتاريخ. لقد كانت تدور بيني وبين مروان نقاشات عديدة، وكان يقول لي ماذا تفعل أمام الآية القرآنية ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾. وكان جوابي أن اقتطاع آية من سياق لا يغني من الحق شيئاً بل يجب فهم الأحداث والآيات على نحو جدلي فكل حدث في علاقة جدلية بين ما قبله وما بعده. وكل حدث هو نتيجة لما قبله وهو سبب لما سيأتي بعده. الحق أننا كنا يومها شباباً متحمساً أكثر من كوننا مزودين بوعي محصَّن، والأهم لم نكن ملقَّحين ضد العنف. أما مروان حديد فمات تحت التعذيب في سجن المزة العسكري. وأخرج إلى المشفى في أيامه الأخيرة وهو الرجل العظيم، فخرج وكأنه هيكل عظمي وقيل إن وزنه كان ٤٠ كغ، قفص عظمي شاحب يجر أقدامه باتجاه الموت. ومات في المشفى دنفاً عاجزاً وهازلاً، وهذا الكلام حدث عام ١٩٧٦، وأخطأ الحاكم خطأ قاتلاً بقتله. ولكن الديكتاتورية تخنق كل أمل وكل نفس ولا يمكن أن تحاور، وهكذا عشنا ويبدو هكذا سنموت. إلا أن موته فتح باب جهنم وبدأت الاغتيالات التي تكللت في النهاية بقتل أكثر من عشرين ألفاً في حماة في ما يشبه حرب داحس والغبراء.

وأرجع إلى أيام اعتقالات القامشلي الأولى وكان ذلك عام ١٩٦٤م وكان مروان حديد ومن معه قد تحصَّنوا في مسجد السلطان في حماة، وتحدوا الدولة وتسلقوا المنارة وبدأ بعضهم في إطلاق النار على الجنود الذين ردوا عليهم، فقتلوا من قتلوا، كنت حينها في القامشلي وكنا على وشك الامتحانات، فأخذونا من الشارع إلى أقبية المخابرات، وكان بناءً بسيطاً خلافاً للمنظر الديناصوري للأبنية الأمنية التي اكتشفتها عام ١٩٩١م عندما دخلت البلد من جديد. فهذا هو التطور الذي أنجزه البلد. ولا يشتغل شيء في البلد بدقة ناسا للفضاء وأسرع من الإنترنت سوى الأمن. وأما الخدمات الأساسية فأتعجب أحياناً كيف أن التلفونات أو الكهرباء تعمل؟ المهم عام ١٩٦٤م أخذوا كل إنسان متدين أو له نشاط إسلامي، وكانت المخابرات في أوج نشاطها، وكما تعلم فإن البعث قد بدأ بداية دموية. تصور أن مدير المدرسة كان يتجول في المدرسة وهو يحمل

مسدساً!! وقد اعتدى مرة على أخي رياض وضربه ضرباً مبرحاً لا لذنب جناه، بل بسبب توجهه، وفي نوع من إرهاب للطلبة والمدرسة. دخلنا قبو الاستخبارات العسكرية وأفرج عنا بعد أسبوعين وكانت وقتها أياماً بسيطة، ولم نكن نتصور أن أياماً ستأتي يؤخذ فيها الفرد فينام في أشد ظروف السجن صعوبة ولمدة تتراوح بين عشر وعشرين سنة فهذه لم نعاصرها بحمد الله ولم ندخل أتونها.

✍ ***للأسف وأقولها بكل مرارة أن الحركات الإسلامية والتنظيمات والأحزاب على امتداد العالم العربي لم يستفيدوا أبداً من هذه التجربة الأليمة في تعاملها مع أنظمتها، وما زالت القيادات لتلكم التنظيمات تجترّ هذه الأخطاء ويدفع ثمنها الشباب، عموماً دكتور واضح جداً أن تجربة الاعتقال هذه شكلت جزءاً مهماً في بناء شخصيتك في ما بعد..***

* كنت شاباً صغيراً، وكنت على أبواب الامتحانات كما قلت لك، وقد بنيت حياتي على أنني سأدخل الجامعة، وحدثت الأحداث وأخذونا إلى السجون، دعوت الله أن يساعدني واحتسبت تعبي الذي ضاع، كنت في المعتقل لا أستطيع مذاكرة المواد، وخشيت من الرسوب وعندما أفرج عنا استعددت في مدة ٤٣ يوماً ونجحت، وكان ترتيبي الأول في المحافظة. بعدها انتقلت للدراسة الجامعية في دمشق. عندما وصلت إلى دمشق تأكدت أن هذه هي البيئة التي كنت أبحث عنها، حيث إنها بيئة مسلمة متجانسة ومليئة بالعلماء، دمشق مدينة كبيرة وبها انفتاح عقلي، وقد تعرفت فيها على مشايخ وعلماء وحلقات دراسية، في دمشق واصلت مسيرة التفوق وأخذت في سنتين متتاليتين مكافأة من الجامعة بسبب تفوقي، وكان المبلغ ٨٠٠ ليرة، وكانت تكفي للعيش ستة أشهر. وبالمناسبة هذا المبلغ الآن يعادل خمسين ريالاً. فانظر إلى أين أخذتنا الأنظمة الاشتراكية. ومن جديد في دمشق اعتقلت فيها ثلاث مرات، لا لشيء سوى أفكاري التي نقموا منها ونشاطي الإسلامي وتمردي على البيئة. كان الاعتقال الأول في أحداث

المسجد الأموي عام ١٩٦٥م، وكدت أقتل فيها. حيث اقتحموا المسجد وبدؤوا بإطلاق النار، ورأيت جثة ضابط حمصي وضع خصيصاً أمام الباب، وكانوا يدفعوننا بقوة، فكنا نقفز، فنطأ الجثة، وكنا بالآلاف، وأنا قفزت فوق الجثة، فلم أطأها بقدمي. وكان هذا اليوم من أيام شهر رمضان، وحشرونا في المسكية، وهي مكان ضيق بين المسجد الأموي وسوق الحميدية، وكاد شاب صغير جميل الصورة دمشقي يختنق أمامي، فأنقذته، ورفعته للأعلى؛ ليتنفس، ومر علينا ضابط يدخن وينفث دخان سيجارته في وجه الصائمين قصداً. كانت أيام جنون.

المرحلة الجامعية

✍ ***محطة دمشق، وفي مرحلة ذروة الشباب. لا بدّ أن بها أحداثاً كبيرة دكتور، ولتأذن لي بسؤالك بداية: هل ارتبطت في دمشق بالإخوان المسلمين؟***

* في هذه المرحلة صادونا (قالها ضاحكاً) حيث اتصلوا بنا في المرحلة النهائية من دراسة الثانوية، وأدَّينا (البيعة)، وعندما وصلنا إلى دمشق استقبلنا المسؤول الحزبي، وأظنه قتل في الأحداث هكذا نقل لي. كنا ثلاثة من أدى البيعة لشيخ الإخوان في القامشلي أنا وأخي رياض وثالث هو توفيق بركات وقد مات في الأحداث غالباً. حيث اعتقل لاحقاً في بيروت وحدثني من أثق به أنه ضرب حتى الموت في سجن تدمر الذي يحوي مقابر جماعية تذكِّر بأحداث البوسنة رحمه الله تعالى. وفي القامشلي حذَّرني عمي زكي جلبي رحمه الله، وكان ذكياً أفضل من تثقف في العائلة، قال لي: أنا دخلت الأحزاب، وأعرف عملها وهم يضعونك سلماً يصعدون على ظهرك فتجنب الأحزاب. فلم أسمع كلامه؛ لأنني لم أكن أثق به. واعتبرت أن كلامه نوعاً من الفوقية التي كان يتحدث بها للعائلة عادة. وباعتبار الرجل كان غنياً وفيه قدر من الترفع والاستعلاء علينا، فلم أسمع كلامه، ولكنني ما زلت أتذكر كلماته. واليوم عندما أستعيد الذاكرة أتساءل: هل الأفضل لي لو لم أدخل أي تنظيم أو الأفضل هذا (ما أنا عليه

الآن) حتى لا تخفي عليّ خافية. المهم صرنا حزبيين ومن وقت مبكر، وانخرطنا في التنظيم السري الداخلي للإخوان. وفي الجامعة كانت حلقتنا الحزبية مكوَّنة من خليط من الحمويين والحماصنة، وجاءنا مدرِّس رياضيات دمشقي ذو شخصية مرحة ليتولى توجيهنا الثقافي، وكان اللقاء الأول لي حاسماً لأنه لم يحضِّر بحثه جيداً، وكان الفصل الأول من كتاب المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم عن مصطلح الإله ولم يكن قد حضَّره جيداً، في الوقت الذي عكفت أنا على دراسة البحث خمس ساعات على طريقتي في تبيّنٍ وهضمٍ للأفكار الجديدة. المهم رأيت في نشاط الإخوان أمراً محدوداً، ورأيت نفسي في وسط دمشق أنه يمكن عمل أشياء كثيرة، وهكذا انطلقت مثل السمكة التي تكتشف المحيط، وقمت أنا بنفسي بتشكيل العديد من الحلقات بالإضافة إلى النشاط الدعوي في القرى المحيطة بدمشق. وفي مدة قصيرة عرفت أن ما أقوم به من نشاط لا يتناسب مع نشاط الإخوان السري، فهم لا يحبون النشاط العلني، وبذلك بدأت الفروق بيننا تتجلى تدريجياً وزاد الشق لعدة اعتبارات حركية وفلسفية فكرية مما أدى بنا إلى التباعد عن بعض وبشكل تدريجي ودون صراع، وودعت الإخوان بعد عملي معهم في الجامعة بحوالي السنتين. مشكلة الأحزاب واحدة هي أنها مصانع تعليب ولا تمارس لعبة النقد الذاتي، وهذا ينطبق على الإخوان كما ينطبق على الشيوعيين والبعثيين وسواهم، وهو الذي جعلني أكتب لاحقاً كتابي في النقد الذاتي. كان الإخوان يصرُّون على عمل تنظيمات سرية تحت الأرض، وكان لهم نشاط في الجيش وكانوا يرجون أن يقوموا بانقلاب عسكري. الكوارث التي تحدث الآن هي تراكمات قديمة. وكانوا يركِّزون على أن يكون عملهم تحت الأرض حتى لا يعرفهم أحد، وعندما ضبط حافظ الأسد التنظيم السري العسكري أعدم مائتين منهم في ساعتين. هكذا نقل لي ممن أثق به منهم رواها لي في ألمانيا لاحقاً.

ما بين سيد قطب وبيننا

✍ ***أزعم يا دكتور أنني غنمت كثيراً من هذه الذكريات ورصدك الدقيق لتلك الوقائع التي أقدمها للدارسين والأجيال من بعد، ودعني أتابع معك: من كان زعيم تنظيم الإخوان المسلمين في تلك المدة؟***

* إنك تسأل شيئاً خطيراً؟ لأنها أحزاب سرية. مثل فرق الشيعة والحشاشين السرية في التاريخ. ومعرفة القيادة يعني قطع رأس التنظيم خاصة وهي تعد العدة للإطاحة بالأنظمة. وهذا ليس مرضاً إخوانياً بل مرض إنسان المنطقة منذ أن امتشق معاوية السيف فقام بانقلاب مسلح. وكل التاريخ الإسلامي يروي هذه المأساة بشقيها أن الخلافة الراشدة ضاعت دون رجعة. وأن كل من أخذ السيف بالسيف أفني. سنة الله في خلقه. كان ذلك سراً بالطبع، مثل أئمة الشيعة المستورين. في تلك الحقبة كنت طبيباً في مرحلة التدريب، وعندما ذهبت إلى حلب، وبمجرد وصولي لاحظت أن هناك رجلاً يسعى للتعرف عليّ، وقد دعاني وتحدث معي حديثاً طيباً، وفيما بعد اكتشفت أنه زعيم تنظيم الإخوان في حلب، وعرفت أنهم في دمشق قد اتصلوا به وأخبروه عني.

المهم في الأمر أن التنظيم هو تنظيم سري والمعلومات عنه غير متاحة ولا يمكنك أن تعرف قياداته، لا سيما وأننا كنا شباباً مساكين. الحق أن هناك شخصيات فاضلة بينهم تمتلك التقوى والعلم وقد استفدنا منهم ووجدنا منهم كل خير. ولكن المشكلة ليست في الأشخاص بل كل التنظيم. فهي تقوم على الأبدية والطاعة غير المشروطة، ولا تمارس النقد الذاتي، والرئيس مثل البابا مدى الحياة. فضلاً عن الهشاشة الفكرية والضعف الفلسفي المنهجي. وتبقى العلة الحزبية الأولى أن الحزبي إنسان أعمى.

✍ ***هنا دكتور بودي أن أقف قليلاً معك وقد استمزجت حديثك ونسيت المهني فيّ. أصارحك بأن حديثك الفارط كان مركزاً بصورة كبيرة على السلبيات لتلك***

الحركة وهذا ليس من الموضوعية. أَلَمْ تكن ثمة إيجابيات تُذكر في تلك الحقبة من تاريخ الإخوان في سورية؟

* بلا شك فإنهم قد منحوا الشباب نوعاً من الهوية الإسلامية وعرفوهم على الفكر الإسلامي، الإخوان يمتازون أيضاً بالفكر الإسلامي المرن والواسع وهم يتميزون عن الصوفية والمشايخ، وهم حركة متقدمة، بغض النظر عن كون تنظيمهم سرياً أو علنياً فقد صارت لديهم حركة إسلامية، وكانوا يستقطبون الشباب المتدين، ولديهم شباب كثيرون متسلحون بشهادات علمية مرموقة في الهندسة والطب والصيدلة وغيرها. والذي كان ينقصهم هو جانب الدراسات الفلسفية، وتبني اللاعنف بشكل واضح، وممارسة النشاط العلني، والانفتاح على الثقافة العالمية. وهم اليوم قد تطوروا ولكن مثلهم مثل من يدرس معهد اللغة قبل أن يلتحق بالتخصص الفني في بلد أجنبي. أي إنهم بدؤوا يتعلمون نطق حروف المعاصرة والحداثة، وربما بعد نصف قرن يكونون قد تكيفوا مع العالم، ولكن العالم وقتها يكون في المريخ والفجوة التكنولوجية تكون قد بلغت سنة ضوئية. والمشكلة هي أنهم لم يوضعوا في البداية على السكة الحضارية وأنشؤوا أحزاباً أيديولوجية مثلهم مثل غيرهم مليئةً بالأخطاء الكروموسومية. واقرأ كتاب «معالم في الطريق» فصل الجهاد والحضارة وجيل الصحابة وفكرة القاعدة الصلبة الواعية يتبين لكم ما أقول ويعتبر سيد تطوراً نوعياً لم يتعمم في كل شرائح الشباب. فكيف بالنقلة النوعية التي أتحدث عنها للالتحام بمركبة الحضارة. لذا فالمسألة عميقة وكبيرة للغاية. إن مشكلة الأحزاب هي أنها تتحول من حزب حركي إلى طائفة، وكل ذلك كما ذكرت لك ناتج عن عدم وجود آليات النقد الداخلي التي تقوم بالتصحيح، وبذا ينعدم التطوير ومعه قتل النمو، فتضمر الحركات بأشكال شوهاء. والإخوان المسلمون انتحروا وانتهوا كحركة، وتحولوا إلى طائفة محنطة مثل الأسكيمو أو طائفة الآميش في

فيلادلفيا. ولكن اكتشاف حقيقة موجعة من هذا الحجم تشبه القصير الذي يحمل علة وراثية لا توجع، وقد يعالج القصر بلبس بذلة طويلة.

دعني أجادلك بأن هذا أمر يبدو عادياً في ذلك الوقت، خاصة وأن عدداً من التنظيمات السرية آنذاك، كالشيوعيين والبعثيين مثلاً، فعلوا الشيء نفسه؟.

* كلامك سليم. لكن ما الذي يترتب عليه؟ هذا المسلسل الطويل الدامي المتعثر المليء بحفر الفشل، فالكل فشل إخوان وبعثيون وشيوعيون وناصريون. إنها مأساة حضارة ميتة لا تضع يدها في شيء إلا وصادفت الفشل المزري. ويظن الإخوان أن البعثيين فشلوا، في وقت فشل الإخوان أمام من فشل من البعثيين، فهم أعجز منهم أضعافاً مضاعفة ولكنهم لا يعترفون لأنهم لا يمارسون النقد الذاتي كما ذكرت. وصدام حسين ما زال يكرر أنه انتصر في أم المعارك حتى لو دخل عليه الذل من كل باب. إن ممارسة النقد الذاتي تعني انقلاباً منهجياً في التفكير.

الولوج إلى عالم جودت سعيد

لنترك الإخوان والبعثيين والشيوعيين ونأتي إلى خالص وقد ترك الإخوان المسلمين وتخرج طبيباً من الجامعة. هل تأثرّت بشخصيات بعينها خلال تلك المسيرة؟

* نعم. هذا مهم. أثَّر فيَّ أخو زوجتي الأستاذ جودت سعيد كثيراً، كنت أحضر دروسه في مسجد المرابط، وما كنا ننتبه إلى نوع الأغاني الفكرية التي يغنيها، وكنا نشعر شعوراً غامضاً أنه عميق وأن توجهه غير تقليدي ورائع ورائد ولكن كنا مثل الذي ختم الله على قلبه ويحتاج للتخلص من التقليد أن يفتح عقله ليسمع، وهذا أخذ مني سنوات عدة قبل أن تبدأ مفاصل عقلي بالحركة، ولعل هذا يكمن في طبيعتي المتمردة حتى اليوم أنني أبدل أفكاري وأجددها دوماً. وجرت العادة أن من يقع في شباك الحزبيين لا يخرج منها أبداً.

طالما وصفت - بحميمية التلميذ لأستاذه - أن أفكار جودت كأغانٍ، بالتأكيد إنك انجذبت له؟

* نعم. وأهم ما في الرجل أنه لا يعرف في حياته إلا الفكر. وهو من الزاهدين ويعيش شهرياً على مبلغ خمسين ريالاً!

لكأني أستشف من حديثك الفارط وسردك لمسيرتك أنك لم تكن سلفياً في يوم من الأيام؟

* لا، كنت أميل للتصوف ولم أكن أميل إلى السلفيين...

هذا عائد إلى حبك الموسيقى (قالتها زوجته ليلى سعيد)؟

* نعم. في هذه النواحي ربما. بعدها اجتمعت بالشيخ جودت سعيد، وبدأنا نتحدث في موضوع العنف واللاعنف، وقد تبلور هذا الموضوع تماماً عندما اعتقلت للمرة الرابعة، وحسنا أن حدث ذلك الاعتقال لأن الأمور تبلورت عندي إلى درجة النقاء ولا تزال تزداد تألقا وأعرف اليوم أن عالم السلام كوكب قائم بذاته والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

بصراحة يا دكتور يخيل إليّ أن التحاقك بالشيخ جودت سعيد ربما كان ردة فعل نفسية منك بسبب ما قام به الإخوان تجاهك من تجميد لعضويتك، أكثر منه قناعة بفكره، على الأقل في البداية؟

* أنت تتكلم بما لا تعرف. لقد تركت الإخوان قبل أن أكتشف عالم جودت سعيد. بكلمة ثانية أنا الذي اكتشفه. ولست بالتلميذ ولا الملتحق بمدرسة كما تقول بل المشارك. وجودت غير حريص على اصطياد الأتباع بقدر تفجير البنى التقليدية في تفكيرهم. فأنا لا أجلس على يديه أتتلمذ الساعات. بل كنت أناقشه في بعض الأفكار تحديداً لأكتشف فهمه للمواضيع. لقد تعرفت للمرة الأولى على جودت منذ حضوري للجامعة عام ١٩٦٤ م وكان لي نشاط شخصي مستقل،

ومن ضمنه نشاطي ضمن الإخوان، وهو ما يذكرني بعبدالناصر، فالرجل كان مرتبطاً بعدة نشاطات من منظوره الخاص. وهذا الذي كان مني، فكان لي نشاطي الواسع ومنه نشاطي ضمن حلقات الإخوان المسلمين، ولكن نشاطي الأعلى كان منوعًا وأكبر بكثير من الإخوان، فهل استوعبت الموضوع؟ ثم مع الزواج من أخته اقتربت منه أكثر وفهمته عن كثب وعرفت أهمية دعوته إلى السلام. أذكر أنه عندما ذهبت إلى دمشق كنت أبحث عن الشيخ سعيد الطنطاوي لملازمته، وكان قد غادر دمشق وهنا تعرفت على الكثيرين ومنهم جودت وهو في الواقع مدرسة قائمة بذاتها.

✍ ***هل تعرّفت إلى الشيخ علي الطنطاوي في تلكم المدة، واعذرني بتكرار اسم هذا العلم بسبب أن أجيالا عدة في السعودية نشأت وقد حفر اسمه في ذاكرتها ووجدانها على اختلاف توجهاتها، ولن ننسى له تلك الطلّة الساحرة والاستطرادات العفوية على شاشتنا الفضية والملونة من بعد..***

* لا. لم أحظ بمعرفته معرفة شخصية، لكن عندما كنت في ألمانية سمعت أنه تحدث عني بحديث طيب. وقد أرسلت له أحد كتبي، أنا لم أقابله شخصياً لكنني قرأت معظم كتبه وهي كتب جيدة.

• بعت دراجتي النارية لأسافر لألمانيا

✍ ***متى تخرجت من كلية الطب؟ وهل ذهبت مباشرة إلى ألمانيا؟***

* تخرجت في العام ١٩٧١م. لكنني لم أذهب مباشرة لألمانية. وكان جيداً أنني لم أفعل. بعد أن تخرجنا بدأنا نبحث عن عمل، كان سوق العمل سيئاً.. والتهمت الكتب في هذه المدة ونضجت في ثلاث سنوات بشكل نوعي.

✍ ***طالما أختنا ليلى سعيد تحضر معنا هذا اللقاء (بالمناسبة أختنا الكبرى ليلى أصبحت جدّة كي أقطع الطريق على من سيشتبه عليه). أستأذنها في سؤالك دكتور عن بعض النواحي الشخصية بسبب أن لها علاقة في مسيرتك الفكرية. والسؤال: هل تزوجت بعد تخرجك أم قبله؟***

* تزوجت وأنا طالب عمري ٢٤ سنة، في السنة الرابعة بكلية الطب.

هل الشيخ جودت هو الذي اختارك لأخته؟

* أبداً. ما حدث هو أنني كنت أبحث عن زوجة لقد حدث هذا الموضوع بالصدفة.

اعذراني في سؤالي: هل كانت قصة حب جمعتكما أنت وأختنا ليلى قبل الزواج؟

* لا، على الإطلاق، فأنا تزوجت بطريق تقليدية جداً، لدرجة أنني لم أرها إلا بعد الزواج، وكانت والدتي هي التي ذهبت ورأتها.

بعضهم ممن اتصلت بهم وأنا في طور التنقيب والبحث في سيرتك قال لي إن ليلى سعيد هي أحد الأسباب القوية في توجه الدكتور خالص جلبي الفكري. هل هذا صحيح؟

* هذا في قسم منه صحيح والموضوع هي أنها بذور وجدت أرضاً مناسبة فنبتت بقوة، فأنا أشكرها وأشكر جودت على زرعهم بذور الحب والسلام في قلبي، وفوق كل ذي علم عليم. جاء بعدها مالك بن نبي لزيارتنا لمدة شهر فحصل معي انقلاب نوعي بلقاء الرجل.

كان ذلك من المنعطفات المهمة (قالتها زوجته)

* نعم فهو رجل فاضل، بالإضافة إلى أن شخصيته حلوة، كان ذلك في عام ١٩٧٢م، بعد ذلك اعتقلت ودخلت السجن قبل مغادرتي البلد...

دخلت السجن مرة ثانية؟

* بل مرة رابعة وأخيرة، واستفدت من تجربة دخولي السجن جداً، منها أنني قررت الرحيل من سورية وبصورة نهائية. ضربوني في المعتقل وكسروا أسناني منها الناب العلوي الأيمن ومع أنه انكشف فلم يلتهب إلا بعد خروجي من السجن بثلاثة أيام رحمة من الله. وتمتعوا بضربي في رجليّ حتى تورمتا فلم أتمكن من المشي شهراً. وضربوا أحد الإخوة ممن روى لي لاحقاً حتى صار عاجزاً عن المشي فخرج يزحف كالسلاحف. وكانت أيامنا في السجون نزهة نسبة لما حدث

لاحقاً؛ لأنهم أذلوا الإنسان السوري ذلاً ما بعده ذل. وأرعبوه إلى الحد الأقصى. وقتلوا المعارضة قتلاً. ويحتاج ترميم الأمة إلى جيلين أو ثلاثة. كان تعرفي على مالك بن نبي قبل دخولي السجن وسمعت نبأ وفاته ونحن في السجن بنزيف دماغي. وفي عام ١٩٧٥م غادرت سوريا والحمد لله كثيراً. ولم أستقر فيها حتى اليوم ولست حزينا ولا آسف أو نادم. فالله رب العالمين والأرض لله والمشارق والمغارب للواحد الصمد الباقي.

✍ ***ذهبت بعدها الى ألمانية. كم سنة بقيت في ألمانية؟***

* ذهبت في عام ١٩٧٥م وغادرتها في ١٩٨٣م.

✍ ***تبدو مدة معقولة للاطلاع على الثقافة الغربية والأدب الغربي. هل كان لذلك دور في ما يصمك به معارضوك من انبهارك الشديد بالغرب وثقافته. وهل هو نوع من الامتنان الشخصي قياساً إلى تحسن أمورك المادية مثلاً والحياتية أو الشعور بالكرامة الإنسانية التي فقدت؟***

* لا أملك سوى أن أضحك من هذا القول، نحن لم نكن نختلط بالألمان بالمعنى المفهوم، ولم نكن نتعامل معهم تعاملاً دقيقاً فكيف أنبهر بهم؟ في المجتمع الألماني هناك أخلاقيات عديدة غير متوافرة في المجتمع العربي والإسلامي؛ منها أنهم لا يكذبون، كما أنهم يحترمون المواعيد بدقة وانضباط شديدين. هنا في العالم العربي لا يوجد ذلك ولا يوجد احترام للوقت. إذا كنت تريد الذهاب إلى البريد فعليك أن تذهب قبل وقت الصلاة بنصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة، في ألمانية ينتهي الدوام في تمام السادسة مساءً، إذا ذهبت في السادسة إلا دقيقة (وهذه حقيقة وليست نوعاً من المبالغة) فيمكنك أن تنجز معاملاتك. تعلمت في ألمانية احترام الوقت وتقدير قيمته، أما ما يسمى انبهاراً فهذا ما أستطيع أن أضحك عليه، علينا أن نتعلم من الآخرين أشياءهم الجيدة، الشعب الألماني ليس شعباً غنياً ولكنه شعب مدبِّر. سئل رئيس الوزراء

السويسري لماذا يركب في الدرجة الثانية في القطار؟ قال: لأنه لا توجد درجة ثالثة!! هؤلاء قوم مدبرون. عملت مرة في الدمام وكنا في مستشفى الدمام المركزي حوالي (١٣) جراحاً، في ألمانية عملت في مستشفى كبير وكنا (٦) جراحين، إذا كان هناك جراح سوف يذهب في إجازة فإن مدير المستشفى ينشر إعلاناً في الجريدة قبل ستة أشهر ويبدأ في عمل معاينات ومقابلات للمتقدمين ويختار أحدهم، وفي اليوم نفسه لذهاب الجراح الأصلي وفي ساعة مغادرته نفسها يحل الجراح البديل مكانه، الموضوع ليس انبهاراً بقدر ما هو إقرار بالحقائق.

الاختلافات جوهرية بيننا والغرب

طالما قادنا الحديث إلى الغرب وضحكت من معارضيك على كلمة "انبهار" دعني هنا أسوق مقولة لك عندما تفردت بوصف هذه الحضارة الغربية في كتابك (سيكولوجية العنف) بأنها حضارة روحية أيضاً وليست مادية فقط، بينما مارست نوعاً من جلد الذات على حضارتنا وقلت بأنها ليست حضارة روحية، كيف تفكك هذا الالتباس؟

* لا هذا ولا ذاك بصحيح، أنا قلت إن المجتمع الغربي به قيم، كل إنسان فيه صفات وقدر من الأخلاق، القرآن الكريم يقول: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ﴾. وهؤلاء الألمان يعبدون العمل. إذا أردت أن تعذب ألمانياً فاجعله يتوقف عن العمل، الألمان لديهم عشق وغرام بالعمل، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ويقول: ﴿أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ ويقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ في ألمانية سكنت وأنا جراح في شقة بجوار امرأة تعمل في غسل الأرضيات ومسحها، لا توجد فروق في ألمانيا بسبب العمل، قيمة الإنسان بالعمل مهما كان نوع هذا العمل، لا توجد عبودية وألوهية وطبقية في ألمانية، حتى شرودر نفسه يُعامل كما يُعامل أي شخص آخر، إذا مرض يذهب إلى المستشفى وهكذا. في مجتمعنا العربي

الناس كذابون، تخرج المسيرات هاتفة (بالروح بالدم نفديك يا فلان) وهذا كله كذب، الحكم هنا بالوراثة، يموت الأب ويأتي الابن، المجتمع الغربي حقق قدراً كبيراً من العدالة بالرغم من أن به ثغرات واضحة. خذ عندك مثلاً من هذه الثغرات، أميركا تريد ضرب العراق لمزاعم كاذبة. في المجتمع الغربي من الداخل هناك عدالة، تستطيع في ألمانية أن تقاضي شرودر نفسه، وتستطيع أن تقف في المحكمة أمام أي شخص مهما كان موقعه، لكنهم لا يعدلون في ما يختص بعلاقاتهم مع الآخرين خارج حدودهم، لذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**). بوش مثلاً يريد ضرب العراق ورصد ٢٠٠ مليار دولار لمكافحة الإرهاب، إذا استثمرت أميركا ٢٠ مليار في العالم العربي فسوف تكسبه كله دون حرب. أنا في ألمانية دخلت في نزاعات قضائية مع مستشفى لي حقوق مالية لديه. لدينا نقابة تدافع عن حقوقنا كأطباء، اتصلت بهذه النقابة وشرحت لها الوضع، دافعت عني هذه النقابة وخاطبت المستشفى وهددته باللجوء للقضاء، وفي الآخر استلمت حقوقي.

قصور في النظرية

✍ ***جميل أن تنادي، يا دكتور، بثورة فكرية تستعيد دور العقل والعلم وتجربة العالم الغربي، ولكن تنزيل هذه المبادئ على أرض الواقع يشوبه بعض القصور، أحد الباحثين العرب قال إن السبب في ذلك يعود إلى أنك وجودت سعيد تحاولان معايشة هذه التجربة عن بُعد من خلال بعض الكتابات المترجمة ومن خلال مراقبة الظواهر والاشتراك في تحليلها شخصياً، بمعنى أنكم تفتقرون إلى المعايشة الأكاديمية المنهجية الطويلة، بمعنى صريح: عقليتك الطبية تميل للعلوم التطبيقية ولا تهتم كثيراً بالأُسس الفلسفية، كيف ترد على ذلك؟***

* هذا الكلام غير صحيح، فالطب يشكل ١٠٪ فقط مني و٩٠٪ مني مفكر، أنا أقرأ يومياً، حالياً أنا أقرأ في كتاب (ظاهرة صدام الحضارات) وهو ذو صبغة

تاريخية ويتناول العلوم الإنسانية كالفلسفة وغيرها، وقد أخذ مني جهداً كبيراً، أنا أقرأ في العلوم الإنسانية جنباً إلى جنب مع كتب الطب، كما أن لي شغفاً شديداً بكتب التاريخ.

✍ ***ولكن هذه الدعوة الرائدة التي تقومون بها أنت وجودت سعيد ومالك بن نبي من قبل، طَرَقَ أبوابها أناس غيركم وذلك عندما طرحوا حلاً وسطاً (ومنهم الزميل الباحث وائل مرزا). دعوا إلى أن التعاطي مع هذه القضية ينبغي أن يكون بشكل مؤسسي، وبرروا ذلك بأن التفكير الفردي، مهما كان صاحبه مفكراً، لا يُعد كافياً على الإطلاق، كيف تنظر إلى هذه الإشكالية؟***

* هذا كلام سليم، فنحن نحتاج إلى أفكار رائدة وأناس مبدعين ومؤسسات، كذلك فإن النهضة الطبية والنهضة العلمية بحاجة إلى جهود كبيرة، يجب أن تتوافر الكوادر، عسى أن يحدث ذلك في المستقبل، أتمنى لو نتمكن من عقد ندوات، ولو أسبوعياً.

سأقضي بقية حياتي في جدة

✍ ***استقرارك في بريدة وقبلها في أبها يعتبران من الأعاجيب التي يتوقف عندها متتبعو شخصية د. خالص جلبي، بريدة معقل السلفية في السعودية كما يقال، وأبها مصنفة من الـcia، وأنت صاحب أطروحات ربما تمثل بالنسبة لهم خطوطاً حمراء، كيف تقيِّم هذه السنوات التي قضيتها في المجتمع السعودي وفي مجتمع القصيم؟***

* أعترف أنّ في بريدة نوعاً من التشدد، لكن الناس هنا طيبون، والحياة رخيصة، وأنا مرتاح في عملي، وإذا أعطوني الجنسية فلن أمانع، أنا حالياً مرتاح، أما إذا ضايقوني مستقبلاً فجواز سفري الكندي معي، وأستطيع أن أذهب تقريباً إلى كل العالم. فيما يتعلق بحياتي هنا فنحن نعيش في معسكر وشبه معزولين عن السكان، عندما نذهب إلى المدينة نواجه بعض المضايقات لي ولزوجتي، وعندهم هوس في قضية المرأة مهما لبست ومهما فعلت فخروجها من البيت غير مرحَّب به على الإطلاق، والمرأة حسب وجهة نظرهم مكانها البيت وهو المكان الطبيعي

لها والذي يجب ألا تفارقه، حتى إذا ارتدت الحجاب وبقيت في السيارة يأتي من يضايقها ويزعجها وهو إزعاج متنوع ومزاجي. باستثناء ذلك فليس هناك ما يضايقني ونحن مرتاحون وبالذات في العمل، في إجازاتي السنوية أسافر إلى الخارج، طالما أنني مرتاح في عملي والمسؤولون بالمستشفى أناس طيبون وفضلاء جداً يقدرونني ويحترمونني فليس هناك ما يضايقني. وقد أستقر في جدة مستقبلاً فأتنقل ما بين جدة في السعودية ومونتريال في كندا رحلة الشتاء والصيف. الحياة في المملكة جيدة ورخيصة والجو طيب، كندا بلد شديد البرودة، سوف أستقر في المستقبل في مدينة جدة وأقضي بها بقية حياتي.

✍ ***هل أقمت علاقات مع مثقفي المنطقة هنا في القصيم؟***

* نعم، ولكنها محدودة جداً، أبرز من أعرفهم إبراهيم البليهي...

✍ ***هل استفدت منه؟***

* نعم.

✍ ***بالرغم من أنه لم يشتهر كفاية، دعك من عزوفه الشديد عن المنابر الإعلامية؟***

* نعم، فهو لا يسعى للشهرة، وهو من الصادقين وله جهد مميز وأرجو أن يُكتب في موازين أعماله، هناك أشخاص آخرون، وبالمناسبة هناك حركة شباب مستنيرين، الأستاذ سلمان العودة وبتوجهه الجديد يمكن أن يقدم الكثير، خاصة بدعوته للحوار ونبذ العنف هو والشيخ سفر الحوالي وعائض القرني، أما ما يتعلق بالجهاد كما يراه البعض من تغيير لأنظمة الحكم بالقوة المسلحة فهو غير طريق الأنبياء. أضرب لك مثلاً، أنا طبيب جراح، إذا طلب مني أحدهم أن أجري له عملية جراحية في البيت وبأدوات المطبخ فلن أوافق، وإذا أجريتها أكون قد أجرمت، الجراحة غير الجزارة، ولها شروط تعقيمية صارمة يجب أن تُراعى، أيضاً فالجهاد له شروط يجب أن تُراعى، الخوارج ذكروا أنهم قاموا بجهاد، فهل ذلك صحيح؟...

د. خالص جلبي في الجزء الثاني من مكاشفاته:

المسلمون شبعوا من الحديث عن الآخرة وما يهمنا إحياء المنهج القرآني وهذه لن تحدث إلا بصدمة مزلزلة لكل الفكر التقليدي

- لو كانت المقاومة في فلسطين مدنية لتغير الوضع، ولكن المشكلة أننا لا نؤمن إلا بالعنف
- ليس لأمريكا رسالة ولا تهتم إلا بمصالحها وأنا متفائل بالوحدة الأوروبية
- الحداثيون ليس لهم أي همّ إسلامي، وأنا أحمل همّ النهوض بالأمة
- لست شيخاً للعصرانيين في السعودية كما يدعي البعض
- ما عملته أمريكا مع ميلوسوفيتش يمكن أن يكون نوعاً من الجهاد
- الطريقة السلمية تجعل الإنسان يقهر خصمه دون إراقة دماء
- الإشكالية أننا نفهم الجهاد على أنه القتال المسلح

* نشر الحوار في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٣/ ٩/ ١٤٢٣ هـ الموافق ١٥ نوفمبر ٢٠٠٢ م

بين يدي مكاشفات

العصرانيون

مسألتان بودي أن أتعرض لهما في مقدمتي للجزء الثاني من مكاشفات، أبدي حيالهما رأيا شخصياً بسبب عدم استطاعتي الاسترسال فيهما عبر ثنايا المكاشفة من جهة، ومن جهة أخرى طبيعة تقمصي دور الخصم والصحفي اللتان تمنعاني غالباً من إبداء الرأي الشخصي..

المسألة الأولى، ذلك التيار الذي بدا لي أنه يتنامى بشكل مطرد والذي انفلت من عمق الصحوة المحلية، بل من مركزها أيضاً. وُصم هؤلاء الإخوة من قبل الراصدين لمسيرة الصحوة أو من خصومهم الفكريين بالعصرانيين، ولكأن التيار بدأ في الظهور الإعلامي وسمعنا عنه - حسب معرفة كاتب السطور المتواضعة - منذ خمس سنوات أو تزيد قليلاً، تمثلت في أفراد قلائل كان كثير منهم أقرب للتطرف الديني منهم إلى الاعتدال، لدرجة أن بعضهم كان ينال من الشيخ ابن باز رحمه الله بسبب تقصيره في الإنكار - برؤيته التي كان عليها - بلّه على عدم أهليته كمرجع. اقترنت الحدة والتجاوز في كثير من التصرفات الفردية الشنيعة التي صدرت من بعضهم، وميّزت سلوكهم الفردي آنذاك. ثم دالت عليهم الأيام وتعرضوا لظروف خاصة وإيقاف، فكانت تلك المراجعات الفكرية والقراءات لعمالقة الفكر العربي والقومي والإسلامي من الأقطار العربية الأخرى التي كانت محظورة حسب التربية المؤدلجة التي نشؤوا وربّوا عليها قبل تحولاتهم، وكحتمية طبيعية ونفسية بدأ إخوتنا هؤلاء في عملية نقد حاد لمنهجية وآليات الصحوة المحلية عموماً. ويبقى للأمانة التأريخية بأن البعض منهم مازال يحمل النفس الرسالي ويروم المصلحة بنقده، ويتكئ إلى رؤية موضوعية جادة يزعم كاتب السطور أن الصحوة ستفيد كثيراً من

نقده، ولكن للأسف ضاعت هذه الأصوات التي نحن بأمسّ الحاجة إليها في ضوضاء أصوات رفقتهم المتطرفة والنشاز التي كانت بعيدة - في تصوري الخاص - عن المنهج الموضوعي، وتلمسنا النزعات الشخصية، والإحن النفسية تطفح عبر السطور.

طالعنا بعض كتابات القوم عبر مجلة "المجلة" إبان رئيس تحريرها السابق الذي دالت عليه الأيام أيضاً، ثم أخذت الأصوات تأخذ منحنى أكثر انتشاراً عبر صحيفة "الوطن" في حقبة الأستاذ قينان الغامدي، وكانت المنبر الذي قدموا فيه طروحات متعددة، وقراءات في عمق العمل الصحوي المحلي، وأحدثوا لغطاً كبيراً في وسط الصحوة بسبب النقد الجريء الذي ميّز كتاباتهم، ما جعل بعض العلماء يتدخلون شخصياً في بعض ما طرح، ومع مجيء د. فهد العرابي الحارثي ما لبثت تلكم الأصوات أن انكمشت بشكل كبير. كتب الإخوة في "البلاد الجمعة" قبل سنتين ولكن لمدة يسيرة، ويكتب بعضهم الآن في صحيفة "المحايد"، بيد أن الفورة والنبرات الحادة التي كانوا عليها خفتت كثيراً، في الإعلام المقروء على الأقل ومازالت في ساحات الإنترنت تجلجل بصوت عالٍ ومبالغ..

يطرح كاتب السطور دعوة لدراسة "شبه الظاهرة" هذه دراسة موضوعية محايدة وبمنهجية علمية صارمة، لا دخل للهوى الشخصي فيها، وأتصور أن أطروحة جامعية ستفي بالغرض الذي يهدف إلى رصد هذه البدايات لتيار يبدو لي أنه يتنامى، ولكي تكون هذه الدراسة مرجعا لما سيأتي بعد، ولست مع الإخوة الذين تابعوا بشكل دقيق مسيرة هؤلاء "العصرانيين" وانتهوا إلى أنهم مجموعة مراهقين، وكذلك لا أجد نفسي مع أحد علمائنا الرموز الذي قال لي في مجلس خاص بأنهم مجموعة أفراد يعيشون فورة فكرية ترغي سرعان ما تتبدد بذهاب المؤثرات..

الذي ألمسه وأجزم به أن مجموعات كبيرة تأثروا بأطروحاتهم، منبهاً إلى أنني لست في مجال فرز ما يطرحون فهو يتفاوت ولا شك كما أسلفت سابقاً، غير أني شخصياً ألتقي مع بعض ما تطرح الشريحة التي لا تزال تحمل الهمّ الرسالي وتظهر

الموضوعية والتجرد في كتاباتهم النقدية. وأعود للتأكيد بأن المتأثرين بهم في ازدياد، ويرفد ذلك الاحتفاء الكبير من لدن الليبراليين بأطروحات إخوتنا هؤلاء..

المسألة الأخرى التي بودي أن أختم بها، مسألة الانهزام النفسي والحضاري. فبفعل ما تمر به أمتنا، استخدمت هذه الانهزامية كسوط يجلد به أي صوت عاقل يدعو للمراجعة والبحث عن مكامن الخطأ خصوصاً ما يتعلق بقضايا حساسة كالمناهج، وتجديد الفقه ومصطلحاته، وغيرها من الموضوعات التي يساء الظن بصاحبها، ولن أسترسل كثيرا هنا، ويكفيني التنبيه إلى أن العواقب - في رأيي - ستكون أفدح في حال استمرارنا بعدم السماع لهذه الأصوات بدعوى عدم الاستسلام لضغوط الغرب، والله أعلم.

عبدالعزيز قاسم

*****

✍ ***انتهينا في الجزء الأول عند حديثك عن الخوارج وجهادهم وطالما جرنا الحديث إلى الجهاد والعنف وتشابكاته. دعني دكتور أتوقف معك عند مدرسة اللاعنف التي هي ثمرة تفكيرك والشيخ جودت سعيد ولعل ما طرحته أنت في كتابك (سيكولوجية العنف وإستراتيجية العمل السري) يختصر، وإلى حد بعيد، نظرتك لمفهوم الجهاد في الإسلام. أوضح لنا هذه الفكرة بإيجاز شديد؟***

* أستطيع أن أشرح لك هذه الفكرة التي عكفت عليها أربعين عاماً في نصف صفحة وأستطيع أن أختصرها لك في سطرين....

✍ ***لا، لا. ليس بهذا الإيجاز، أي نعم لسنا نخبويين ولكن دكتور عفواً يمكن اعتبارنا أنصاف شرعيين ومثقفين نرجو أن تبسطها بصورة وسطية؟***

* الجهاد في سبيل الله غير القتال في سبيل الله، الجهاد معناه عام: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾. الجهاد هو استنهاض الفكر لفهم الإسلام والدعوة له والتمسك به، أما القتال فهو استخدام القوة المسلحة لأغراض معينة وضد

شيء معين وفي ظروف معينة، لأن هناك دماء. الدماء التي سالت في سبتمبر الماضي هي دماء محرمة، فالله تعالى قال: ﴿ **وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾ الإسلام لا يدعو للقتل، يجب أن تتضح هذه الصورة، والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قد أكد على ذلك. إذا خرجت الآن في الشارع فسوف تجد رجال شرطة مسلحين، لكنهم لا يستخدمون سلاحهم ضد المواطنين من منطلق شعورهم بالقوة، لكنهم جاهزون على العموم، ماذا يعني حضور الدولة بالشرطة والمسدس، بدءًا من المسدس وانتهاءً بالطيران الحربي؟ الدولة تحتكر العنف داخل حدودها مقابل حل إشكالية الغابة، وهذا جهد أنجزه الجنس البشري، الناس عملوا مجتمعاً ودولة، والدولة قد يكون فيها أكثر من مجتمع كما هو الحال في الاتحاد السوفيتي السابق. احتكار الدولة للقوة يتم مقابل أن توفر للناس الأمن. الأنبياء قالوا ذلك. إذ، حتى نتمكن من أن نحل محل الدولة وحتى تصير لدينا مشروعية استخدام القوة المسلحة، علينا أن نستخدم طرقاً شرعية، هذا هو موضوع الجهاد والقتال. الجهاد هو المرحلة الأولى، وهي أننا لكي نسيطر على مقاليد الحكم بطريقة شرعية علينا أن نستخدم وسائل صحيحة وليس عن طريق الانقلابات العسكرية. لماذا لم يستخدم الرسول عليه الصلاة والسلام القوة المسلحة في مكة؟ هذا سؤال كبير، لا إكراه في الدين، الأديان أُنزلت من أجل أن يؤمن بها الناس، الأنبياء لم يُرسلوا لكي يصادروا آراء الناس ويفرضوا عليهم القوة المسلحة. تقريباً كل حكام العالم العربي جاؤوا عن طريق بوابة الانقلابات العسكرية وفرض الآراء بالقوة المسلحة. الاتحاد السوفيتي بالطريقة نفسها وكذلك النازيين والفاشيين والأمويين والعباسيين وحتى صلاح الدين الأيوبي، كلهم يتفقون في الأمر نفسه، وهو أخذ السلطة بالقوة المسلحة والغلبة. الأنبياء لم يأتوا كذلك وهذا هو السر النبوي، إذ إن الأنبياء يغرون العقل بالحوار وليس بالإكراه، ويصنعون السياسة والمجتمع

بالشرعية ولا يستبدلون اللاشرعية باللاشرعية بل يستبدلون اللاشرعية بالشرعية ولذلك عندما وصلوا إلى هذه المرحلة صارت مجتمعاتهم تسمى بالمجتمعات الراشدة. ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**﴾ وبعدها مباشرة يقول القرآن الكريم: ﴿**الذين يقاتلون في سبيل الله والذين يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان**... الآية﴾. إذا الأنبياء لهم طريقة في التغيير الاجتماعي، لذلك يجب أن يكون واضحاً تماماً أمامنا أنه حتى نعمل دولة راشدة تحكم الناس برضا الناس وليس بالقوة المسلحة والإكراه فعلينا أن نتبع طرقاً صحيحة بعد ذلك يمكن أن نستخدم القوة في مواضعها، ليس لنشر الفكر، لأن الفكر لا ينشر بالقوة، والفكر له طريقة لنشره، الماء مثلاً ينزل من السماء ويطلع للسماء في شكل بخار، الحر يطلع والبرد ينزل، إذا هناك قوانين للكون، ومن هذه القوانين أن الفكر لا يمكن أن ينشر بالقوة المسلحة، لذلك لا يعتبر الإيمان إيماناً ولا الكفر كفراً بالإكراه. أول ميزة في الدول هو أنه يجب ألا تحكم الناس بالإكراه، الميزة الثانية هو أنه لا يجب أن نفتعل معارك وحروبا مع الناس لنشر الفكر، بل يجب أن ننشره بالجدال والنقاش ونقول لهم إن لدينا أشياء يحتاجونها هم، ثم إن علينا أن لا نسكت على أي ظلم يلحق بأي إنسان لأن الظلم إذا سكتنا عليه جاء إلينا. إذاً فالقتال في سبيل الله هو دعوة لإقامة حلف عالمي ويجب أن نضع في يد أي إنسان من أجل رفع الظلم عن الناس، في أي مكان كانوا، مثل عمل المطافئ في الدفاع المدني في أي مدينة. وهذا سيكون على مستوى العالم لإطفاء الحرائق وكلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله. هذا يدخل الآن في مفهوم السياسة الشرعية، يمكننا أن ننجز ذلك بدءًا من الحديث عنه وانتهاءً باستخدام القوة المسلحة، يمكن أن نستخدم القوة في حال الاضطرار فقط. ما عملته أميركا مع سلوبودان ميلوسوفيتش يمكن أن يكون

نوعاً من الجهاد وهو أن المجتمع الدولي كله حاول مع هذا الرجل ووسطوا له فرنسة وغيرها، ولكن كل ذلك لم ينفع فلم يكن هناك بد من ضربه وإمساكه بالقوة، كذلك فإن الأمر نفسه ينطبق على صدام حسين، يجب على صدام أن ينشئ تعددية حزبية وعليه أن يستقيل فهو قد انتهى، إذا كانت أميركة تريد فعلاً عمل نظام ديمقراطي في العراق فأنا مع أميركة، لكن المشكلة إنهم كذابون. لا يمكن أن أثق في أن أميركة التي تبارك برويز مشرف الدكتاتور الباكستاني وتريد عزل صدام حسين الدكتاتور العراقي الذي ساعدوه من قبل وأمدوه بالسلاح والمال وغيره وعندما انتهت حاجتهم إليه ها هم يريدون عزله، لذلك انتقد روبرت فيسك في الأيام القليلة الماضية ادعاءات أميركة بأنها تريد إنشاء نظام ديمقراطي في العراق.

لذلك فإن الرسول عليه الصلاة والسلام وفي كل غزواته لم يقتل إلا عدداً محدودا من الناس اضطرته لذلك الضرورة، ووحَّد الجزيرة العربية في ذلك الظرف التاريخي الحرج بأقل عدد من الخسائر البشرية لم يتجاوز ألفي رجل مثلاً...

جهاد الدفع وجهاد الطلب

✍ ***دعني أجادلك هنا يا دكتور في مسألة القتال، لدينا في مصطلحات فقهاء الإسلام جهاد الدفع في حالة العدوان وجهاد الطلب وهو لتعقب الكفار في ديارهم لهدايتهم ودعوتهم إلى الإسلام أو دفع الجزية مقابل الحماية، وإن لم يستجيبوا يُقاتلوا، ودعني أسوق لك جملة من الآيات والأحاديث كي أستشرف رأيك بوضوح شديد. القرآن الكريم يقول:*** ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ***ويقول:*** ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ ***والآيات كثيرة في الأمر بالقتال وليس الجهاد***

وهي تشمل جهاد الدفع وجهاد الطلب. إضافة للأحاديث الكثيرة في ذلك، قال صلى الله عليه وسلم «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق» رواه مسلم، وحديث البخاري، قال صلى الله عليه وسلم «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم إلى الله» والآيات كثيرة في ذلك، هلا أجليت لي وللقراء هذه النقطة الجوهرية في فكرك؟

* يا أخي الكريم، حتى تكتمل الصورة عليك أن تأتي بالآيات كلها وحتى سيد قطب عندما تحدث في هذا الأمر نقلها عن ابن الجوزية وغيره، ابن الجوزية يقول في كتابه زاد المعاد عن القتال إنه (كان محرماً ثم أصبح مباحاً ثم أصبح واجباً) إذاً الأحكام الشرعية هي خمسة أنواع وتتراوح ما بين مكروه وحرام ومستحب ومباح وواجب، نتحرك من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال، والله تعالى يقول: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ الدولة التي تصبح دولة راشدة يُشرع لها أن ترفع الظلم عن الناس.

الظلم نوعان: الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق. هؤلاء يجب على الدولة الراشدة أن ترفع عنهم الظلم، هذا الموضوع تعقبته في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا﴾ إذاً مبررات القتال هي الإخراج من الديار والعقيدة.

هنالك من الناس من يعاملون بالقمع في العراق، إذاً عمل أميركا الذي تريده هو نوع من الجهاد لو صدقت، وفي أي مكان في العالم يُظلم الناس، أنا لا أريد من

بلدي سوريا سوى أن أذهب إليها في أمان الله وأن أغادرها في أمان الله فقط، ولكن لا يوجد أمن في العالم العربي كله، وبه كمية هائلة من الظلم. إذاً يجب أن نضع الآيات مع بعضها، هل يمكننا أن نقاتل الناس لكي يدفعوا الجزية؟ هل يمكن لباكستان أن تقول للهند بأن تدفع الجزية؟ إذاً يجب أن نربط الآيات ببعضها ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ من هم أولئك الناس؟ هذه الحالة تسمى حالة الطوارئ، والرسول عليه الصلاة والسلام كان يريد توحيد الجزيرة العربية، وكان المشركون موجودين وهم لا يرقبون في المؤمنين إلاً ولا ذمة، إذاً هناك مبررات ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ﴾ من المشركين فأتموا إليهم عهدهم، إذاً هناك حالات طوارئ. الأصل ليس في استخدام القوة لنشر الفكر ولا أخذ الجزية من الناس، علينا أن ندخل فقه الأولويات، إذا وجدنا أن هناك أموراً لا تُحل إلا بالقوة المسلحة من أجل رفع الظلم عن الناس وأننا نضمن أننا سنربح بهذه الطريقة.

أقول للذين ينادون بهذه الآيات، ماذا تقولون في الآيات التي نزلت في آخر القرآن الكريم؟ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

هناك حقيقة واضحة وهي أن الأنبياء جاؤوا بشريعة الرحمة، بقدر ما تستطيع الدولة أن توفر الأمن للأفراد بقدر ما تكون القوة التي توفر بها هذا الأمن، نحن لدينا قوات هائلة مما يعتبر استعباداً للإنسان، من الضروري أن يكون الناس في هذا المجتمع آمنين ومرتاحين بأقل قدرٍ ممكن من القوة، يجب كذلك أن يكون طرحنا إنسانياً ورحباً. رأيت أحداً قبل أيام وهو يدعو على أميركة بكل شر فقلت له ألا يفعل وتساءلت بيني وبين نفسي: لماذا قلوبنا ضيقة؟

وتذكرت قوله تعالى: ﴿ ولو أنتم تملكون خزائن ربي لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾...

✍ *دكتور عفواً، ولكن الآخرين يعاملوننا بنفس الطريقة؟*

* يا أخي لماذا نريد الشر؟ هؤلاء الأميركيون عباد لله، الآن في أميركا يوجد ٦ ملايين مسلم، هل تعلم أن حوالي ٢٢ ألف يدخلون الإسلام سنوياً في أميركا؟..

✍ *اسمح لي دكتور، هذه الدعوة إلى السلم ربما تعتبر للعوام نظرية مثالية أقرب لليوتوبيا، هب أني كعالم إسلامي أو عربي اقتنعت بها، فكيف السبيل لأقنع بها أعدائي الذين لا يتركون لي أية فرصة؟ هل تريدني أن أكون حملاً وديعاً يتلقى الضربات أو ينتظر الذبح موجهاً نحو القبلة وأنا ساكن لا أنتفض أو أدافع؟*

* هذا غير صحيح، أميركا عندما ضربت أفغانستان لم تضربها إلا لأنها آوت ابن لادن، العنف يُولِّد العنف، نحن ندور في حلقة مفرغة ولكي نكسرها علينا أن نتحلى بخلق الأنبياء، المعنى الأخلاقي في قصة ابني آدم هو التخلي عن القوة من طرف واحد، القرآن يقول: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ إذا كنا واثقين من شعبنا فلن توجد قوة في الأرض تهددنا، بقدر ما نكون أخلاقيين بقدر ما نكسب، القتل يجلب القتل، حتى نكسر هذه الحلقة علينا أن نوقف القتال، الأنبياء والمصلحون والفلاسفة كلهم يؤكدون على عدم القتل، فالقتل خصلة فرعون.

✍ *سامحني دكتور خالص. إلى الآن لم أستوعب فكرتك وقد تهت في الفرعيات، دعني أحاججك، وأسوق حادثة دخول نابليون مثلاً عندما غزا مصر: ذهب الناس إلى الأزهر وجلس المشائخ يقرؤون صحيح البخاري ويدعون الله حتى احتل نابليون كل مصر، وسطر التاريخ هذه الحادثة بسخرية مؤلمة. ألا يمكن أن يتكرر ذلك لو آمنا بنظرية السلم التي تدعو إليها؟*

* نابليون عندما جاء إلى مصر كان الشعب المصري عبارة عن حيوانات مسرجة يمتطيها المماليك، بمجرد أن قهر نابليون المماليك استولى على مصر، لو كان

الشعب المصري متسلحاً بعلوم العصر فما كان سيتسنى لنابليون أن يستعمره، تصور ماذا كان سيحدث لو رفض الشعب التعامل مع نابليون؟

الحكام يملكون رقاب الشعوب بالطاعة، لو أن الشعب المصري أو الشعب السوري رفضا المشاركة في الانتخابات التي تُجرى وجلس الناس في بيوتهم ماذا سيحدث؟ سيحدث تحول بالتأكيد، الأمة التي تُولد بهذه الطريقة لن يملكها طاغوت، هذا هو فكر الأنبياء...

✍ ***اسمح لي يا دكتور خالص، ما ذكرته تنظير.. كلام نظري، وإذا أسقطناه على أرض الواقع ونقول بما تقوله فقد نصل الى أن تحكمنا شرذمة اليهود يوماً ما.. يوماً قريباً حتى..***

* لن يستطيعوا..

✍ ***ولكنهم خصومنا الألداء، وأصحاب أيديولوجيا تقول بأرضهم من النيل للفرات بما فيها خيبر..***

* لن يستطيعوا، لو كانت المقاومة في فلسطين مدنية لتغير الوضع، لو لم يكن هناك قتل وتم رفع الأمر للمنظمات الدولية ما كان سيحدث قتل، ولو حدث فلن يكون بهذه الأعداد، هل يمكن لأي نظام أن يُدخل نصف الشعب في السجون؟ بالتأكيد لا، لو أن الناس رفضت الأوضاع السائدة حالياً لكان عدد الضحايا في سبيل التغيير أقل، ربما لا يتجاوز ٢٠٠ ألف، في الجزائر القتلى الآن أكثر من ٢٣٠ ألفاً، لو أنهم قالوا برفضهم للأوضاع فسوف يستقيل الحكام، هذا نوعٌ جديد من المقاومة، لكن المشكلة في أننا لا نؤمن بغير القتل وسيلة لحل قضايانا.

القاديانية وجلبي

✍ ***لكن هذا الأمر تكرر في التاريخ، كما أن عدداً من معارضيك في هذا الاتجاه يقولون إن موقف خالص جلبي من الجهاد وآياته وأحكامه واجتهادات علماء الإسلام فيه يطرح مقارنة مع ما طرحه أيام الاستعمار البريطاني غلام أحمد القادياني مما جعل البعض يشبّه خالص جلبي بذلك ولكن في عصر الهيمنة الأميركية. كيف ترد على هؤلاء؟***

* هذا الكلام غير صحيح، إذا نظرنا لمقاومة الاستعمار البريطاني في الهند نجد أن هناك شخصاً يدعى عبدالغفار خان قاوم الاستعمار البريطاني بالقوة جنباً إلى جنب مع المهاتما غاندي الذي قاومه بالطريقة السلمية، ما يحدث هو أن التاريخ يعرف غاندي فقط وليس عبدالغفار الذي لا يذكره الناس إلا قليلاً، رغم دوره الكبير، الطريقة السلمية في المقاومة تجعل الإنسان يقهر خصمه دون إراقة دماء، والمشكلة هي أننا - وبكل أسف - لا نعرف مثل هذا الأسلوب السلمي....

"فلترة " أفكار ابن تيمية

✍ ***لا أخفيك دكتور تعجبي من كثرة استشهادك بابن تيمية رحمه الله، وهذا الإمام الجهبذ يتهم من قبل المستشرقين وغيرهم بأن أفكاره هي من تؤصل للعنف وسط الجماعات الإسلامية؟***

* ابن تيمية قسمان، كان الرجل عبقرياً ولكن أفكاره الأخيرة تحتاج إلى (فلترة)، لدى الرجل أفكار رائعة كما أن لديه أفكاراً أخرى، من مثل الأفكار الجيدة في فكر ابن تيمية قوله إن السيف يدور مع الكتاب ويكون تحته، بمعنى أن القانون هو الذي يحكم، وهذه قيم جيدة بالطبع، فكر ابن تيميه إذا نظرنا له نجد أنه كان في وقته انقلابياً ثورياً إصلاحياً إلى آخره، محمد بن عبدالوهاب عندما جاء كان بنفس الطريقة، ما يحدث هو أن أتباعه لا يجيدون فهم أفكاره ورسائله الأساسية التي تتوافق مع روح العصر وينقلون عنه حرفياً...

كنت تستشهد في كتابك برسالة ابن تيميه في القتال، أليس كذلك؟

* كنت أستشهد بقوله (يدور السيف حيث دار الكتاب).

القتال فرع من الجهاد

دكتور ألا تعتقد بأن الحديث عن الجهاد - سواء أكان هجومياً أم دفاعياً - يثيره دائماً أولئك المنهزمون حضارياً ونفسياً واستحياءً من دينهم أن يعلنوه كما هو دون خوف أو مجاملة وبالذات في هذا العصر الذي نحن فيه، وبالذات أيضاً بعد ١١سبتمبر. كيف تعلق؟

* الإشكالية في أننا نفهم الجهاد على أنه هو القتال المسلح فقط، فالصحيح أن القتال هو فرعٌ من فروع الجهاد، إذا ذهبت إلى مستشفى فإن قسم الجراحة والعمليات مثلاً يُشكِّل جزءًا من المستشفى وليس كل المستشفى؛ إذ إن هناك أقساماً أخرى مثل الباطنية والعصبية وغيرها، الجراحة والعمليات في المستشفى تعادل القتال في الجهاد أما بقية الأقسام فهي أشياء كبيرة وضرورية و.....

دعني أستحضر في هذا المقام قضية الانهزام الحضاري، ألا يمكن أن يكون ذلك أحد الأسباب؟

* أنا عقلية علمية محايدة، عندما كنت في الجامعة كنا نتساءل عن معاني بعض الأمور، وكنت بالذات أتساءل عن الجهاد، لاحظت أن الفهم السائد عن الجهاد هو فهم مغلوط وخطأ، بدأنا نرجع للآيات والأحاديث وأخذ ذلك مني وقتاً طويلاً، صرنا إنسانيين ومتسامحين، في أي بلد يوجد دفاع مدني وتوجد شرطة، كما يوجد أناس شواذ، إذا وقعت جريمة فإن الشرطة تتولى الأمر، وإذا حدث حريق فإن الدفاع المدني يتولى إطفاءه، وهكذا فإن الجهاد هو دفاع مدني لإطفاء الحرائق وإلا لاشتعل العالم.

في ما يقال اليوم عن اليهود والنصارى نقول بقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ بعض الناس يقولون: ذلك كان أيام موسى عليه السلام. ونسألهم: كيف يتحكمون بالنص؟ فالنص يقول: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾، فهم ليسوا سواء.

الرئيس الأميركي بعد أحداث سبتمبر ذهب إلى المسجد وقال إن هناك مسلمين معتدلين وهناك إرهابيون، إلا أن هناك أناساً يحبون الاصطياد في الماء العكر...

آلات الحرب في متاحف التاريخ

✍ ***دعني أنشط لك الذاكرة دكتور هنا، وأسوق لك ما سبق أن بشرتنا به قبل سنوات عديدة من انتهاء الحروب وقلت في مقدمة كتابك: (جدلية القوة والفكر والتاريخ): "إنه لن يطول قدوم ذلك اليوم حيث يقف الناس في المتاحف يتأملون مشدوهين فوهات المدافع التي صُمِّمت للفتك بالإنسان، وسوف يتعجبون من ذلك البدائي المقاتل وينظرون إليه كما ننظر اليوم للديناصورات غيَّبها الثرى". هل ما تزال على رأيك الذي بشرتنا به منذ زمن ونحن الآن على أبواب حروب متتالية منذ ذلك اليوم، ونرى أن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ؟***

* أحياناً أتساءل بيني وبين نفسي وأقول إنني ربما كنت على خطأ، أرى العالم اليوم في حالة توتر وحروب، إذا لاحظت التطور الإنساني تجد أن البشر في السابق كانوا في حالة حرب، الآن بعد أن سيطرت الدول الحديثة على مقاليد الأمور بها أصبح الوضع أحسن حالاً، الصدامات سوف تنتهي وتموت حتى يصل الجنس البشري إلى مرحلة أخرى. ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

أميركا الآن هي القطب الأوحد، بإمكانها أن تسيطر على العالم كله وتنجز أمنا عالميا، رغم أنني أشك في ذلك إذ إنهم لا يهتمون إلا بمصالحهم فقط وليس

لأميركا رسالة، أنا متفائل الآن بالوحدة الأوروبية وأتوقع أن تحقق ما عجزت أميركا عن تحقيقه، الحضارة الإنسانية عمرها ما زال قصيراً، العلم أكد أن الإنسان له على سطح الأرض سبعة ملايين سنة، بينما الحضارة الإنسانية عمرها لا يتجاوز ستة آلاف سنة، الصدامات بين الدول كانت تقليدية وكانت تعتمد على الأسلحة المختلفة حتى وصلت إلى طور الأسلحة النووية.

الآن صارت الحرب حرب أشباح كما حدث في أميركا في الحادي عشر من سبتمبر الماضي، العالم سوف يصبح أكثر تحسناً، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً**﴾، التدافع لا يعني أن يقتل الناس بعضهم بعضاً، ليس هناك فتنة أشد من فتنة القتل.

الملائكة سألت الله عز وجل: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾ فقال لهم الله عز وجل: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾. الإنسان قد يحقق أوامر الله، آخر الأخبار العلمية تقول إن الأرض بإمكانها البقاء لمدة ٥٠٠ مليون سنة قادمة، كما تقول الأخبار العلمية بإمكانية وجود حياة أخرى في المجرات....

لست من الحداثيين

دعنا ننتقل الآن لنتحدث عن مشروعك الفكري، واسمح لي في أن أبدي وجهة نظري اتكاء الى ما قرأت وسمعت من معارضيك ومجايليك في آن بأن فكر خالص جلبي هو امتداد لفكر مالك بن نبي ومحمد إقبال وجودت سعيد، أذهب أكثر وأقول إنه ربما تأثر في البداية بأفكار مالك بن نبي وتجاوز اجتهاداته واقترب من محمد أركون ومحمد عابد الجابري ونصر أبو زيد، وأسوق لك مقولة لأحد متابعيك فحواها أن ما يطرحه خالص جلبي مجرد نسخة مستعارة من أفكار هؤلاء مع فارق في الصياغة بلبوس إسلامي؟

* هناك فارق كبير، من تذكرهم من الحداثيين وليس لهم هم إسلامي واهتمام بالحركات الإسلامية، مع أن لهم فكراً حراً، أما أنا فلي هم النهوض بالأمة الإسلامية، تهمني نهضة الأمة الإسلامية، ومن ذكرتهم لهم فكر وليس لهم علاقة بنهضة الأمة الإسلامية، أنا ومالك بن نبي وجودت سعيد نختلف عنهم. أنا حريص على الشباب، لذلك أحاول ألا يشعروا بالخجل، علماؤنا كانوا رواداً، وأنا أحزن لأنهم كانوا رواداً في العلوم بينما نحن للأسف نحاول أن نكون رواداً في محاربة الاتجاه العلمي...

✍ ***بالمناسبة دكتور، ما هي قصة جماعة القيم، هناك من يتهمك بأنك عضو لما يسمى بجماعة القيم التي تضم إلى جانبك جودت سعيد ونهاد درويش..***

* من تقول؟

✍ ***نهاد درويش، ألم تسمع به؟***

* هو صديق قديم، ولكن جماعة القيم جديدة علي، ومنذ سنوات طويلة لم ألتقِ به أو أسمع عنه..

✍ ***نهاد درويش إنسان مهتم بالفكر (قالتها زوجته).***

✍ ***استغرابك ينفي تهمة صحة الانتماء وماهية المعاني الفكرية التي تجمع هذه الشخصيات، ننتقل إلى سؤال صريح حول ما تقدمه من مجموعة أفكار وهل هي تصلح لتكون مشروعاً فكرياً يُصف إلى جانب مشاريع محمد أركون وحسن حنفي والجابري وغيرهم من المهتمين بقضية النهضة العربية؟***

* الجواب على هذا السؤال ليس عندي، أنا بكل تواضع لا أزعم لنفسي أنني صاحب مشروع فكري. لا أقول عن نفسي إني مفكر وما إلى ذلك، أنا لدي أفكار يمكنك أن تسميها تجديدية وبها شيء من الجرأة.

هنالك تساؤلات في رأسي أضعها وأقول: يا مسلمين إن أوضاعنا ليست طبيعية ولا بد من تحسينها، نحن نعيش في حالة لا مبالاة. العراق سوف يُضرب ونحن لا نبالي، مع أنه بلد عربي، كذلك نحن لا نهتم بما يجري في فلسطين من مآسٍ، هناك حالة تشرذم وضعف، أنا طبيب وأمارس الطب، إذا جاءني من يشكو فلا بد أن أعرف ما به، أنا لا أزعم أنني صاحب مشروع فكري، التاريخ سوف يقيم الأشخاص...

التصنيف: أين خالص جلبي؟

✍ ***لا أخفيك دكتور. والله لقد عجزت بعد سبر دقيق أن أصنفك، وهاأنذا ألجأ إليك كي تجيبني عن خندقك. العلمانيون يصنفوك ضمن الإسلاميين نسبة لما تضمّنه في مقالاتك من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، والإسلاميون يضعونك مع العلمانيين، لأن بعض الأطروحات الخاصة بك ربما تكون قد تجاوزت خطوطهم الحمراء، أين خالص جلبي من كل هذا؟***

* لقد سمعت أنت من دكتور خالص وسمعت منهم، أين تضعه (قالتها زوجته).

✍ ***يا سيدتي والله عجزت. وقدمت لكم اعترافاً كاملاً بفشلي في تصنيفه بين الخندقين، ويودي سماع ذلك منه، وأكيد أن كثيرين ينتظرون مثل هذا التصنيف، فهي أولوية مطلقة للحكم لديهم؟***

* (ضاحكاً بشدة ومستمزجاً السؤال) لقد سألت نفسي كثيراً، اكتشفت أن الإسلام يعطيني الطاقة لكي أغير نفسي وأعدل أوضاعي وأعيش عصري الذي أنا فيه، لكي أعيش هذا العصر لا بد لي من استيعابه، نحن الآن في عام ٢٠٠٢ ميلادية وعام ١٤٢٣هجرية، العالم الإسلامي ما زال - وبكل أسف - يعيش في عام ١٤٢٣ ميلادية، نحن نعيش في عصر التكنولوجيا ولا بد من قبولها والتعايش معها حتى نستطيع مسايرة العصر.

مواجهة.. لا جلد ذات

✍ ***مما سمعته في هذه المكاشفة دكتور أنك تعتب على الإصلاحيين. ولكن يا سيدي هل تعتقد أن الشخص الإصلاحي ينفلت إلى الشاطئ الآخر من النهر ويرفض قومه وينفصل عنهم نفسياً بدعوى الإصلاح، ولا ينفك يصم مجتمعه بالتخلف وأفراده بالجلافة؟ أذهب إلى أبعد من ذلك وأقول: إن مفرداتك دكتور خالص في مقالاتك الصحفية تُبكِّت وتسخر منهم، هل هذا من النقد الذاتي الذي طرحته يوماً ما؟ وهل تقول الثقافة الغربية التي أنت منبهرٌ بها بما تمارسه من جلدٍ للذات؟***

* فيما يختص بجلد الذات أقول إن العمل الإصلاحي يستدعي المواجهة، لا بد من المواجهة بقدر الإمكان، نحن في الطب نحصل من المواجهة على نتائج مفيدة ولا نخسر المريض، المواجهة صعبة، لذلك يفهمها الآخرون على أنها جلدٌ للذات ويقولون إنني انفصلت عن قومي وما إلى ذلك...

✍ ***طبعاً الإصلاحيون والأنبياء يصبرون على قومهم ويستمرون في دعوتهم..***

* اسمح لي بالتعليق في هذه النقطة (قالتها زوجته)، موضوع جلد الذات يُكتب عنه كثيراً في هذه الأيام، ألا تشعرون أن العالم الإسلامي غارق تماماً في المديح والافتخار بالماضي ومدح الرموز سواء السياسية منها والدينية، يقولون: الشيخ فلان قال كذا وانتهى الموضوع، ونقفل الباب، من الذي أعطى هذا الشيخ الحق في أن يفهم الأمر كما يفهمه على طريقته ويحظر ذلك على الآخرين؟ ومن ثم التبجيل والتعظيم للسياسيين.

* أنا ضد أن يشطب الإنسان على شخص آخر ويمسح كل محاسنه، كل شخص له محاسنه وله مساوئه، لست من مؤيدي من يذمون اتجاهاً معيناً أو شخصاً ما وينسون كل محاسنه، وكذلك ضد من يقدسون الأشخاص ويمنحونهم أكثر من أقدارهم، الإنسان قابل لأن يخطئ ويصيب، قد تكون أخطاؤه أكثر من صوابه وقد يكون صوابه أكثر من أخطائه.

موضوع جلد الذات يقوله من ليس عنده استعداد وقدرة لكي يستمع لمراجعات الذات، نحن ننتقد الآخر دوماً ونقول إن الاستعمار والغربيين هم السبب في شقائنا، أليس لنا دورٌ في الموضوع، أميركا أيضاً بعد ما حدث من تفجيرات في الحادي عشر من سبتمبر من العام الماضي والأزمة التي صارت، يقول المسؤولون فيها إن التفجيرات قد أهانتهم ولا بد لهم من الانتقام، العالم العربي والإسلامي أيضاً يقول إن الغربيين أهانوهم وهم سبب كل شقائنا، ولا بد لهم من الانتقام، الخطاب الذي نراه هو لوم الآخر ولا أحد يقول بأن نلوم أنفسنا ونراجع أخطاءنا.

شيخ العصرانيين في السعودية

✍ ***أنتقل هنا الى اتهام محلي يحكي بأنك شيخ " للعصرانيين " في القصيم. بداية دعنا نحدد مصطلح "العصرانية" هذه. على الأقل من وجهة نظر متلقيه. وقصدوا به أولئك الأخوة الذين خرجوا بمتواليات هندسية من عباءة التيار السلفي برؤى تجديدية وأكثر ما احتفى به الليبراليون المحليون. هل صحيح أنك شيخهم؟***

* سمعت بهذا، ولست شيخهم، والاتهامات كثيرة وهي مؤشر صحي أنني أضع يدي على أمراض المسلمين وأقوم بمعالجة خطيرة في جراحة عصبية فكرية لاستئصال ورم التخلف. وقد تسمع في المستقبل ما هو أكثر من هذا. وفي يوم أطلقوا النار على المفسر القاسمي. وابن تيمية ضرب بالنعال على رأسه فطارت عمامته واقتيد للتعزير. والإمام ابن جرير لم يستطع أهله دفنه نهاراً خوفاً من الدهماء لاتهامه بالرفض. ونحن نعيش في زمن التكفير.

✍ ***طالما نفيت أنك شيخهم، لأظفر منك برؤية محايدة إزاء تفسير هذه الظاهرة أو شبه الظاهرة بشكل أدق. وهل تراها إيجابية في محصلتها الأخيرة. وهل هي فورة اجتماعية وتنفيس فكري صرف لأولئك الأخوة؟***

* أنا لم أنفِ ولم أثبت وهي مشكلة من ينبز بالألقاب. وهي مشكلته ووجع رأسه وهي ليست عندي مشكلة. وهي مؤشر جهل. وكان يقول ابن تيمية: العلماء يخطئ بعضهم بعضاً والجهلة يكفر بعضهم بعضاً. وأنا أضيف: والسياسيون يخون بعضهم بعضاً. فهي مؤشرات الانحطاط الفكري في الأمة. وهذا مرض قديم ولن يرتفع بسرعة وسهولة.

✍ ***الملاحظ في كثير من أولئك الإخوة الذين وصموا بالعصرنة تراجعوا عن سلفيتهم وعندما نفتش في سيرتهم الذاتية نجد أن تدينهم يتراجع والنفس الرسالي يكاد يتلاشى. السؤال هنا وأنت د. خالص معني أيضاً. هل يعد مثل هذا الرحيل انتقالة فكرية أم انتكاسة في التدين الشخصي يبنى عليها فكر؟ ولأكن أكثر صراحة: يلاحظ عليك وعليهم أن الآخرة غير حاضرة في مشروعك، تطرح فكراً لعمارة الأرض بينما الدار الآخرة لا نكاد نتلمس أي إشارات لها..***

* أستطيع أن أرثي لكم فقط. لأن المسلمين مشكلتهم دنيوية أرضية واقعية. وأنت تبحث في الميتافيزيقيا. مثل مريض السل الذي تريد معالجته هذه الأيام بالدعاء. وهو ضد الدعاء والطب معاً. وهي كارثة عقلية لا حل لها في الوقت الحاضر. ما لم تحصل نقلة نوعية في التفكير وهذه لن تحدث دون صدمة مزلزلة لكل الفكر التقليدي. والمسلمون شبعوا من الحديث عن الآخرة وما يهمنا إحياء المنهج القرآني في الدفاع عن الأرملة واليتيم والمسكين ذي المتربة..

د. خالص جلبي منهياً مكاشفاته: (٣ - ٣)

أنتم لم تفهموا إلى اليوم ما يريده الأنبياء والعلم، والأمور مختلطة عليكم

- بفعل الوصاية الذكورية حولنا المرأة إلى كائن قاصر
- حتى اليوم لسنا في مستوى مناقشة نظرية داروين
- الفكر الإسلامي كسيح ويحتاج إلى عكازات
- لا توجد مؤشرات لوحدة إسلامية قريبة على غرار الوحدة الأوربية
- هناك قصور كبير في فهم معنى العبادة

* نشر الحوار في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٠/ ٩/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٢ م

بين يدي مكاشفات:

سأبوح في ختام هذه المكاشفات لقراء الرسالة الكرام بأن ثمة تعديلات كثيرة أجريت على المكاشفة من لدن ضيفنا د. خالص جلبي الذي تريث في بعض إجاباته والبعض الآخر كان من طرفي بسبب طول اللقاء - كما أسلفت في مقدمة سابقة - وإلى أمور أخرى لا تخفى على قارئنا الفطن. هذه البداية التي صدّرت بها مقدمتي مهمة جدا لأن أعتذر عبرها عن عدم محاججتي في هذا الجزء الذي تقرأون لضيف المكاشفات في إجاباته المختصرة، وكم حنقت على آلة التسجيل التي خذلتني خصوصا في هذا الجزء الذي بالكاد كنا نسمع صوت د. خالص فيها، مما اضطرني الى إرسال اللقاء كاملاً له، وقام هو بكامل اختياره في تعديل اللقاء وحذف وحقن ما رآه معبّراً عن رأيه. وقد بقيت لديه كل الحلقات التي فرّغ لها وقتاً غير يسير ليتمّها كاملة ومن ثمّ أعاد إرسالها لي مرة أخرى في صورتها النهائية.

كانت هذه معلومة مهمة تصحّح لبعض الفضلاء الذين اتصلوا بيّ يستفسرون مني وقد صدموا من هذا الطرح الذي يسمعونه لأول مرة، وفي ظنهم أن أفكار الضيف ربما كانت سبق لسان أو ما شابه وأن طمعي في غنيمة صحفية غلبت على الموضوعي والرسالي.

في تصوري أن من تابع مسيرة د. خالص جلبي من بداياته بل حتى من فترة أخيرة، لا يتفاجأ أبداً بما طرح في ثنايا المكاشفة من آراء جريئة ومصادمة، إلا أنني أصارحكم بأنني شدهت وأنا في حضرته - رغم إلمامي بكثير من آراء الضيف - وقتما سألته صراحة عن داروين ونظريته فأجابني من فوره بأننا لم نصل بعد إلى فهم الرجل ونظريته بله عن عدم أهليتنا لمناقشة أفكاره، ووجدتني أتذكر قائمة طويلة من الفلاسفة والمفكرين الإصلاحيين، وخصوصاً إبان النهضة الأوربية، وكيف نبذتهم مجتمعاتهم، وحكم على بعضهم بالإعدام، وكانت نظرياتهم وطروحاتهم الفكرية أو العلمية توصم بالكفر أو المروق، ولم تفهم حينها، أسماء طويلة وتترى

تدعم رأي ضيفي ابتداء من العالم الشهير غاليليو ومروراً بسبينوزا اليهودي الذي نقد الفكر اليهودي وكفّره أهل ملته، ولكنه اقتعد ولا شك مكانه بين المجددين الكبار في كتب الفلسفة، وغيرهما من الأسماء، وحاولت إقناع نفسي بتفهّم الإجابة، إلا أن داروين استعصى عليّ أبداً ولم أستطع استيعاب أننا لم نصل إلى فهم نظريته - بحسب ما وصمنا به د. خالص - وهذه النظرية الشهيرة له عن التطور قام بنقضها وتقويضها مفكرون عديدون من أهل ديانته، ووئدت في أرضها ومهدها وكفانا الله شرها، ولعلي أترك للإخوة المتداخلين مع د. خالص أن يسهموا في تصحيح هذه النقطة داعياً الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويلهمنا اجتنابه، مذكراً أحبتنا الكرام في محاولة التركيز والاختصار ليتسنى لنا نشر التعقيبات كاملة..

عبدالعزيز قاسم

*****

✍ ***ذكرت في حديثك بالحلقتين الماضيتين الوحدة الأوروبية وراهنت عليها بعد أن سقط رهانك في الولايات المتحدة بسبب زعمك تخليها عن مبادئها في مقابل مصلحتها الضيقة. هنا دكتور، ألا تستشرف في المقابل وحدة إسلامية؟ أم إنك تستبعد هذا الأمر على المدى القريب؟ وهل يمكن للحضارة الإسلامية أن تدلي بدلوها في مثل هذه الاكتشافات العلمية التي ذكرت؟***

* إذا نظرنا إلى العالم الإسلامي نجد أن دوله تعيش حالة تفكك وتشرذم، تركيا تسعى بقوة إلى الحصول على عضوية الاتحاد الأوروبي والمغرب تتمنى ذلك، أنا أتمنى من كل قلبي أن تحدث وحدة إسلامية وتنجز حضارة إنسانية بها عوامل جذب كثيرة، لكن للأسف لا توجد هذه المؤشرات حالياً.

غزارة الإنتاج الصحفي

✍ ***أنتقل معك الى محور آخر يتمثل في غزارة الإنتاج عندك، ما هو السر يا ترى، فأنت تكتب في الاقتصادية والشرق الأوسط وصحيفة الاتحاد وملحق الرسالة بجريدة المدينة وغيرها من المطبوعات؟***

* هذا سؤال جيد ولكنني قد أفاجئك إذا قلت لك إن لدي كماً كبيراً من الإنتاج الذي لم يُنشر بعد، كلّما تقرأ تتولد لديك أفكار أخرى جديدة، أنا أقرأ بكثرة وتتولد لدي أفكار من هذه الكتب..

✍ ***دعني أكن صريحا في هذه النقطة وألمز بقولي: إن من الأسباب أيضاً اطلاعك على الثقافة الألمانية وشغفك بالكتب والمجلات الألمانية، وربما أورد - ببعض ما قال به شائوك - أن خالص يمحور ما يقرأ في الثقافة الألمانية ويجيرها لنفسه. كيف تعلق د. خالص؟***

* هذه الكتب التي تراها بها كم هائل من المعلومات، أنا أقرأ الكتاب أكثر من مرة، ونتيجة لذلك تتولد الأفكار، نوعية الغذاء الأدبي الذي أتناوله دسمة، الشرق الأوسط أعطيها أهمية خاصة لأنها دولية، صحيفة المدينة محلية كما أن الجو فيها به بعض التشدد، لذلك ألجأ إلى استعمال الأسيد لإزالة هذا التشدد (قالها ضاحكاً) وأستخدم الأصباغ والأملاح، ولي خطة للتعامل معكم مدتها عشر سنوات...

"الشرق الأوسط " أرحب صدراً

✍ ***على ذكر الشرق الأوسط فقد كنت تكتب في الرياض ومن ثم انتقلت إلى الشرق الأوسط، هل لذلك ارتباط بعلاقتك بهشام حافظ؟***

* العكس هو الصحيح، فقد كتبت في صحيفة الرياض حوالي ٢٣٥ مقالة وفزت فيها بجائزة أحسن مقال، تعرفت على هشام حافظ وأعجبت به كثيراً، بعد ذلك

دعاني الشباب في الشرق الأوسط للكتابة عندهم، لكني كنت ولا أزال حريصاً على الكتابة في الرياض، ولها وضع خاص في نفسي، الشرق الأوسط أرحب صدراً.

✍ ***حدِّثنا عن قصة كتابك "فقد المناعة ضد الاستبداد"، فقد اطلعت على هذا الكتاب لك مع هشام حافظ وجودت سعيد، البعض أشار صراحة إلى عدم المواءمة بين ما تطرح وما طرح؟ فكيف يجتمع خالص جلبي بهشام حافظ؟***

* الكتاب مكون من أربعة أقسام، وقد تناقشنا في الموضوع واخترنا له عنواناً معقولاً، أصل المقال كتاب عن العبودية كُتبت عام ١٥٢٦م وقد علق عليه جودت سعيد وكتبت أنا فيه ١٥ مقالاً وعلق عليه هشام حافظ، وتوافق كل ذلك في معالجة الاستبداد، نعم هناك تنوع في الكتابة واختلاف في الأسلوب لكننا نتفق تماماً في الرؤية.

✍ ***ومع ذلك فإن عدداً من مجايليك يشتكون من أطروحاتك العميقة التي يقولون إنها باتت تُضغط وتُطرح في شكل كبسولات صحفية بعد أن كانت تتمدد باسترخاء على صفحات الكتب ويستطيعون الوصول لما تريد أن تقوله ببساطة ويتناولونه بالتحليل والنقد، وهذا لا يتأتى مع كبسولاتك الصحفية، كيف تعلق على ذلك وهل توافق عليه؟***

* هذا كلام صحيح وسليم، لكن المساحة التي تعطى لي تفرض علي ذلك، في الشرق الأوسط يعطونني مساحة ألف كلمة، لذلك لا بد أن يكون المقال مكتوباً بطريقة قوية ومثيرة بحيث يقرأه القارئ أكثر من مرة، ليس لدي مساحة كافية، إذا أعطوني مساحة ألفي كلمة أستطيع أن أكتب بإسهاب، في صحيفة الرياض كنت أحياناً أكتب صفحة كاملة أو ثلاثة أرباع الصفحة وهذا يحتاج إلى صبر في القراءة، لكنها كانت مقالات تأسيسية.

✍ ***للأسف انعكس الحيز الصغير المتاح لك في الصحف إلى وقوعك في أخطاء منهجية ولأدلل على كلامي: في مقالتك التي نشرت في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٥ سبتمبر ٢٠٠١ بدأت بسؤال عن الصحوة وعما إذا كانت تمثل فعلاً ولادة جديدة للعقل المسلم أم أنها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء؟ فمن الجملة الأولى - كما نقد ذلك أحد الباحثين - حاصرت نفسك والفكرة والقارئ ووضعتنا أمام خيارين يمثلان طرفي النقيض دون أي اعتبار للنسبية الممكنة في القضية. ونفس الأمر فعلته في مقالة "عندما تمرض الثقافة" المنشورة بالرسالة عندما اعتبرت أهم قضية في الإسلام - بحسب د. سعيد الغامدي - بين محصورتين لا ثالث لهما بقولك "التوحيد مسألة سياسية أكثر منها ثيولوجية"..***

* المناطقة يضعون الحواف الحدية في الأشياء وعندما بدأت حديثي عن الصحوة الإسلامية وضعت حدود البحث ولكن لم أستوعب كل الاحتمالات ولذا انتهت المقالة أن هناك احتمال ولادة شيء جديد إصلاحي مثل الذي يحدث في إيران. ولكن يجب أن لا نسرف في تفاؤلنا؛ فالانحطاط الحضاري لا يرتفع في أيام. وأما فكرة التوحيد فهي التي انتقاها صلى الله عليه وسلم في رسائله لملوك الأرض من الزاوية السياسية أن لا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله. فهذه جدلية الصراع الإنساني وليس هناك أشرس منه. وكما يقول أحد الصالحين إن آخر ما يخرج من قلوب الصالحين حب الزعامة.

✍ ***يتهمك بعض خصومك أن طروحاتك الصحفية بها مشكلة منهجية تتمثل في طغيان لحلاوة النقد التي أنت مولع بها على ضبط المعاني والقضايا، وثمة غرور علمي ينز من بين سطورك.. كيف تعلق دكتور على هذا الاتهام؟***

* نحن بحاجة ماسة للنقد؛ لأنه يدخل آليات التصحيح والنمو. وأما الغرور العلمي فهو مرض يجب أن نحترز منه والرسوخ في العلم يعلم التواضع. وكل منا غير محصن ضد أي مرض ما لم ينتبه له ويأخذ المناعة المناسبة.

✍ ***على ذكر "الصحوة الإسلامية". حصرت لنا في مقالتك الآنفة هذه الصحوة في) أربعة من التوجهات الأساسية التي توجد في مختلف بقاع العالم الإسلامي: (نموذج ديدات) و (حركات الإسلام السياسي) و (الفكر التقليدي) و (المتصوفين).. هلا أجملت لنا رأيك هنا..***

* من يرصد واقع الحركات الإسلامية والنشاط الإسلامي عموما يجد أنه موزع في تيارات. مثل التيارات الحزبية السياسية وتيارات التقليد بين فقيه ومتصوف وهناك موجات جديدة مستقلة واليوم ظهر في الساحة تيار معتدل أكثر كما إن التيارات الحزبية بدأت تتطور وتميل للاعتدال ولكن هناك أخطاء كروموسومية صعبة الإصلاح إن لم تكن مستحيلة.

العقل أولاً

✍ ***سأعود واعذرني إلى موضوع المنهجية:حيث يقوم الأساس المعرفي لديكم على قاعدة العقل أولاً ثم إن الواقع والمصلحة والنص تبع لذلك هل هذا صحيح؟***

* سوف أختصر لك المسألة على النحو التالي: لو ذهبت إلى بلد فلن تتعامل دون لغة لأنها مفتاح المفاتيح وهو ما تفعله أي دولة كمسألة لا تخضع للنقاش عندما تبتعث أولادها للدراسة. والكون هو بلد غريب يحتاج إلى لغة وهي العقل الذي أكرمنا الله به، فنفهم به الوجود والنصوص وإن في خلق السموات والأرض لآيات لأولي الألباب.

✍ ***إذن هل أستطيع إسقاط ما ذكرت على تفسيرك لـ"السائحات "في مقالتك بالرسالة بتفسير لم تسبق إليه، وكذلك تفسيرك لآيات الرق. ثم - من جهة أخرى - أليس هذا تعديا على التخصص حيث إنك لست مفسراً؟***

* لا أدري كم يجب أن أصلح لك أوليات في التفكير. فليس هناك في الإسلام رجال دين ومفسر وفقيه في شهادات تحتكر الفهم وتجعله حراماً على غيرهم. وتفسير السائحات بسيط للغاية وهو أن الكثير من المفسرين مروا عليها ولم

يستطيعوا أن يستوعبوا امرأة مسلمة تمارس السياحة؟ وهو يذكرنا بقصة الملا الكردي مع تلاميذه حينما قرأ نصا باللغة العربية عن الفأرة التي خرجت من السمن حية أي على قيد الحياة فترجمها حية بمعنى ثعبانا. والقاسمي ذكر ما ذكرت من أن المعنى لا يصرف إلا بقرينة ولا يوجد قرينة. وهي كارثة الثقافة عندما يسقط عليهم السقف من فوقهم.

المرأة في فهم جلبي

✍ ***الموضوع الدائم والمتكرر مذ عقود طويلة في أوساط الإسلاميين والجدل الحاد حياله: موضوع المرأة. قرأت لك رأياً سقت فيه رأياً لمالك بن نبي قلت فيه: "ومن أعجب التحليلات وأطرفها التي وصل إليها أن كلاً من دعاة تحرير المرأة والحجر عليها ينطلقون من قاعدة نفسية (لا شعورية) واحدة أساسها مشاعر جنسية" هلا أجليت لنا الرأي.***

* شرحه بسيط من علم النفس وهي أن من يشتد في تغطية المرأة مثل من يشتد في تعريتها، فكلا الفريقين ينطلق من دوافع جنسية لا شعورية في امتلاك المرأة. ولباس المرأة هو للمرأة وهي التي تقرر ماذا تلبس، ولكن بفعل الوصاية الذكورية حولناها إلى كائن قاصر نفرض عليها ماذا تلبس وكيف تتصرف، وهذا قتل لإرادة الأنثى وتحريف لوظيفة الذكر.

✍ ***لنترك المرأة وقضيتها التي لا تنتهي، وأنتقل معك الى محور آخر. العدل - دكتور خالص - يقتضي عند الحديث عن فرد أو مجتمع أو دولة أن تذكر الحسنات والسيئات ولكن خالص جلبي لا يذكر الدولة الأموية إلا بالسيئات ولا يعرج على ذكر شيء من فضائلها وجهودها في نشر الدين، فهل السبب أن أول أمير لها هو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أم شيء آخر؟***

* أكبر كارثة في تاريخ الإسلام هي الانقلاب الأموي، وهي واحدة من أعظم ثلاث كوارث في تاريخ المسلمين. جاء بعدها إغلاق باب الاجتهاد ثم رحلة كولومبوس.

لأنه مع الانقلاب الأموي تمت مصادرة أعظم تجربة رائدة في تاريخ الجنس البشري وهي آلية نقل السلطة السلمي. ومعها رجع العرب إلى حكم القبائل، وتحولت الدولة الراشدية إلى بيزنطة بعباءة عربية. إنني أكاد أبكي وأنا أتصور ضياع هذا الكنز من يد المسلمين بعد أن بناه محمد بن عبدالله صلوات الله عليه بتوجيه الوحي وتعب الصحابة ودماء الأنصار والمهاجرين. إن القلب يتفطر لما فعله البيت الأموي بعد ذلك. فمن كان كل الوقت ضد الإسلام ركب الموجة وأخذ تعب الصحابة والمهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وكل من جاء بعد ذلك فشل في إعادة الحياة الراشدية وآلية نقل السلطة السلمي، وكنا كقصة يوسف الذي وقع في البئر بدون سيارة تمر عليه فتخرجه. ولم يأتِ الخلاص إلا من الغرب، فهم الذين استفادوا من تجربتنا وأحيوا سنتنا بتوليد آلية نقل السلطة السلمي. وما نراه اليوم في الغرب من فك هذا السحر هو إعادة للعهد الراشدي سياسيا بعد أن غاب في رمال العرب وأنا أتعجب من عجبكم، ولكن الله سيحكم بيننا وأفوض أمري إلى الله إن الله يحكم بين العباد.

نظرية داروين وجلبي

✍ ***أستأذنك هنا د. خالص وأسوق لك بعضاً من جملك التي أشكلت علي وعلى متابعيك، فثمة شبه تحتاج منك إلى بعض الإيضاح. ذكرت في إحدى كتبك في فصل "الثورة العلمية الحديثة والإيمان" ص ١٢٨ إنسان تيم وايت، وذكرت في سياق كلامك ما يجعل مثلي يجزم بتأثرك بنظرية داروين، وها أنا أسرد لك نصاً ما ذكرت" وأهم ما تم الوصول إليه وأكثرها مدعاة للإثارة رؤية اليد والقدم كاملتين، لأنه من القدم يعرف طرفاً من المشي المنتصب، ومن اليد قصة تحررها وانطلاقها للإنتاج بدلاً من الاعتماد عليه في المشي، كما هو الحال عند الغوريلا والشمبانزي وقرد البابون، فمع تحرر اليد انطلق الإنسان نحو ثورة تصنيع الأشياء،.." . أتوسم في صراحتك لتحدثني وقرائي ماذا قصدت، وما الذي تود قوله؟***

* مرة أخرى أتعجب منكم وأنا أتحدث لكم في علم الانثروبولوجيا ومثلي بينكم مثل الصيني الذي يريد أن يتحدث بالصربية أو الأخرس الذي يريد أن ينقل الكلام عن آخر مهمته الكلام. وبينكم وبين العلم سنة ضوئية. ولا أدري إن كنتم تعرفون مقدار المسافة بالسنة الضوئية.

✍ ***دكتور مقامك محفوظ إن شاء الله، ولكن دعني أستشرف رأيك أنت شخصياً دكتور خالص في داروين، وما رأيك بنظريته. وهل فعلاً تلك النظرية متقدمة زمنياً على ذلك العصر وعصرنا أيضاً؟***

* مرة أخرى أجدني عاجزاً في الشرح لكم لأن ما قاله دارون كان عام ١٨٥٩ ونحن الآن على عتبة عام ٢٠٠٣م ولكننا حتى اليوم لسنا في مستوى مناقشة عام ١٨٥٣م مثل طالب الحضانة الذي تقرأ على رأسه فيزياء الكم؟ أي إن العلم قفز قرناً ونصفاً متجاوزاً دارون ونحن لم نقترب من دارون، كل عام وأنتم بخير.

✍ ***لا بأس، لنترك داروين ونظريته، وننتقل معك إلى كتابات لك عن الصلاة أشكلت على عوام أمثالنا. قلت - حفظك الله - في ورقتك التي عقبت فيها على ورقة هاني رزق ص٢٦٨ ما نصه: "قد يصلي الإنسان ولا يصلي، والعكس صحيح، فربما كان لا يؤدي حركات الصلاة وهو مستغرق فيها؟ فالإيمان كمّ مفصول عن الطقوس وحركات العبادة (.....) إذا كان الفرد يؤدي الحركات ولا يخشع فهو عمليا خارج الصلاة حيث يحط قلبه، وقد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، وإذا سمع الفرد ضربا من الموسيقى الرائعة فشعر بالكهرباء تسري تحت جلده، أو سمع قصة مؤثرة فاحتدمت النفس وارتفع التوتر ففاضت العين بالعبرة كان في أعظم صلاة (...) دراويش المولوية في حالة الرقص يدورون لساعات وهم يسبحون في عالم خاص بهم في حالة صلاة خاصة". عفواً دكتور هلا أجليت لنا مسألة هذه الصلاة التي تنصرف من عامي مثلي مباشرة إلى ما تعارفنا عليه؟***

* وهذه مشكلة جديدة تحتاج لشرح مفهوم العبادة وقد كتبت فيها مقالة في الاقتصادية وإليك المقالة:

ما هي العبادة؟

يظن بعضهم أن العبادة هي الصلاة وهذا خطأ في فهم العبادة والصلاة معاً. ويظن بعضهم أن الذنب هو مسألة جنسية ولا يخطر في بالهم أن الكسل من أعظم الذنوب، وأن الله يحب العاملين، ونعم أجر العاملين، لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى. وهناك من يرتكب الموبقات السبع ثم يذهب لقضاء عمرة فيظن أن خطاياه غسلت ولا مانع من العودة لارتكاب المحرمات كلها والعودة كل سنة لهذا الحمام الذي يأباه الله والصالحون والملائكة بعد ذلك ظهير. وفي يوم كتب سيد قطب أنه لم يفهم تماماً سورة البقرة وذلك الحشد الكبير من الأحكام، فهي أطول سورة في القرآن عدد آياتها ٢٨٦ وفيها أطول سورة ليست في الصلاة بل في الدين. وفيها آية من أعظم ما نزل هي آية الكرسي. وبعدها مباشرة آية تعتبر أعظم قاعدة في إطلاق الحريات في التاريخ الإنساني وهي آية لا إكراه في الدين. ومع وضوحها فهناك من المسلمين من يؤمن أن الإنسان يستخرج منه بالإكراه أكثر من الإقناع. وعند هذه النقطة يقف النظام الديموقراطي لأنه يعتمد أسلوب الإقناع ولو بالخداع والمال والدعاية والتمويل، فهو يأكل عقل الإنسان بالفتنة والإغراء والغواية، ولكن ليس على الطريقة الشرقية بالسوط والمخابرات والتعذيب، فهذا هو فرق الشرق عن الغرب. وفي نهاية بحثه وصل سيد قطب إلى اكتشاف مهم هو أن كل ما ورد هو لون من العبادة، فالصلاة عبادة والجهاد ذروة العبادة ولكن بشروطه الفنية، فلا يمارس الجراحة الجزارون بتقطيع اللحم على الوضم بل الجراحون في قاعات معقمة وأدوات مطهرة واستعدادات هائلة. والصيام عبادة والنكاح عبادة والضرب في الأرض عبادة والسياحة عبادة ولذلك

قرب بينهما فقالت الآية ﴿الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ﴾ كما في صور الطاقة التي تتدفق من حقيقة واحدة، فالعبادة حقيقة أساسية وصورها لا نهائية مثل الكهرباء التي تنقلب إلى حركة وحرارة. وروى لي من أثق به عن مسئول كبير أنه وقف يوما يشرح هذه الحقيقة الجوهرية لمن حوله فقال: هل تظنون أن أحدكم إذا همهم ودمدم في المسجد واكتفى عبد الله. انطلقوا مع الصلاة للعمل وإعمار البلد ولسوف تكونون خير العابدين.

✍ ***جميل منك ما تقدم، ولكن دكتور استعمال هذه المفردات، ألا يخشى منها الفتنة على الدهماء والعامة، وهنا بعض المشكل. ودعني نصاً من نصوص عديدة تزخر بها كتاباتك، عندما قلت في نفس الكتاب السابق في كلامك عن العقل ص٢٦٩: "فهذا منبع الإيمان ما له من نفاد، من خلال علاقة جدلية تربط العقل بمصادر وحي جديدة لا تنتهي، أي الطبيعة والتاريخ والتصوف". وأيضاً "يزعم هورن أنه وضع يده على الموضوع بمزج فكرة القانون مع التدخل الإلهي وحل العقدة المستعصية القديمة في الجمع بين كون مبرمج وراءه عقل مطلق لا نهائي رفيع الدرجات ذو العرش وبين قوانين ثابتة ينتظم الكون من خلاله..." قصدت أن ثمة شبهة ربما تعرض، أليس من الأولى استبدال تلك المفردات التي ربما تكون موضع شبه أنت في غنى عنها لا سيما أن مثلك يمتلك ناصية اللغة لا قوة إلا بالله..***

* الفكر الإسلامي كسيح ويحتاج للعكازات دوماً، معك حق.

✍ ***اعذرني دكتور، لا بدّ أن أسوق ما تعبت وأتعبت في رصده، من ذلك ما طرحته من أن العلم حقق للجنس البشري ما لم يستطع تحقيقه الأنبياء على مدى العصور ص ٢٢٧ من الثورة العلمية الحديثة والإيمان: "الذي تقدم في حل مشكلة العنف الإنساني كان العلم، وبدأ الجنس البشري يودع الحرب بشكل تدريجي (...) والتقدم الذي حققه الجنس البشري اليوم كان بواسطة العلم***

وبذلك تم تدشين موعظة الأنبياء بقاعدة علمية لأول مرة في تاريخ الجنس البشري". هلا وضحت لنا ما قصدت دكتور؟

* مرة أخرى أنتم لم تفهموا ما يريده الأنبياء والعلم، والأمور مختلطة عليكم، وقضية السلم قضية جوهرية نادى بها الأنبياء، ولكن الكثيرين يرون أن القتل سيد الحلول.

✍ ***دكتور ما بيدي من أوراق لم تنتهِ، ولكن وقد ختمت إجابتك السابقة بعبارة ربما تحاكمنا الاستخبارات الأمريكية عليها، أستأذنك في توجيه شكر خاص لهذه الأريحية التي تحملت عبرها ما أطلنا عليك، وأنت برحابة أسئلتنا المشاكسة، وكنت بدرجة من السماحة والبشر كبيرتين.. كلمة أخيرة في نهاية هذه المكاشفة العريضة معك والتي استمرت قرابة الخمس ساعات متصلة.***

* المسلمون اليوم يعيشون أزمة كبيرة، وأوضاعهم من ثقافتهم، وهي فشلت في المواجهة، فلا بد من إعادة بناء الثقافة، ونحن نظن أننا نشبه الصحابة مع الاختلاف البيولوجي، وهذا خطأ في فهم الصحابة ومن نحن؟ ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، لكن ما هو الشيء الذي يجب أن يغير؟

رجاء أحمد جمال*:

مكاشفات أم سقطات!

- إنما يريد (جلبي) إسلاما غير إسلام الرسول صلى الله عليه وسلم.
- إخضاع النص للرأي الشخصي يؤدي للانزلاق في الخطأ.

أبدأ مع المحاور الفاضل الاستاذ/ عبدالعزيز قاسم فأشكره جزيل الشكر على كشفه لمفاهيم يجب أن تصحح وينبه إلى فسادها حتى لا يتبعها أو يتبناها الجاهلون ظناً منهم بأنها حق، وحتى لا يصر عليها معتنقوها - والداعون إليها - على التمسك بها ونشرها بين العامة لأنهم بفعلهم هذا إنما يرتعون في مرتع وخيم ويدعون إلى ضلال مبين. فشكر الله له وأجزل له المثوبة ولمساعديه.

ثم أمضي مستعيناً بالله أولاً - ثم على قدر علمي المتواضع - للدكتور خالص الجلبي.. فلي وقفات مع عجائبة وغرائبه، وسقطاته وتناقضاته في فهمه لأمور شتى في منهجية الاسلام خاصة فيما يتعلق بفريضة الجهاد.. فهو بما كشف عنه في قرارة نفسه إنما يريد لنا إسلاماً عصرانياً جديداً غير إسلام الرسول صلى الله عليه وسلم. إسلاماً يوافق رغبته وهواه وينبثق من خلال رؤيته الثاقبة وفكره المستنير وعلمه الواسع وذلك لوصفه إيانا - مسلمي العصر الحاضر - مرة بالجهال، وأخرى بالمتخلفين، وثالثة بأنه يرثي لنا، ورابعة بأن بيننا وبين علم (داروين) سنة ضوئية لا نعرف حتى مقدار مسافتها، وخامسة بأننا لا زلنا - بعلومنا ومعارفنا الحالية مقارنة بمن حولنا من غير المسلمين - كطالب في الحضانة تُقرأ على رأسه فيزياء الكم! فيا لفجيعة الأمة فينا يا سيدنا الطبيب المستنير !!!

على كلٍ.. لابأس عليك ولا تثريب علينا.. فهذا رأيك نتاج درسك، وهذا فكرك نتاج بغضك لبني جلدتك.. ولنا حياله رد من خلاله ننبه إلى خطورة ما طرحت وتريدنا أن نؤمن به وهو على خلاف ما جاء في قرآننا العظيم وسنة نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم خاصة فيما يتعلق بفريضة الجهاد في سبيل الله تعالى.

إذ لا بد من تحليل قويم وتعليل سليم وإدراك فهيم غير سقيم أو يخدم المصلحة الخاصة، إذ إن إخضاع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة للرأي القرآني لذا.. فلا يجب إخضاعها لرغبات وهوى النفوس ومصالح الدنيا.

١ / **المنهج القرآني**.. يقول سعادته: (بأن المسلمين شبعوا من الحديث عن الآخرة وما يهمنا هو إحياء المنهج القرآني وهذه لن تحدث إلا بصدمة مزلزلة لكل الفكر التقليدي).. ماشاء الله يا إمام المجددين.. ما تعلمناه منذ الصغر أن من أولويات وأساسيات المنهج القرآني الذي تريد إحياءه أنت الآن: (التذكير بالآخرة لأنها الغاية وهذا لا يتأتي إلاّ بالتكرار) فكيف يُشبع من هدى ونور مبين.. ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.

لو أنك قلت إن بعض أساليب عرض ما جاء في القرآن عن نعيم الآخرة وجحيمها على أفراد الأمة يحتاج إلى مراجعة ربما نكون معك، أو لو أنك قلت بأنه علينا أن نترك الخلاف في فهم الآخرة ونصل لفهم موحد أو متقارب دون تعنت وتنطع حتى لا ينفر الناس قد نؤيدك بعض الشيء - لكن من غير مسالمة لدرجة الخضوع فنبيع أخرانا بدنيانا، فالله قد اشترى من المؤمنين الأموال والأنفس بأن لهم الجنة، والجنة في الآخرة وليست في الدنيا.

ثم ما هو قصدك بـ (الفكر التقليدي) الذي تريد له صدمة مزلزلة.. أهو فكر السلف من علماء الأمة العظام وفهمهم للإسلام ومنهجيته في الدعوة بالتذكير..؟

وكيف نصدق من يدعو بمثل دعواك هذه - وما سيأتي من رأي لك سنورده لاحقاً - بأنه يحمل هم النهوض بالأمة.. (زعم الفرزدق أن...)؟

٢ / **بتر الآيات وتفسيرها وفق ما تهوى الأنفس**.. يقول الدكتور: (الجهاد في سبيل الله غير القتال في سبيل الله، الجهاد معناه عام ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾.

الجهاد هو استنهاض الفكر لفهم الإسلام والدعوة إلى التمسك به.. أما القتال فهو استخدام القوة المسلحة لأغراض معينة وضد شيء معين وفي ظروف معينة)!

في هذه الآية الكريمة من آخر سورة العنكبوت يقول القرطبي: (أي جاهدوا الكفار فينا.. أي في طلب مرضاتنا.. وقال السدي بأن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال، قال ابن عطية فهي إذن قبل الجهاد العرفي وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته.. وقال الداراني سليمان: ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط، بل هو نصر دين الله والرد على المبطلين وقمع الظالمين).

وأما ابن كثير فيقول: المعني بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ هم رسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين و﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ إي لنبصرنهم طرقنا في الدنيا والآخرة.

فأين فهمه وشرحه للآية من تفسير هذين الإمامين!

وفي موضع آخر يرى الدكتور خالص أن في رفع الظلم عن المظلومين نوعاً من (الجهاد في سبيل الله) حتى ولو كان الرافعون له كفاراً ضد المسلمين إذ يقول: (هناك من الناس من يعاملون بالقمع في العراق، إذاً عمل أمريكا الذي تريده هو نوع من الجهاد لو صدقت.. وفي أي مكان في العالم يظلم الناس).

وهذا القول والرأي لا يقر به عاقل ناهيك عن مسلم قرأ كتاب الله وعلم حديث نبيه صلى الله عليه وسلم. لأن من معاني هذا القول: اختزال الجهاد في سبيل الله ليكون في الفكر دون النفس والمال، ومساواة للكافرين بالمسلمين في فريضة الجهاد وثوابه، وهذا مخالف ومضاد لأوامر الله عز وجل.

فعندما يعين المسلم الكافر على أخيه المسلم بحجة رفع ظلمٍ لم يُحدد وفيه مصلحة للكافر والمسلم قد أدى عهده إليه.. فهذا لا يسمى جهاداً إنما يسمى اعتداءً وظلماً مبيناً.

إذن فالقول بأن مهمة رفع الظلم - العاملون فيها من الكافرين والمسلمين سواء بسواء - يعد جهاداً في سبيل الله تعالى هكذا على الإطلاق افتراء على الله.. فسبحانه وتعالى لم يقل بأن ما فعلته أمريكا مع مليسوفيتش وكذلك ما فعلته بأفغانستان وما ستفعله مع صدام - وشعبه ليس بمنأى عما سيقع - هو نوع من الجهاد في سبيل الله. ثم كيف تقول أولاً (الجهاد في سبيل الله غير القتال في سبيل الله) وهنا تقول: (إذاً عمل أمريكا الذي تريده هو نوع من الجهاد لو صدقت) فهل أمريكا ستعتدي أو تجاهد ضد العراق المسلم بالفكر والحوار والدعوة للخير أم بالقنابل واليورانيوم؟

ومما يعجب له أن الدكتور خالص عندما عارضه المحاور الكريم في رؤيته للجهاد هذه وتلا عليه بعض آيات الجهاد وبعض الأحاديث النبوية التي وردت فيه وبشكل لا يحتمل التأويل ولا يصح الاجتهاد معها.. مارس الدكتور الالتفاف على ما سمع من آيات واضحات وأحاديث بينة واستشهد بجزء من آية لم يكملها ولا علاقة لها بالجهاد في الإسلام وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا**﴾. وأدخل مبدأ رفع الظلم ليربطه بالجهاد الإسلامي وجاء بقصة بني إسرائيل وبأنهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم، وأشار إلى الشعب العراقي ومعاملة النظام له بالقمع وبأن ما ستعمله أمريكا ضد العراق يعد نوعاً من الجهاد في سبيل الله تعالى إن صدق الأمريكان على حد قوله فهم كذابون عنده.

ما هذا الخلط في القول والتخبط في الفكر.. أتعد أمريكا دولة الكفر والظلم والإرهاب دولة مجاهدة في سبيل الله إن قامت بغزو العراق وقتل شعبه واحتلال أرضه ونفطه بحجة التخلص من النظام الحاكم فيه.. من الذي دعم هذا النظام ليقتل مئات الألوف من المسلمين في إيران ومن حرضه على غزو الكويت...!

والأعجب من ذلك أنه يبتر الآيات الكريمات فيأخذ منها ما يوافق رأيه ويؤيد نظريته ويطرح جانباً بقية الآية دون أن يورد قول المفسرين أو بعضهم.. فآية سورة البقرة أعلاه التي استشهد بها على جهاد بني إسرائيل أورد أولها وترك آخرها - كما أسلفت - حتى لا يُعرف بأن من قاتل من بني اسرائيل في سبيل الله كانوا قليلاً، وكمالة الآية: ﴿.. وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وليته تدبر ولو قليلاً قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فمن المقصود يا دكتور؟

وكذلك الأمر بالنسبة لآيتين أخريين فقد اختار جزءاً من الثانية وترك الأولى وبقية الثانية لأن الآيتين تقرران حقيقة من حقائق الجهاد في سبيل الله في ظل الإسلام يقول تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ هذه الآية الأولى التي لم يوردها بتاتاً وأما الثانية فأورد منها فقط ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وبقيتها ﴿إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لعل الدكتور الفاضل لم يدرك بأن في إخفاء بقية الآية إيحاء إلى تساوي جهاد الكفار مع جهاد المسلمين واختزال العلة للشروع في الجهاد هو الظلم والإخراج من الديار.. أرجو أن لا يكون الدكتور ممن يأخذون ببعض الكتاب..!

ولعلها زلة لسان إذ قال: (إذاً مبررات القتال هي الإخراج من الديار والعقيدة) أقول زلة لسان لأنها لو لم تكن كذلك لما أيد أمريكا في حربها على العراق وأفغانستان ودعمها اللامحدود لليهود في فلسطين.. ولما بتر الآيات القرآنية ولم يستشهد بحديث واحدٍ عن النبي صلى الله علية وسلم.. فالحمد لله الذي يخرج ما يكتمون.

بل والأكثر عجباً قوله لما طرح عليه سؤال حول مفهوم جهاد الدفع والطلب: (يا أخي الكريم حتى تكتمل الصورة عليك أن تأتي بالآيات كلها..) سبحان الله هنالك بتر متعمد وهنا مطالبة بالكل.. ضدان كيف اجتمعا في فكر رجل واحد..!

٣ / **ضربه لأمثلة**.. نعلم أن للتمثيل شروطه ومعاييره ويعد ما أورده ضيف المكاشفات في هذا المجال دليلاً على زعزعة في الفكر. فعندما سئل عن مفهوم الجهاد في الاسلام لديه قال - كتدليل على صحة نظريته وصواب فكره - بأن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أكد على أن الاسلام لا يدعو للقتل وضرب مثلاً على ذلك بما نصه: (إذا خرجت الآن في الشارع فسوف تجد رجال شرطة مسلحين لكنهم لا يستخدمون سلاحهم ضد المواطنين..) ما هذا.. هل فرض الجهاد على المسلمين ضد إخوانهم المسلمين في أوطانهم؟ هل رجل الشرطة في الشارع يعد مجاهداً؟ إذن فجميع موظفي الدولة مجاهدون كذلك وهم أوفر حظاً من غيرهم في الأعمال الخاصة، وهم أيضاً ليسوا رعاة يُسألون يوم القيامة عما استرعاهم الله عليهم كما قال النبي عليه الصلاة والسلام. وأود أن أنبه إلى أنه قال قبل هذا القول بأن الجهاد غير القتال!

ثم يطرح سؤالاً لا يجهله كثير من المسلمين وهو: (لماذا لم يستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم القوة المسلحة في مكة؟ وهذا سؤال كبير).

أقول يا دكتور تحتاج إلى أن تراجع التسلسل التأريخي للرسالة المحمدية وبشكل دقيق، فما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وحتى المدينة إنما فعله بأمر من الله تعالى وبتدبيره سبحانه، وإليك بعض الآيات التي أرجو أن تكلف نفسك فتقرأها وتبحث متى وأين نزلت لعلك - بل من المؤكد - تجد إجابة شافية لسؤالك الكبير. ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ**﴾ ﴿**وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً**﴾ ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ**﴾ ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ وقد ورد بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعد أصحابه بالفرج والنصر كلما شكوا

إليه ما يلاقونه من أذىً وتنكيل بهم في مكة، وكان يقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

ثم ليتك كما قرأت عن ابن الجوزية وأخذت منه ما وافقك - تعود إلى ما كتب به الإمام ابن القيم في زاد المعاد وابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية - عن الجهاد وأنواعه ومراحل تشريعه ومراتبه.. وتطلع كذلك على ماجاء في هذا الشأن لدى ابن هشام في السيرة النبوية وأيضاً تعريف الأئمة الأربعة - رحمهم الله جميعهم - للجهاد لغة وشرعاً لتتعلم إن كنت لا تعلم كيف فرض الجهاد على أمة الإسلام وعلى من ومن يقوم به ولماذا ومتى .

٤ / **تفسير تنويري جديد**.. يقول الدكتور: (بأن لا إكراه في الدين.. وأن الأديان السماوية أنزلت من أجل أن يؤمن بها الناس، والأنبياء لم يرسلوا لكي يصادروا آراء الناس ويفرضوا عليهم القوة المسلحة.. تقريباً كل حكام العالم العربي جاؤوا عن طريق بوابة الانقلابات العسكرية وفرض الآراء بالقوة المسلحة، الاتحاد السوفيتي بنفس الطريقة وكذلك النازيون والفاشيون والأمويون والعباسيون وحتى صلاح الدين الأيوبي كلهم يتفقون في نفس الأمر وهو أخذ السلطة بالقوة المسلحة والغلبة والأنبياء لم يأتوا كذلك وهذا هو السر النبوي). يا للمأساة وهذا دليل ضعف في فهم الرسالات السماوية ومراحلها أو أزمانها ومهمة الأنبياء.. عن الآية الكريمة في سورة البقرة: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ..﴾ يقول ابن كثير بأنه ذهب جمهور من العلماء إلى أنها محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية.. وآخرون قالوا إنها منسوخة بآية السيف ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ.. ﴾، وأما الشوكاني فيرى بأنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ..﴾، وأما ابن مسعود رضوان الله عليه فقد روي عنه بأن آية السيف لم يبقَ بعد نزولها لأحد من المشركين عهد ولا ذمة.. فإن كان لدى الدكتور أقوال أخرى تعارض ما جئنا به فليعرضها علينا وإلا فليكن استشهاده واضحاً وقياسه صحيحاً وطرحه أميناً.

وأما فيما يتعلق بالأديان السماوية فلا يمكن أن نقول وعلى الإطلاق هكذا بأن ما نعلمه من آياتها جميعها صحيحة لأننا نوقن بتحريفها - إلا الإسلام - كما ولا يمكن أن نقبل بأن يوحى لأهل الديانات الأخرى جميعاً غير المسلمين بأنهم يدينون بأديان يقبلها الله حتى وإن كانت غير الاسلام وأنهم عند الله سواسية كفاراً ومسلمون فالله تعالى يقول: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ سورة آل عمران.

ثم من قال بأن الانبياء لم يرسلوا لمصادرة آراء الناس - هكذا على الإطلاق أيضاً - ماذا عن الآراء الخاطئة والمضللة والمفسدة وأهلها.. وماذا عن العمل أولاً بالنصح والتوجيه باللسان لتصحيحها وتقويمها ومن رفض أو تعالى رفع عليه السيف أو أقيم عليه الحد بقوة السلاح.. ما رأي الدكتور في حروب الردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم ما دخل الأديان السماوية ومصادرة الآراء في سياسات الحكام العرب ووصولهم لسدة الحكم.. أهم حجة على الإسلام أم الإسلام حجة عليهم، ما رأيك في من يحكم بغير ما أنزل الله، وماهو قول علماء السلف والخلف فيه!

وكيف تساوي بين صلاح الدين الأيوبي وبين الشيوعين والنازيين.. إلخ، أهو قد خالف يرحمه الله - في استرداده للقدس ومسامحته للنصارى وسماحه لهم ليقيموا شعائر دينهم والإبقاء على كنائسهم وعدم السماح لليهود للإقامة فيها - قد خالف - نهج الانبياء عليهم الصلاة والسلام.. أي فهم سقيم هذا للإسلام وتشريعاته ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**﴾.

ومن الغرائب لدى الدكتور النابه أنه يريدنا ومن عندياتنا أن ننسخ آيات الجهاد التي وردت في القرآن الكريم أو نتركها ولا نأخذ بها - والتي ذكره بها الأستاذ عبدالعزيز - وذلك لمجرد استشهاده بالآية الكريمة ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ..**﴾.

أتزعم بهذه بتساوي بين من يقاتل فيقتل في سبيل الله إعلاءً لكلمته وابتغاء لمرضاته بمن يقاتل فيقتل ليرضي بغضه وحقده وشهوته ويحقق مصالحه: أليس في فعل الثاني قتل للنفس بغير حق !

ومما يؤكد استشهاد الدكتور بالآيات لتحقيق رغبة خاصة في نفسه دون إنزالها في مواضعها أن هذه الآية الكريمة أنزلت على النبي ليتلوها على إخوة القردة والخنازير وأشباههم من المفسدين المبغضين لا على المسلمين.. أفنحن أمثالهم أو أشباههم.. آمل أن يراجع الدكتور كتب التفسير ويحسن فهم ما جاء فيها لئلا يزيد من سقطاته.

٥ / **مفهوم عصري جديد**.. يقول: (إن علينا أن لا نسكت على أي ظلم يلحق بأي أنسان لأن الظلم إذا سكتنا عليه جاء إلينا.. إذن القتال في سبيل الله - لاحظوا حذفه لكلمة الجهاد - هو دعوة لإقامة حلف عالمي). مفهوم جديد من سعادته يغاير فيه المفهوم الذي نزل به القرآن الكريم عن الجهاد في سبيل الله تعالى، إذ ساوى مرة أخرى بيننا المسلمين وبين المشركين والكافرين بمطالبته إقامة حلف عالمي كل من فيه يعد مقاتلاً في سبيل الله ما دام أنه لرفع الظلم.. ماذا عن المسلم الكشميري والفلبيني والأفغاني والصومالي والفلسطيني الذي يلاقي الأمرين من اليهود المحتلين ألا يجب رفع الظلم عنهم؟ ألا يجب أن نقيم نحن المسلمين حلفاً وفق مفهومك العصري خاصة وأن هناك عقلاء غير مسلمين يقفون الآن ضد أمريكا وإسرائيل وعملائهما ! وللعلم فالكافر غير مؤتمن أصلاً.. ولا يكون مجاهداً إلا بأمر من قائد المسلمين وتحت قيادته على أن يكون له الجعل - أي في الدنيا - مقابل الجهاد ونادر حصول هذا.

سؤال يراودني أود طرحه وهو: هل الكفار عندما نعقد معهم حلفاً عالمياً لرفع الظلم يعد في مذهبك إعلاء لكلمة الله في الأرض فما أعلمه بأن الجهاد الحق في سبيل الله كما قال نبينا هو ما كان صاحبه ينوي به إعلاء كلمة الله!

إن الذي بيننا وبين أمريكا وحلفائها خلاف عقدي قبل أن يكون فكرياً فكيف تطلب منا أن نقيم معهم حلفاً عالمياً، وضد من ولصالح من..؟

ضد بني ديننا ولصالح أمريكا التي لم تفسر لنا معنى الظلم والإرهاب الذي تعنيه و لأجله أقامت الدنيا ولم تقعدها.. أليس ما تراه في فلسطين منذ خمسين عاماً ونيف (ظلم يستوجب رفعه وفق ماترى) لما تطلب من الفلسطينين العزل إلا من الحجارة و ماخف من الأسلحة أن يقاوموا اليهود المحتلين مدنياً؟ ماذا كان نتاج أوسلو ومدريد وخطة تينت وغزة وأريحا أولاً وخطة الطريق! ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ﴾.

وهنا أجد أنه من الضروري أن أشير إلى بعض الذين يتأولون قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ فيقولون بأن علة الجهاد في الإسلام هي (الظلم)، والحقيقة بأن الظلم ليس علة للجهاد بل هو هنا وصف لواقع.. فالمشركون كانوا يؤذون صحابة رسول الله أذىً كثيراً، وليرجع من أراد إلى كتب المفسرين وأسباب التنزيل ليدرك هذا. فالأمر ليس كما فهمه البعض على أنه قائم على التخصيص والتقييد أو حتى النسخ؛ لأن من فهمه كذلك إنما أراد التأويل بما يوافق مصلحته وحتى يقول بدفاعية الجهاد في الإسلام. هذا للتنوية فقط.

والمضحك منه قوله: (الإشكالية في أننا نفهم الجهاد على أنه القتال المسلح فقط، فالصحيح أن القتال هو فرع من فروع الجهاد....) إلى أن يقول: (الجراحة والعمليات تعادل القتال في الجهاد..)!

بينما في بداية الحلقة الثانية من مكاشفاته يقول: (الجهاد في سبيل الله غير القتال في سبيل الله..) وهنا يضحكنا منه بقوله هذا ومثله كذلك إذ جعل الجهاد كالمستشفيات والعمليات كالقتال.

في رأيي بأن هذا تخبط فكري واضح ووهن في الحجة وضعف في صياغة عبارات الإقناع وعجز واضح عن الإجابة الصحيحة.

* ولو أردت أن أمضي مع الدكتور خالص في أقواله وأفكاره وطروحاته لضاقت المساحة وطال الزمن (مساحة الصحيفة وزمن القارئ) لذلك سأكتفي مستعيناً بالله بالإشارة إلى بعض ما جاء في مكاشفاته فأقول:

** يتساءل الدكتور (لماذا قلوبنا ضعيفة؟) قال هذا لما سمع واحداً يدعو بالشر على أمريكا، وجوابه ما يلي: لأننا لا نملك رحابة صدرك ولا حب قلبك لأمريكا ونحن نرى صباح مساء دماء تسيل وحرمات تنتهك وأعراضاً تهتك وأراضي زراعية تجرف وبيوتاً تهدم وطرقاً تغلق في فلسطين وأفغانستان ولا ندري من بعدهما، ولا نستطيع - أيضاً - الخنوع والسكوت والعزوف حتى عن الدعاء مثلك. أليس من فقه الأولويات الوقوف مع هؤلاء المظلومين قلباً وقالباً بدلاً من الصمت المطبق والصمم المتعمد والركون إلى الدنيا وزينتها.

** ليس من العبث - ننزه كتاب ربي عن ذلك - أن يكثر عز وجل من آيات الجهاد في كتابه العظيم، كما وأنه ليس من المقبول أن يتم تأويلها أو محاولة تفسيرها تبعاً للأهواء والمصالح وإخضاع أحكامها لتطور الأزمنة وتغير أحوال الأمم.

ألا تعلم يادكتور بأن جميع الأمم السابقة إنما حاربت أنبياء الله ورسالاته لأجل مصالح كبرائها فيها.. أليس هذا ما تفعله أمريكا وحلفاؤها الآن ضد الإسلام وأهله!

** ليتك تتواضع وتكف عن تكبرك علينا ونظرة الاحتقار لنا، فتنزل إلينا في بيوتنا، فنحن لا نعيش في قصور عاجية فوق سحاب مركوم أو على شفا جرف هاوٍ.. إذ قلت بالحرف الواحد: (لذا ألجأ إلى استعمال الأسيد لإزالة هذا الالتزام - وأظنك تقصد بالقرآن - واستخدام الأصباغ والأملاح، ولي خطة للتعامل معكم مدتها عشر سنوات) ألهذه الدرجة نحن خطيرون وأنت تعيش بيننا ولا نعلم عن خططك لتشريح أجسادنا وتطهيرها بالمعقمات الطبية.. اللهم سلم سلم يارب.

وكذلك قلت ما نصه: (مرة أخرى أجدني عاجزاً عن الشرح لكم لأن ما قاله (داروين) كان عام ١٣٥٩ م ونحن على عتبة ٢٠٠٣ م ولكننا حتى اليوم لسنا في

مستوى مناقشة ١٩٥٣م مثل طالب الحضانة الذي تقرأ على رأسه فيزياء الكم.. أي إن العالم قفز قرناً ونصفاً متجاوزاً داروين ونحن لم نقترب من داروين، كل عام وأنتم بخير).

أي استهزاء بنا ونحن أمة محمد خير أمة أخرجها الله للناس؟ وأي افتخار بداروين صاحب نظرية أصل الأنواع وحيوانية الإنسان والذي رفضته وحاربته الكنيسة ذلك النصراني الكافر بدين الإسلام وبالنبي محمد صلى الله عليه وسلم والذي أرسى أساسيات العلم التجريبي ليكون بديلاً عن مفهوم الدين أو العقيدة؟. هل اقتنعت بكل أفكاره دون تمييز وتمحيص لهذه الدرجة؟ أخشى أن تكون من أتباع تلميذه (فرويد) تبتغي بذلك عندهم العزة! ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**..﴾.

** قال الدكتور: (ابن تيمية قسمان: كان الرجل عبقرياً ولكن أفكاره الأخيرة تحتاج إلى فلترة.. إلخ) ماشاء الله تقييم رائع وفريد لشيخ الإسلام من مجدد عصري لديننا يرى أننا أمة قتل لا نطبق مفهومه العصري للجهاد في الإسلام.. ثم يواصل عن ابن تيمية بالقول (من مثل الأفكار الجيدة في فكر ابن تيمية قوله: إن السيف يدور مع الكتاب ويكون تحته) ثم يفسر هذا القول بـ (بمعنى أن القانون هو الذي يحكم) وهذا رد عليه إذ لا غنى عن السيف مع القرآن فهما متلازمان، وحتى إن كان تحته فهو معه، فلهذا وقته وللآخر أن يتبعه. مارأي سعادة الدكتور في قول بوش: (معنا أو ضدنا)؟ كيف يشرحه لنا؟

** تذكرت وأنا أقرأ كلام الدكتور إمام القاديانيين (غلام أحمد القادياني) ورسالته (تحفة الندوة) والتي مما جاء فيها على لسانه: (وأنا نبي من أنبياء الله وتجب على كل مسلم طاعتي في الأمور الدينية وبأني المسيح الموعود.. إلى أن يقول: وقد شهد القرآن وشهد الرسول وعين الأنبياء زمان بعثتي) ثم يدعي بأن أوحي إليه بنسخ الجهاد، وأنه باطل من أساسه، وأنه يجب طاعة المستعمر. ثم في كتابه (ترياق القلوب) يقول: (لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة

الاستعمارية ونصرتها.. إلى أن يقول: وقد ألفت في منع الجهاد من الكتب والنشرات ما لو جمع لملأ خمسين خزانة.. وكان هدفي أن يصبح المسلمون مخلصين للاستعمار طائعين له) وهناك كثيرون غير هذا الغلام يقدحون في الجهاد ويصورونه على أنه همجية وسفك للدماء وسوء في الطباع والخلق، ويشوهون بلباقة وسحر بيان فريضة هذا الدين التي يقول عنها النبي صلى الله عليه وسلم: (وذروة سنامه الجهاد) أي الإسلام، وهم لا يفعلون ذلك إلا ليصلوا إلى ما أصبح العامة يفهمونه عن هذه الفريضة ألا وهو (أن الجهاد الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية إنما هو جهاد للدفاع فقط) وفي هذا تعطيل لفريضة نسأل عنها يوم القيامة.. فويل للذين يكتبون الكتاب ثم يقولون هو من عند الله وهم كاذبون.

** فيما يتعلق بالعهود مع الكفار والمشركين فمن شروطها: (ألا تخالف حكماً من الأحكام الشرعية - أن لا تكون على حساب الدين - أن تكون عن رضا واختيار لا عن طريق القوة والجبر..).

ومن نواقض العهود (إذا اعتُدي على مسلمة بفاحشة - وإذا قُطع الطريق - وإذا سب الله أو رسوله أو كتابه أو دينه - وإذا تُجسس على المسلمين أو استعين على ذلك - إذا ظهرت علامات الخيانة أو الكذب..).

•• ختاماً..

أصلح للدكتور - وقد تغاضيت عن بعض ما صدر منه في مكاشفاته - أن يعيد الدرس والتحصيل خاصة تعلم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه المطهرة وسيرة خلفائه الراشدين، فهو ليس بخير من سيدنا سليمان عليه السلام إذ قال له الهدهد: ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحطْ به وَجِئْتُكَ من سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ**﴾ فهذا ديننا، وهذا أمر ربنا، ولا محاباة في الدين ولا مجاملة كذلك لكائن من كان... والله الهادي إلى سواء السبيل،،،،

*** كاتب سعودي بصحيفة (المدينة)**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٤/ ٩/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٢ م

محمد منير الغضبان*:

نقول لك يا دكتور خالص: أهذا هو الإسلام الذي تدعونا إليه؟

- الخلاف الفكري بين فهم جلبي وفهم مروان رحمه الله مقبول أما الاتهام بتدني الوعي التاريخي فمرذول.
- هل يقبل أن نضعه في التسييب فيما يعرض من أفكار لا عاصم لها ولا ميزان ولا ضابط؟

في مكاشفات الدكتور خالص جلبي أمور كثيرة هي ملكه وهو يتحدث عن ذاته وتجربته وثقافته وآرائه التي نحترمها، ونعتبر طرحها من خلال هذا البرنامج " مكاشفات " إثراءً للثقافة والفكر، وحواراً صحفياً حياً في نقل التجارب الفكرية لأبناء الأمة ومفكريها، لكن الحكم على الآخرين أشخاصاً أو حركات، وحتى تاريخاً وفكراً إسلامياً بالاتهام حيناً والسخرية حيناً آخر، والتجريح غير المسؤول، دون إيراد أدلة أو وثائق، فذلك ليس منهجاً علمياً، ولا فكراً موضوعياً بالتأكيد.

ونأمل أن تتسع ساحة "مكاشفات" لعرض العديد من هذه الاتهامات والتجريح الذي يصل لحد الإسفاف، كنماذج على تجاوز الخطوط الحمر في أدب المناقشة والحوار.

١ - مروان حديد:

يقول عنه الدكتور جلبي:

"كان رحمه الله بقدر كثافة إخلاصه بقدر تدني وعيه التاريخي"

هل يقبل منا الدكتور وهو يطلع علينا كل يوم بجديد في "موضة" الأفكار الذاتية له أن نتحدث عن تدني وعيه الديني، وتدني وعيه الحضاري، ولو ملأ الدنيا

عجيجاً بالحديث عن الحضارة، ودبج المقالات في ذلك، أم يطالبنا بالدليل على ما نقول وإعطاء المساحة الكاملة لكلينا في النقاش حتى يعرف المصيب منا من المخطئ؟

إذا كان لا يقبل ذلك، فنأمل أن يكون لسانه عفيفاً وهو يصف الآخرين، فالخلاف الفكري بين فهمه وفهم مروان رحمه الله مقبول أما الاتهام بتدني الوعي التاريخي فمرذول، خاصة حين يساق بغير دليل من جهة، ولا يُفسح المجال الكافي للفريقين بطرح حججهما حول هذا الأمر من جهة ثانية، ونشكر لخالص ثناءه على إخلاص مروان من جهة ثالثة.

٢ - الصيد الضاحك:

وحين تحدث عن انتسابه للإخوان المسلمين قال: في هذه المرحلة صادونا " قالهاضاحكاً " حيث اتصلوا بنا...

وأنا أعيد الدكتور خالص إلى ضميره الحي، هل هو صيد يقود إلى الهاوية، أم هو دعوة إلى الله على بصيرة؟ على نفسه في تلك المرحلة.

٣ - مصانع تعليب:

"مشكلة الأحزاب واحدة أنها مصانع تعليب، ولا تمارس لعبة النقد الذاتي، وهذا ينطبق على الشيوعيين والبعثيين وسواهم وهو الذي جعلني أكتب لاحقاً كتابي في النقد الذاتي، كان الإخوان يصرون على عمل تنظيمات سرية تحت الأرض... وكانوا يركزون على أن يكون عملهم تحت الأرض حتى لا يعرفهم أحد، وعندما ضبط حافظ أسد التنظيم السري العسكري أعدم مائتين منهم في ساعتين".

أليس وصف الأحزاب الفكرية بمصانع التعليب، احتقاراً لعشرات الألوف من الناس واتهاماً لعقولهم وتفكيرهم؟ وهو يضع نفسه فوق هؤلاء جميعاً، خارج التعليب، هل يقبل أن نضعه في التسييب فيما يعرض من أفكار لا عاصم لها ولا

ميزان ولا ضابط؟ أتمنى أن تبتعد عن هذه الأساليب في السباب ولنملك قدراً من الاحترام لبعضنا حتى نتمكن من الحوار المثمر لا الجدال المر.

ويعود صاحبنا ليهاجم الإخوان بإصرارهم على التنظيم السري وأدع الجواب والرد عليه لكلامه نفسه الذي ناقض آخره أوله، فهو الذي قال: إن حافظ أسد عندما ضبط التنظيم السري العسكري أعدم مائتين منهم في ساعتين، فهل الحل في ظل هذا النظام الطاغي إعلان التنظيم؟ وهل يزول الطغاة بغير القوة؟ وقد وصلوا للحكم عن هذا الطريق؟ واستباحوا كل القيم في سبيل سيطرتهم على الحكم؟

٤ - فرق الشيعة والحشاشين:

وحين يسأله الباحث عن زعيم تنظيم الإخوان المسلمين في تلك الفترة فيجيب بسخرية:

إنك تسأل شيئاً خطيراً؟ لأنها أحزاب سرية مثل فرق الشيعة والحشاشين في التاريخ لا بد أن يقدم لك الإخوان المسلمون الشكر على هذه النزاهة والموضوعية كالحشاش الذي يهرف بما لا يعرف؟ ألا تستاء وتتكهرب من هذا الكلام؟

عيب والله أن يصدر منك هذا الهراء، وأنت تعرف تاريخ الحشاشين، وتعرف تاريخ الإخوان المسلمين، وأعتقد أنك لم تأخذ من الحضارة الغربية أدبها في الحديث عن الخصوم، إنما أخذت عنها البديل عن الإسلام في كثير من المواطن، ولم يقل بهذا الشبه باحث غربي، فما بال المستغرب اليوم يستعمل هذا السباب.

٥ - معاوية وامتشاقه السيف:

أعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم منك بمعاوية رضي الله عنه وهو الذي قال عنه وعن الذين كانوا معه أنهم فئة مسلمة أرادت الحق وأخطأته، ولم يقم

بانقلاب عسكري كما يتوهم عقلك المفتون بالنيل من الآخرين ولو كانوا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق " وكان علي رضي الله عنه وفرقته هي التي قاتلت المارقة" الخوارج " وقد تنازل الحسن رضي الله عنه باختياره عن السلطة لمعاوية، وسمي هذا العام عام الجماعة، وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحسن بأنه يصلح الله به فرقة الأمة بقوله فيما رواه البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**» خ ٢٧٠٤.

وما أدري هل نأخذ بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم تبقى مصراً على رأيك؟؟؟

٦ - الأبدية والطاعة والرئيس مثل البابا:

وتجود قريحة الجلبي بالوصف لحركة الإخوان المسلمين فيدبج يراعه ويتفتق عقله عن القول:" ولكن المشكلة ليست في الأشخاص بل كل التنظيم، فهي تقوم على الأبدية والطاعة غير المشروطة، ولا تمارس النقد الذاتي، والرئيس مثل البابا مدى الحياة، فضلاً عن الهشاشة الفكرية والضعف الفلسفي المنهجي، وتبقى العلة الحزبية الأولى أن الحزبي إنسان أعمى. "

يا سبحان الله ما أرى أن السوقة يسبقون الجلبي بالشتيمة، فأبناء الشارع لا يتقنون هذا السباب مثله، نذكره بقول الله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

وهذه الأدلة:

أ - الأبدية والطاعة غير المشروطة:

وهذا نص البيعة للفرد العضو عند الإخوان المسلمين:

"أبايع فضيلة المراقب العام على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الأخوة في الله والجهاد في سبيله والثبات على دعوة الإخوان المسلمين والقيام بشروط عضويتها والمحافظة على أسرارها والسمع والطاعة لقيادتها بالمعروف في المنشط والمكره وعلى أثرة علي وعلى أن لا أنازع الأمر أهله وعلى أن أقول الحق أينما كنت لا تأخذني في الله لومة لائم، وكل ذلك قدر استطاعتي" فهل هذه الأبدية والطاعة غير مشروطة؟

ب - ولا تمارس النقد الذاتي

ونعذر جلبينا على قوله فقد عاش في ظل ظروف استثنائية ثلاث سنوات في التنظيم وراح يسب على التنظيم في كل شيء، وأحب أن أقول له إن الإخوان المسلمين قاموا بتقويم تجربتهم المسلحة منذ إطلاق أول رصاصة حتى نهاية أحداث حماة، واستكتبوا إخوانهم فيما لا يقل عن خمسة عشر صفحة وخلال أكثر من سبع سنين، وقاموا بالنقد الذاتي بحمد الله ولكن الجهل أعمى.

ج - والرئيس مثل البابا مدى الحياة

نذكره بأن الإخوان المسلمين في سورية قد وصل إلى موقع المراقب العام فيهم من خلال الانتخاب الحر سبعة إخوة خلال خمسة وعشرين عاماً، أي إن الرئيس لم يصل إلى أربعة أعوام وسطياً.

فمن أين جاء بهذا الافتراء؟ والله حسيبه على ما يقول؟؟

د - فضلاً عن الهشاشة الفكرية والضعف الفلسفي المنهجي

والعالم اليوم بكل مؤسساته يتحدث عن الفكر الوسطي المعتدل للإخوان المسلمين والذي يمثل أكبر قطاع فكري في الأمة، ونحمد الله على الضعف الفلسفي المتخبط، الذي لا يملكه الإخوان ويحوزه الدكتور الكريم وأي تخبط يفوق هذه الاتهامات؟

٧ - بدأوا يتعلمون نطق حروف المعاصرة والحداثة

ويصل صاحبنا إلى ذروة إبداعه:

أ - فهو يثني على تطور الإخوان المسلمين بقوله:

"... أي إنهم بدأوا يتعلمون نطق حروف المعاصرة والحداثة وربما بعد نصف قرن يكونوا قد تكيفوا مع العالم ولكن العالم وقتها يكون في المريخ "

أحب أن أخبرك بحمد الله أن خصوم الإخوان المسلمين من البعثيين والشيوعيين والنصارى والنصيرين قد أدركوا تطور الإخوان المسلمين وانضموا إلى تحالف معهم، وتبنوا ميثاق الشرف الوطني الذي طرحوه، وشهدوا لهم بالريادة الفكرية والوطنية، وصاروا جميعاً جبهة واحدة في مواجهة الطغيان في سورية، وأنت لا تزال تعيش في قمقمك الضيق الحاقد وتتطاول عليهم جميعاً بلا استثناء بأنهم بدأوا يتعلمون نطق حروف المعاصرة، ونذكرك بقول الشاعر:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازت النفوس كما هيا

لقد أدرك الخصوم تطورهم، ولن ينتظروا شهادتك، ولك وافر الشكر على هذا النقد القيم النزيه.

ب - الإخوان المسلمون انتحروا وانتهوا كحركة وتحولوا إلى طائفة محنطة مثل الإسكيمو وطائفة الأميش في فيلادفيا، شكراً لك وعلى وعيك وأخلاقيتك،،

ولقد أبقى الله لك ما يسوؤك فهم بحمد الله ملء السمع والبصر، ووسائل الإعلام

المحلي والعالمي تشهد بذلك، لكن يهون كل ما تقوله فإذا كنت تتطاول على الإسلام فما الذي يمنعك من التطاول على الإخوان المسلمين، وسأنقل كلامك فقط كما ظهر في "مكاشفات" أو نماذج منه وأدع للقارئ المسلم الحصيف الحكم عليك وعلى أمثالك:

١ - تقريباً كل حكام العالم العربي جاؤوا عن طريق بوابة الانقلابات العسكرية وفرض الآراء بالقوة المسلحة، الاتحاد السوفيتي بنفس الطريقة وكذلك النازيون والفاشيون والأمويون والعباسيون وحتى صلاح الدين الأيوبي كلهم يتفقون في نفس الأمر وهو أخذ السلطة بالقوة المسلحة والغلبة. الأنبياء لم يأتوا كذلك.

٢ - ما عملته أمريكا مع سلوبودان ميلوسوفيتش يمكن أن يكون نوعاً من الجهاد.

٣ - إذا كانت أمريكا تريد فعلاً عمل نظام ديموقراطي في العراق فأنا مع أمريكا.. إذن عمل أمريكا الذي تريده هو نوع من الجهاد لو صدقت.

٤ - يا أخي لماذا نريد الشر؟ هؤلاء الأمريكيون عباد الله، الآن في أمريكا يوجد ٦ ملايين مسلم.

٥ - أمريكا عندما ضربت أفغانستان لم تضربها إلا لأنها آوت ابن لادن، العنف يولد العنف نحن ندور في حلقة، ولكي نكسرها علينا أن نتحلى بخلق الأنبياء، المعنى الأخلاقي في قصة ابني آدم هو التخلي عن القوة من طرف واحد.

٦ - لو أن الشعب السوري والشعب المصري رفضا المشاركة في الانتخابات وجلس الناس في بيوتهم ماذا سيحدث؟ سيحدث تحول بالتأكيد، الأمة التي تولد بهذه الطريقة لن يملكها طاغوت. هذا هو فكر الأنبياء.

٧ - لو كانت المقاومة في فلسطين مدنية لتغير الوضع... الطريقة السلمية في المقاومة تجعل الإنسان يقهر خصمه دون إراقة دماء، والمشكلة هي أننا - وبكل أسف - لا نعرف مثل هذا الأسلوب السلمي.

٨ - إنه لن يطول قدوم ذلك اليوم حيث يقف الناس في المتاحف يتأملون مشدوهين فوهات المدافع التي صممت للفتك بالإنسان.

٩ - المسلمون شبعوا من الحديث عن الآخرة وما يهمنا إحياء المنهج القرآني في الدفاع عن الأرملة واليتيم والمسكين ذي المتربة.

١٠ - إن من يشتد في تغطية المرأة مثل من يشتد في تعريتها. فكلا الفريقين ينطلق من دوافع جنسية ولباس المرأة هو للمرأة وهي التي تقرر ماذا تلبس.

١١ - إذا كان الفرد يؤدي الحركات ولا يخشع فهو عملياً خارج الصلاة حيث يحط قلبه. وقد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون. وإذا سمع الفرد ضرباً من الموسيقى الرائعة فشعر بالكهرباء تسري تحت جلده، أو سمع قصة مؤثرة فاحتدمت النفس وارتفع التوتر ففاضت العين بالعبرة كان في أعظم صلاة.

١٢ - دراويش المولوية في حالة الرقص يدورون لساعات وهم يسبحون في عالم خاص بهم في حالة صلاة خاصة.

نقول لك أخيراً يا دكتور: أهذا هو الإسلام الذي تدعونا إليه؟؟؟

نسأل الله أن يفتح بيننا وبينك بالحق وهو خير الفاتحين، والحمد لله رب العالمين.

*** أحد قياديي تنظيم الإخوان المسلمين في سوريا**

- -

- -

ياسر الزعاترة *:

في "مكاشفات" خالص جلبي.. هجاء للأنبياء والصحابة والأمة من بعدهم

- إن المدافعة هي سنة من سنن الله الثابتة وهي هنا القوة.. وأي تفسير آخر لا وجه له.
- العالم المتحضر الذي ينكر جلبي انبهاره به فيما الواقع أنه مفتون به لم يتخلص من مشكلة العنف، وحالة الاستقرار التي يعيشها إنما جاءت بعد حروب قتلت عشرات الملايين.

تضعنا "مكاشفات" خالص جلبي أمام حقيقة صعبة، بل بالغة الصعوبة، فإما أن نقول هذا الرجل مصاب بجنون العظمة - عافاه الله وعافانا -، وإما أن نعترف بين يديه بأننا أمة من الجهلة ليس من لدن محمد صلى الله عليه وسلم فحسب، بل ربما من عهد آدم عليه السلام نفسه، وأن الله قد ابتعث لنا الدكتور خالص جلبي وشيخه جودت سعيد ليعيدا ترجمة تعاليمه سبحانه في إصلاح البشرية، وما علينا سوى السمع والطاعة لهما إذا أردنا بالفعل سبيل الرشاد.

قرأت للرجل وشيخه الكثير الكثير، غير أن قصة (داروين) هذه جديدة عليّ، وكذلك شأن الصلاة التي يمكن أن تكون من خلال الموسيقى أو قراءة القصص المؤثرة. وهذه بالمناسبة نظرية (جارودي) التي يبدو واضحاً أن صاحبنا يؤمن بها.

حتى الصلاة لم نفهم معانيها - يا للمصيبة -. وإذا أضفنا قصة العنف التي لم يفهمها حتى الأنبياء واكتشفها العلم (كيف ذاك، هل ينطق الأنبياء عن الهوى؟!).. إذا أضفنا ذلك متجاهلين دلالاته فإن مبايعة الدكتور جلبي على أنه نبي هذه الأمة الجديد، وأقله مهديها المنتظر تغدو أمراً واجباً.

المكاشفات من أولها لآخرها، هجاء لهذه الأمة؛ صحابة وتابعين وعلماء وجماعات.. فكلهم عاجزون عن فهم هذا الدين، وها إن الله قد منّ علينا بمن يعلمنا حقائقه على نحو فريد.

لولا إلحاح الصديق عبدالعزيز قاسم لما جشمت نفسي عناء كتابة هذه السطور التي وقفت في حلقي، ففي هذه البلاد الطيبة علماء ومثقفون يمكنهم الرد على ما قاله الرجل، اللهم إلا إذا رأى أكثرهم أن ما قاله لا يستحق الرد ولا ألومهم إن فعلوا.

سأركز في هذه الكلمات على مسألة واحدة لأن الخوض في قصة داروين والصلاة قد تدفعنا إلى قول ما لا نحب، والمسألة التي أعنيها هي مسألة اللاعنف، التي اكتشفها جودت سعيد وحمل رايتها تلميذه خالص جلبي.

عند التدقيق في هذا الأمر نجد أننا بإزاء دين آخر لا نعرفه نحن ولا أنبياؤنا ولا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة ولا تابعوهم ولا العلماء إلى يومنا هذا.

سليمان عليه السلام حمل السيف، وقال عن قوم (سبأ) بزعامة بلقيس مع أنهم لم يحاربوه: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. أما داوود عليه السلام فقد قتل جالوت، فيما "ودّ" سيد المجاهدين محمد أنه لم يقعد "خلاف سرية تقاتل في سبيل الله". وفي آثاره مئات الأحاديث حول الجهاد/ القتال، وليس فقط جهاد النفس أو المجاهدة. أما نصوص القرآن، فيكفي أن نراجع المعجم المفهرس لنتوقف عند مئات الآيات التي تدحض كلام جودت سعيد وتلميذه النجيب.

أما السؤال المعجز الذي يلقيه في وجوهنا حول سبب عدم قتال الرسول صلى الله عليه وسلم للمشركين في مكة، فقد تعلمنا جوابه في المدارس الإعدادية، وهو أنه لم يكن قد ملك القوة الكافية لذلك بعد، وإذا كان الجواب غير ذلك، فهل كان (محمد) راشداً في مكة ثم فقد رشده في المدينة، ولم يستعده إلى أن مات عليه الصلاة والسلام، وهو الذي لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يطالب بإنفاذ بعث (جيش) أسامة؟!!

الصحابة كانوا جهلة أيضاً - حسب جلبي - وإلا فماذا نقول عن أبي بكر الصديق وإصراره على قتال أهل الردة بدل مهادنتهم؟ وماذا نقول عن جهاد

المسلمين الموصول منذ ذلك الحين، هل كانوا جميعاً جهلة قبل أن يبعث فيهم جودت سعيد وخالص جلبي؟!!

هل تصلح آية واحدة تتحدث عن صراع بين أخوين (هابيل وقابيل) دليلاً على رفض القتال؟ ولعل من الضروري هنا لفت الانتباه إلى أن منهج انتقاء النصوص هو منهج الرجل وشيخه الذي كثيراً ما يعيبه على الآخرين.

إن النص القرآني والنبوي هو نص يتعامل مع كل حالة على حدة ولا يمكن أن يكون العنف/ القتال/ الجهاد حلاً لكل المشكلات، كما لا يمكن أن يكون اللاعنف هو الحل دائماً.

إن العالم المتحضر الذي ينكر جلبي انبهاره به فيما الواقع أنه مفتون به، لم يتخلص من مشكلة العنف، وحالة الاستقرار التي يعيشها إنما جاءت بعد حروب قتلت عشرات الملايين. أما القوة فلا زالت هي الحكم في الصراعات الدولية، وإلا فهل تتحكم أمريكا بالعالم من خلال الإقناع، أم بسطوة القوة؟ إن التقدم التكنولوجي نفسه هو نتاج القوة، بل إن معظم الاختراعات إنما بدأت في معامل التصنيع الحربي قبل أن تتحول بعد سنوات إلى الاستعمالات المدنية.

القوة العسكرية هي التي تتحكم بالعالم وليس الاقتصاد، فهي التي تحرّك السياسة وتحرّك الاقتصاد، بل وتحرّك التكنولوجيا أيضاً، وهي معادلة لا ينكرها إلا أعمى، لأن الولايات المتحدة تقدم الدليل على ذلك جهاراً نهاراً هذه الأيام.

وتبلغ جرأة جلبي حد أن ينقل قصة (اللاعنف) إلى الحالة الفلسطينية، ليقول إن المقاومة الفلسطينية لو كانت مدنية لتغير الوضع، وهو هراء ما بعده هراء، وإلا فما الذي قدمته المقاومة المدنية في الانتفاضة الأولى غير أن تحولت إلى خبر عادي عند الإسرائيليين وعبء على الفلسطينيين؟!

يا رجل، ما نفعل بكل هذه النصوص الصريحة في القرآن والسنة، هل نلغيها لكي ترضى عنا أنت وشيخك؟! لقد مضى على ترديد شيخك لهذه الفكرة أكثر من

ثلاثين عاماً ولم تكسب سوى بضعة عشرات من الأنصار، أليس هذا دليلاً واضحاً على عبثيتها، باستثناء حالات الصراع الداخلي بين الأخوة مثل (هابيل وقابيل)، مثل علاقة القوى الإسلامية بالأنظمة، وهذه أيضاً لا تؤخذ من باب الحل والحرمة، بل من أجل إقفال باب الفتنة كما ذهب العلماء، لأن إمكانية التمرد على أنظمة مدججة بالأمن والدعم الخارجي غير متوفرة. ولو قلنا غير ذلك لسجلنا إدانة بحق زينة شباب الجنة (الحسين بن علي) وقلنا إنه قاتل، وأقله أرعن.

أما القول بأن الأنبياء لم يدركوا معادلة العنف فيما حلها العلم، فهو عدوان على الأنبياء، وجهل بالجانب الآخر، لأن التداول السلمي على السلطة في الغرب يحمل الكثير من الخداع بسبب سطوة المال ومراكز القوى، إضافة إلى كونه قد تحقق بعد رحلة طويلة من الدم والمساومات التاريخية، وثالثها أنه اعتمد في جزء أساسي منه على دولة الرفاه التي لم تكن لتنشأ لولا الاستعمار والنهب الخارجي. ولا يعني هذا أننا نرفض ذلك المنهج بعد إصلاح عثراته، ولكننا نشير فقط إلى المشهد على حقيقته بعيداً عن لغة الانبهار السطحية.

إن المدافعة هي سنة من سنن الله الثابتة لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾، والمدافعة هنا هي القوة وأي تفسير آخر لا وجه له، والدليل على ذلك هو تجربة البشرية منذ آدم ولغاية الآن.

أعود إلى القول في ختام هذا التعقيب بأن من سنن الله في الأرض أيضاً أن الزبد يذهب جفاءً، ﴿**وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾، وأظن أن نظرية جودت سعيد هذه هي نوع من الزبد الذي سيذهب جفاءً، إن لم يكن قد ذهب وانتهى الأمر، لولا أن بعضهم قد وجد فائدة ما في إفساح المجال لصوت جديد لها.

أختم بهذا الخبر الذي يهم السيد (جلبي) إن لم يكن يعنيه شخصياً، فقد رفض مجمع البحوث الإسلامية - هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف - التصريح

بتداول كتاب حول الإسلام بسبب إنكار مؤلفه لمعلوم من الدين بالضرورة هو الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس.

هاهم علماء الأزهر قد انضموا أيضاً إلى قائمة الجهل الممتدة في شعاب الزمن، حسبما يرى جلبي، والتي لا نجد غضاضة في الاعتراف بأننا جزء منها!!

*** كاتب ومحلل سياسي أردني**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٤/ ٩/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٢ م

د. سعيد بن ناصر الغامدي *:

يحاول د. جلبي أن يعالج مشكلة التخلف عند المسلمين ولكنه للأسف الشديد يعالج مشكلة بمشكلة أكبر ويداوي زكاماً فيوجد جذاماً

- إذا كان د. خالص يناقش أوبئة العنف فعليه أن يكف عن أوبئة الكلام العنيف والسخرية المتهكمة والهمز واللمز بالمسلمين ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.
- إيمان د. جلبي بفرضية داروين وزعمه أن المسلمين ليسوا في مستوى مناقشة مقولة داروين سقطة قاتلة وسرطان فكري أرجو أن يسعى في اقتلاعه من عقله.

مكاشفات خالص جلبي التي نشرت في ملحق الرسالة على مدار ثلاثة أعداد كشفت بحق، جملة من الحقائق عن أفكار د/ خالص، و أبانت عن أسباب الحفاوة البالغة التي يحظى بها في صحف وملاحق ومواقع لا يعرف عن أصحابها إلا التحيز والإقصاء، والمماحكة في ثوابت الأمة وقواعد هويتها.

كما أنها تضع تفسيراً عملياً لقول رسولنا ﷺ «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**» رواه مسلم وغيره.

وأود أن أناقش أهم الأفكار الواردة في هذه المكاشفات على النحو التالي:

أولاً: في المقدمات التي ذكرها الأستاذ عبدالعزيز قاسم من التبجيل والثناء والاندهاش ما يقتضي تنبيهاً أراه مهماً على صعيد هذه المكاشفة و غيرها، فقد أولع الناس اليوم بما يسمى (كثرة الثقافة) و (سعة الاطلاع) و (تنوع المعارف) وعلقوا عليها المدائح الطوال، وفتن بهذه العبارات وأمثالها الصغار، معتقدين أن هذه الكثرة والسعة والتنوع في ذاتها مجال مدح وثناء وحسن، وميدان جودة وروعة، فينخدع فقراء العلم والتجربة خديعة تجعلهم يخبطون في أودية المطبوعات خبط

عشواء، ويتبارون في قراءة ما يخجل منه العقلاء، وما يتورع عن إضاعة العمر فيه كل ذي قلب سليم.

ولو كانت سعة الاطلاع وتنوع المعارف مدحاً بإطلاق لكان (إبليس) سيد الممدوحين، فلديه من الثقافة والتنوع والاطلاع أضعاف أضعاف ما لدى كل المرتابين والمنتكسين والملوثين من ثقافة واطلاع.

ومن أجل ذلك كان قدوتنا ومرشدنا محمد ﷺ يستعيذ بالله تعالى من علم لا ينفع.

وأذكر مرة أن أحد كبار الحداثيين المحليين كتب مقالاً عن أدونيس وعن اتساع ثقافته وتنوع معلوماته، فقلت في منزل أحد الوجهاء: لو كانت الثقافة الواسعة وحدها مجال مدح وثناء لكان إبليس أولى بذلك من أدونيس!!! فلماذا تخدع الأجيال فتجعل مقلب القمامة الفكرية مصنع عطر وحقل زهور؟؟

ومن أوضح الأدلة على أن اتساع الثقافة ليس مدحاً بإطلاق ما في هذه المقابلة وغيرها من أقوال متناقضة وتائهة ومضطربة وردت في إجابات الدكتور خالص جلبي، دخلت عليه مع هذا التوسع الثقافي الذي ليس له ضابط من عقل صحيح، ولا نص صريح، ولا تجربة حسية مؤكدة، ولا فطرة سليمة، ولا منهج علمي صالح ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾.

وكلنا يعرف أناساً أوسع ثقافة من جلبي، وأكثر اطلاعاً وأضبط منهجية، ولكنهم في ميزان الحق والعدل والخير لا يساوون شيئاً، وما أخبار المستشرقين الذين يحفظون القرآن و يستظهرون بعض دوواين السنة بخافية، ومع ذلك هم من أشد أعداء الدين وألد أعداء الأمة، بل أفكارهم وطروحاتهم هي الجذور الحقيقية لأفكار بعض أبناء المسلمين الذين هم في العدوة القصوى أو مع الركب الأسفل، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾.

ثانياً: يحاول د/ خالص جلبي أن يعالج مشكلة التخلف عند المسلمين ولكنه للأسف الشديد يعالج مشكلة بمشكلة أكبر، ويداوي زكاماً فيوجد جذاماً، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما نص عليه مراراً (لاهرطقة للمختلف) ملحق الرسالة ٢٣/ ٧/ ١٤٢٣هـ وما يصر على نقله وترديده بأن: (العقل محاصر بأسوار من النقل) ملحق الرسالة ١/ ٨/ ١٤٢٣هـ.

فهذه حزمة من الأقوال المنطوية على أمراض فكرية عقدية، يريد أن يعالج بها أمراضاً فكرية وسلوكية، فياللمفارقة!!.

فإذا كان (لاهرطقة للمختلف، ولا يستباح دم الإنسان من أجل رأيه) كما يعبر د/ جلبي فلا فرق بين كفر وإسلام ولا بين إيمان ونفاق، ولا فرق بين صديق وزنديق. أنأخذ قول جلبي (لاهرطقة للمختلف) أي لا تكفير لمن يأتي بأقوال مختلفة عن الدين ومخالفة له أم نأخذ بقول الله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾؟

أنأخذ قول جلبي (لا يستباح دم الإنسان من أجل رأيه) أم نأخذ قول أعلم البشر وأرأف الخلق وأعقل الناس وأعلمهم بالله نبينا محمد ﷺ القائل: «**من بدل دينه فاقتلوه**» رواه مسلم؟

أنأخذ قول جلبي: (العقل محاصر بأسوار من النقل) أم نأخذ قول الله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾. وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾؟.

ونسأل د/ خالص: هل يقبل العدوان على شخصه وعرضه بمقال نقدي أو رأي فكري أو شعر إبداعي؟

فإن قال: أقبل ذلك، فنقول: قد رضيت بأسفل درجات المهانة وأبشع منازل الذل، وإن قال: لا أقبل فنقول له: (لاهرطقة للمختلف) و (لا تستباح عقوبة الإنسان من أجل رأيه) حسب قاعدته التي وضعها وجعلها من قواعد المنهج الفكري رباعي المفاصل، الذي يريد به إنقاذ الأمة من التخلف؟!

فيا للعجب!! يريد أن يبني قصراً فيهدم مصراً.

ثالثاً: من محاور أفكار د/ خالص جلبي محاربة العنف، ومقاومة الرؤية الأحادية الدوغمائية حسب تعبيراته، وهو في أكثر مقالاته غارق في هاتين المشكلتين، فهو يمارس العنف القولي، والعنف التأليفي والصحفي ولكن ضد الأمة وعلمائها ودعاتها ومفكريها، وضد جملة من حدودها وضوابطها ومنهجيتها، ويتلذذ بهذا العنف ويمارسه بأحادية مطلقة ودوغمائية فاضحة، وفي المكاشفات ما يدل على ذلك، خذ هذه العبارات على سبيل المثال (لا أدري إن كنتم تعرفون مقدار المسافة بالسنة الضوئية) (هل تظنون أن أحدكم إذا همهم ودمدم في المسجد واكتفى عبد الله) (الفكر الإسلامي كسيح ويحتاج للعكازات دوماً) (أنتم لم تفهموا ما يريد الأنبياء والعلم).

وعن نظرية داروين يقول عن المسلمين: (لسنا في مستوى مناقشة عام ١٨٥٣ مثل طالب الحضانة الذي تقرأ على رأسه فيزياء الكم). وتصريحه بأنه يستخدم الأسيد لإزالة بعض الالتزام الموجود في جريدة المدينة.

أي عنف أشد من هذا؟ وأي سخرية بعقول أهل الإسلام وأي مصادرة لأفهامهم أبشع وأشد من هذا؟

ثم أي دوغمائية أصرخ من هذه الأقوال (الدوغمائية: حالة الفكرة عندما تنفرد بالحقيقية فلا تجيز لغيرها الحق في ادعائها أو الشك فيما جاءت به أو مناقشته).

فإذا كان د/ خالص يناقش أوبئة العنف، فعليه أن يكف عن أوبئة الكلام العنيف والسخرية المتهكمة، والاستهزاء المتكرر، والهمز واللمز بالمسلمين ماضياً وحاضراً

ومستقبلاً، والإعجاب المستطرد بالغرب وعقائده، فإن أقواله وطريقته هذه هي لقاح جيد لعنف مضاد، وفيروس خفي لردات فعل غير متزنة من أناس سيرون فيه شخصاً يتهكم بدينهم، ويسخر من مناهجهم العقلية والنقلية، ويدين تاريخهم، ويحاكم علماءهم، ويستهزئ بأصولهم، ويهمش نصوص الوحي، ويدنس اجتهادات مفكريهم، ويقدس فرضيات مخالفيهم، ويؤكد بلسان صريح بأنه (لابد من صدمة مزلزلة لكل الفكر التقليدي).

ومما يزيد عمق الاتجاه العنيف عند خالص جلبي أن المعجبين بكلامه من العلمانيين ينقلونه في مواقعهم في الانترنت نقل المعجب المحب، وما كتبه من يسمى نفسه (الشيطان) ومن تسمي نفسها (الملحدة) في إحدى مواقع الإنترنت عن خالص جلبي يؤكد أن مقالاته تغذي العنف العلماني، وتشفي صدورهم، وتلهب عنفاً آخر في الطرف المضاد، فإن كان صاحب دعوة وتربية (سلامية) كما يدعي فليكف لسانه وقلمه عن هذه الأساليب العنيفة،

فلا تأمن عدوك لو تراه ... أقل إذا نظرت من القراد

فإن الحرب تنشأ من كلام ... وإن النار تضرم من رماد

وجرح القلم واللسان أشد وأعنف في كثير من الأحيان من جرح السيف والسنان

جراحات السيوف لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

فكيف تقبل دعوة د/ خالص جلبي إلى السلام ونبذ العنف وهو يطلق رشاش قلمه ومدافع أقواله وينصب ألغام أفكاره، مستهدفاً تاريخ الأمة، ومنهجيتها الشرعية والعقلية، وثوابتها العقدية والتشريعية، ومسلماتها الأخلاقية والسلوكية؟ بل يفاخر بأنه يمارس هذه الفضائل حسب رأيه.

رابعاً: من المحاور الفكرية عند خالص جلبي إعجابه إلى حد الهيام بالأفكار والنظريات بل والفرضيات الغربية، واعتداده بها ونقله لها بيقينية مطلقة، واعتماده على صحف ومجلات إخبارية تنقل بعض الأخبار الطبيعية للترويج أو الدعاية مما أدى إلى تستطيح الفكرة عند د/ خالص وافتقارها إلى الموضوعية والعمق.

فقد جمع بين العشق لما يكتب الغربيون والانتحال له وإعادة صياغته بأحرف عربية ليخدع محدودي الثقافة ويبهرهم بهذا الزخم الهائل من المعلومات التي هي عبارة عن تداعيات فكرية مربطة الأوصال بأخشاب نخرة.

وأصل هذه المشكلة لديه إيمانه العميق كما عبر في كتبه ومقالاته بأن العلم التجريبي (مستمر) (قاطع) (يمتلك مفاتيح التعامل مع الوجود كله) و(يحتوي على تفسير موضوعي لكل قضية) وهو (لا يتوقف ولا ينقطع) وهو (لا يعرف الراحة والتعب والنصب واللغوب) و (البحث العلمي لا يمكن محاصرته فطبيعته تقدمية) و(التفكير أداة المعرفة لشق الطريق إلى فضاءات معرفية لا نهائية) و(الحياة مليئة بالأسرار والسر يحرك شهية المعرفة ويفتح روح الفضول للاكتشاف ولو أرسل خشب أشجار المعمورة إلى المصانع لاستخراج الأقلام، ولو أن بحار الدنيا السبعة تحولت إلى مداد ثم سخرت الأقلام لتكتب هذه الأسرار لفنيت الأقلام وجفت البحار ولم تنته هذه الكلمات) هذه المنظومة الفكرية لخالص جلبي هي من أسس منطلقاته وقواعد تصوراته، ويكفي نقلها عن تصور ما فيها من انتكاس مادي.

وما تتضمنه هذه العبارات من أفكار مادية دنيوية وعقائد، تشبه - إلى حد ما - عقائد الدهريين، فإذا كانت أسرار الحياة والعلم التجريبي لا يعرف التعب واللغوب فهو (قيوم) وإذا كانت أسرار الحياة لا تكفيها الأشجار أقلاماً ولا البحار مداداً فهي (كلمات خالق) لا مخلوق، وإذا كان العلم لا نهائي فهوي أبدي سرمدي، وكل هذه الأوصاوف لا يصح إطلاقها على مخلوق، بل هي مختصة بالله تعالى. فهل يقول هذه الألفاظ من يرجو لله وقاراً؟

وهل يتلفظ بهذا أحد إلا وهو يستبطن عقيدة العنف التي مارسها (لينين) وإتباعه تحت ظلال هذه المقولات وأشباهها.

وهل هذه المفاهيم المادية من مكنوزات العقل الباطن لدى د/ خالص جلبي الذي أبان في المكاشفة عن تأثر مبكر بأستاذه الشيوعي وافتخاره بما سماه (الانقلاب النوعي لدماغي وتفوقي كان على يد أستاذ شيوعي)

وهذه الأفكار المادية المقدسة للعلوم الطبيعية والتجريبية كانت هي الخميرة الأصلية لممارسات العنف الدولي المعاصر في الحربين العالميتين وما صاحبها من نازية وفاشية وإمبريالية، وما تبعها من استعمار وتسلط مازال العالم يعيشه حتى اليوم، بل كانت هذه الأفكار المعظمة للعلوم المادية هي أحد الأسس الذي نشأت عليه الأحزاب والدول العلمانية في بلاد المسلمين ومارس بها (لادينيون) عديدون في بلاد المسلمين أبشع أنواع الاضطهاد والعنف تحت شعارات الحرية والتقدم ومقاومة التخلف والرجعية والنصوصية والغيبية.

وعندما أقرأ هذه الأفكار لا أجد كبير فرق بينها وبين بعض أفكار أدونيس في الثابت والمتحول، وأفكار آخرين مثل طيب تزيني وحسين مروة وعادل ظاهر وعزيز العظمة ومحمد أركون وهاشم صالح ويوسف الخال وأشباههم من كتاب الماركسية والمادية.

خامساً: إيمانه بفرضية داروين، بل زعمه أن المسلمين إلى اليوم ليسوا في مستوى مناقشة مقولة داروين و يدعي أننا إلى اليوم لم نقترب من داروين.

وهذه سقطة قاتلة، وسرطان فكري أرجو أن يسعى د/ خالص في اقتلاعه من عقله قبل أن يفتك به فيخسر الدنيا والآخرة.

وعليه أن يوجه كلامه الذي قاله في المكاشفات إلى نفسه حيث قال: (إنني أضع يدي على أمراض المسلمين وأقوم بمعالجة خطيرة في جراحة عصبية فكرية لاستئصال ورم التخلف).

وخير له أن يكون عامياً يؤمن بأنه أحد ذرية آدم، من أن يكون متفلسفاً يقشر الموز تحت نافذة داروين؟؟

وإذا كان ينعى على المسلمين ما يسميه (الفكر الاتباعي) فينبغي له أن ينعى على نفسه هذا الفكر الانصياعي، فالمسلم - المنتقد عند جلبي - في أقل أحواله يتبع قول عالم استضاء بنور الوحي، وحكمة العقل وبصيرة الفطرة، وأما خالص جلبي فهو في أحسن أحواله تلميذ لفرضيات داروين وسبينوزا وكانط، وشتان بين الثرى والثريا.

ألا يعلم د/ خالص أن من الأمور القطيعة في الإسلام أن آدم هو أبو البشر جميعاً، وأنه هو بداية الجنس الإنساني الذي يعيش في الأرض اليوم؟

والنصوص القطعية في القرآن والسنة كثيرة في إثبات حقيقة أمر الخلق وكيف بدأت قصة الإنسان.

والأديان السماوية كلها على هذا الاعتقاد، وكان اليهود والنصارى على ذلك ولم يخالف فيه أحد حتى جاء داروين ووضع ما يسمى نظرية التطور والارتقاء، فأخذ بها الغربيون الذين كانوا في حاجة إلى أي مساندة تقوض سلطان الكنيسة الطاغي، وتحطم هيمنة رجال الدين وتساند توجههم المادي، ثم اتضح أن هذه النظرية ساقطة علميا ومنهجيا، ولكنها بقيت ذات تأثير في عقول وقلوب بعض المسلمين، الذين تأثروا بالدراسات الغربية، مع جهل بدينهم، وهزيمة نفسية أمام ما يسمى الحضارة الغربية، وهم في الوقت ذاته لم يواكبوا تطور المعرفة، فيعلموا أن هذه النظرية قد نقضت عند جملة من كبار العلماء التجريبيين الغربيين، فظن هؤلاء المستلبون أن هذه النظرية لا تخالف الإسلام.

بدأت فكرة النشوء والارتقاء عندما قدم دارون نظريته سنة ١٨٥٩ في كتابه أصل الأنواع، فظهرت هذه الفكرة وشاع معها القول بالتولد الذاتي المستقى من فلسفة أرسطو اليونانية، وأضحت هذه الفكرة محوراً لمعتقدات كثير من الغربيين،

ليس في الحقل التجريبي فحسب بل في الفكر والفلسفة والعلوم الإنسانية أيضاً وملخص نظرية دارون أن أصل الحياة خلية كانت في مستنقع أو بحر قبل ملايين السنين ثم تطورت هذه الخلية ومرت بمراحل منها مرحلة القرد الذي تطور هو بدوره ليكون منه هذا الإنسان، وهذه العملية كلها من فعل الطبيعة، وهو ما عبر عنه دارون بقوله "الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق".

وهذه النظرية من الناحية العلمية والعقلية منقوضة، ذلك بأنها افترضت أن الطبيعة ذات إرادة وقدرة شاملة وتحكم ونظام ذاتي، بحيث تنتخب الأفضل والأقوى ثم تزعم النظرية في الوقت نفسه أن الطبيعة تعطي وتحرم دون خطة مرسومة بل بعشوائية، وترسم النظرية خط التطور ذاته وهو متعرج مضطرب لا يسير على قاعدة منطقية مطردة، وتزعم النظرية - بدون تقديم أي دليل - أن هذه المخلوقات متسلسلة وراثياً ينتج بعضها عن بعض بطريقة التعاقب خلال عملية التطور البطيئة الطويلة، وهذا الأصل لم يتمكنوا من إيجاد أي دليل عليه، وذلك لوجود حلقات مفقودة في سلسلة التطور التي يزعمونها.

وقد بين جليان هكسلي أحد أتباع هذه النظرية نقاط ضعفها والثغرات العلمية فيها.

وكذلك آرثر كيت الداروينى المتعصب الذي أفاد بأن هذه النظرية بدون براهين وذلك في قوله: "إن نظرية النشوء والارتقاء ما زالت بدون براهين وستظل كذلك والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق".

وتزعزت النظرية بشكل كبير عند علماء الطبيعيات الغربيين بعد ظهور قانون مندل الوراثي واكتشاف وحدات الوراثة (الجينات) بوصفها الشفرة السرية للخلق، واعتبار أن الكرموزومات تحمل صفات الإنسان الكاملة وتحفظ الشبه الكامل للنوع.

أما التشابه بين الكائنات الحية فهو دليل ضد نظرية دارون، لأن هذا التشابه يدل على وحدانية الخالق، ولا يدل على وحدة الأصل بحيث تفرعت من الأصل كل الأنواع كما يزعم أصحاب نظرية النشوء والارتقاء.

والنظرية إضافة إلى ذلك، بل قبل ذلك كله، هي من الناحية الدينية باطلة مناقضة للإسلام، فالإسلام وكافة الأديان السماوية تؤمن بوجود الله تعالى الذي خلق كل شيء وأحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم نفخ فيه الروح ثم جعله يتناسل من نطفة تنتقل إلى طور العلقة فطور المضغة إلى أن يكتمل ثم انتقل من طور الجنين إلى طول الطفل إلى طور الشباب وهكذا.

والإنسان يبقى إنساناً بشكله وعقله وصفاته منذ خلق الله آدم عليه السلام، وإن حصل فيه تقاصر في خلقته وضعف في بنيته.

والكائنات الأخرى خلقها الله تعالى كل نوع منها مستقل في الخلقة عن الآخر، وإن وجدت في مراحل تاريخية متدرجة أو حصل لها نوع من التغير أو الانتقال من طور إلى طور بسبب التلاقح والتزاوج والتأثير البيئي ونحو ذلك، وكل ذلك بقدر الله وتدبيره، وكلها في أصلها وتدرجها من خلق الله وحده كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام:١٠٢)

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد:١٦)

وقوله جل وعلا: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر:٦٢)

وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (غافر:٦٢)

سادساً: هذه جملة من الأسس الفكرية لخالص جلبي وبناء عليها يمكننا أن نفهم خبط العشواء الموجود في أفكاره وطروحاته؛ لأنه إذا فسدت القواعد والمنطلقات أو تشوهت أدت بالتالي إلى فساد الفروع والجزئيات المنبثقة عنها، ولا يعني هذا أن ليس في كلامه ما هو حق وما هو مفيد ونافع، ولكن ماء بئره دون القلتين!! وفي الحديث (إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث) هذا لفظ الترمذي.

ولذلك لا أجدني في حاجة إلى مناقشة طويلة لأفكار مريضة طرحها في مكاشفاته؛ لأنه لا يصلح مداوة الجسم والرأس مقطوع، ومن هذه الأفكار على سبيل المثال:

١ - فخره بالانفكاك من التدين التقليدي.

٢ - الحلم الطوباوي الذي سماه (عالم السلام كوكب قائم بذاته) ودعوته إلى مذهب ابن آدم الأول، ولا أدري لماذا لم يسمه ابن القرد الأول؟ أم هو مجرد التقليد لأستاذه جودت سعيد؟

ولا أدري لو خرج د/ خالص من مكتبه وأقلامه الملونة وجهاز التكييف والراتب المتدفق والسيارة المريحة، ومر على جنين، أو على مقبرة الشهداء في غزة، أو لو رأى بأم عينه أطفاله يمزقون وبعضهم يبكي وينزف طوال الليل وقد منعه جندي يهودي أو روسي أو هندوسي من الوصول للطبيب، ولو رأى بيته يهدم على زوجته وأبنائه وأحفاده كما يحصل في الشيشان أو حيدر أباد أو رام الله أو رأى عذراء تغتصب في الشارع ويتداول على اغتصابها أربعة من الجنود الروس، أو رأى امرأة تضم بقايا أشلاء ولدها على صدرها وقد ذهبت القذيفة برأسه، أو سمع أنين المختنقين بالغازات السامة، أو شم روائح الأجساد المشوية بالنيران الملتهبة، أو لو تشرد من القصف فاراً بروحه من منزل لآخر ومن قرية مهدمة إلى أخرى، أو تضور جوعاً وتمزق ظمأ تحت وابل النيران.

لو رأى هذا وأشباهه يقع على نفسه أو على أمه وأخته وزوجته وابنته وحفيده وقريبه، هل سيكتب هذه الكتابات الملونة بأحبار (أحمد غلام ميرزا القادياني)؟

أم سيختلف الحال، ويعود إلى النصوص الشرعية الآمرة بالقتال والتي حاول أن يعسفها إلى حد الإلغاء، أو يحصرها في نطاق ضيق جداً، يكاد يكون نطاقاً ذهنياً تجريدياً لا يمكن تطبيقه.

سابعاً: مدح عبادة العمل الدنيوي والاعتساف في الاستدلال بآيات القرآن حيث يقول: (الألمان يعبدون العمل، إذا أردت أن تعذب ألمانياً فاجعله يتوقف عن العمل، الألمان لديهم عشق وغرام بالعمل، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. ويقول: ﴿أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ ويقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

ويذكرني هذا الاستدلال العجيب بقصة أحد القراء في عهد جمال عبدالناصر بدأ تلاوته بقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾. ومكث يكررها استجلاباً لأنس فخامة الرئيس ورضاه!! وهل عبادة العمل الدنيوي مما يمدح يا دكتور؟ وهل جاء الإسلام إلا لانتشال البشرية من هذه الكآبة؟ وهل الآيات التي استدلت بها فيها دلالة على مرادك المتردي هذا؟

وهل مرت عليك الآيات التالية: ﴿كَلاَّ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

لا أدري هل تأمل د/ خالص هذه الآيات وفهم معناها؟

أم أنه فسرها أيضاً على طريقته في تفسير آيات العمل السابقة الذكر؟

يظهر أنه خالص الاهتمام بالدنيا، ولذلك لما سئل: لماذا الآخرة غير حاضرة في مشروعك أجاب بتعال: (أستطيع أن أرثي لكم فقط، لأن المسلمين مشكلتهم دنيوية أرضية واقعية، وأنت تبحث في المتافيزيقيا مثل مريض السل الذي تريد معالجته هذه الأيام بالدعاء... ما لم يحصل نقلة نوعية في التفكير، وهذه لن تحدث بدون صدمة مزلزلة لكل الفكر التقليدي، والمسلمون شبعوا من الحديث عن الآخرة).

ثامناً: أمريكا المجاهدة، وسام منحه د/ خالص جلبي للأمريكان في قوله: (ما عملته أمريكا مع سلوبودان ميلوسوفيتش يمكن أن يكون نوعاً من الجهاد) وفي قوله: (الرئيس الأمريكي بعد أحداث سبتمبر ذهب إلى المسجد وقال إن هناك مسلمين معتدلين وهناك ارهابيين، إلا أن هناك أناساً يحبون الاصطياد في الماء العكر). وهذا من عمق التفكير وقوة الفقه في الدين!! وفتوى جهادية أمريكية من د/ خالص جلبي، ودفاع عن بوش ضد الذين يحبون الاصطياد في الماء العكر، وهذه الأقوال تدلنا على مقدار الخلط والاضطراب.

أما فتوى نبينا وقدوتنا محمد (فإنها عكس هذا تماماً فقد نفى عمن يقاتل حمية أو شجاعة، وهو من المسلمين، نفى عنه وصف الجهاد كما في صحيح البخاري وغيره، وأثبت هذا الوصف لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

وبناء على هذا الفقه الغريب الذي أطل به علينا د/ خالص جلبي أفتى في المكاشفة ذاتها بأن عمل أمريكا الذي تريده ضد العراق يمكن أن يكون نوعاً من الجهاد!!

هل يعقل أن يقول أحد من المسلمين هذا؟ بل هل يقول ذلك من في قلبه ذرة من انتماء للأمة؟ أو لديه أدنى فهم للدين أو التاريخ أو السياسة؟

أعمال المسلمين القتالية يسميها عنفاً، ومرضاً وعفونة ودموية وتخلفاً ورجعية ووحشية، وأعمال الأمريكان الإبادية يسميها جهاداً ومقاومة للاستبداد والظلم، ومن قال خلاف ذلك فإنه يصطاد في الماء العكر، ثم يصفه الأستاذ عبدالعزيز قاسم بالمفكر الكبير العملاق.

يا أخي استحيوا من الله!! واحترموا عقول قرائكم؛ فإنه ليس كل من ثرثر صار عالماً أو مفكراً.

وبإمكانك أن تجد مثل هذه الأفكار في جلسات الكيف، وثرثرات المقاهي، وجلسات البلوت.

وليست أمريكا في حاجة إلى من يفتي لها ويسوغ أفعالها باسم الإسلام، ويستر سوأتها بملحفة فكرية ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ (المائدة:٨٠)

تاسعاً: وصفه لمحمد أركون والجابري وأبي زيد بأن لهم فكراً حراً. في مقابل وصفه لمفكري الإسلام ودعاته وعلمائه بالجمود ومحاصرة العقل بالنقل والجمود. (وكل يميل إلى جنسه). ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾ أي يعمل على طريقة من يوافقه ويشاكله في الرأي والمنهج.

فهل الحرية الفكرية لا تكون إلا بالسخرية من القرآن والتهكم بالإيمان، وتدنيس المقدس التي مارسها الأشخاص المذكورون؟

إذا كان هذا هو الفكر الحر عند خالص جلبي فماذا يكون فكر أبي لهب وأبي جهل وعبدالله بن أبي بن سلول؟ وماذا يسمي فكر ابن الراوندي وابن سبعين والحلاج؟ وغيرهم من الأشخاص الذين اختلفت عباراتهم ومواقفهم، ولكنها اتحدت في حرب الإسلام وأهله.

ومن هذا القبيل إشادته بإحدى الجرائد المعروفة بمواقفها في مقابل نقده لجريدة المدينة لأنه يجد فيها (بعض الالتزام) ولذلك يستعمل (الأسيد) - حسب تعبيره العنفي - لإزالة هذا الالتزام ويستخدم الأصباغ والأملاح في خطة للتعامل مدتها عشر سنوات).

ولماذا يا دكتور خالص كل هذا العناء من أجل إزالة (بعض الالتزام)؟ ولماذا الأسيد والأصباغ والأملاح والخطة؟ كل ذلك من أجل (بعض الالتزام) ترى ماذا ستفعل إذا كان هناك التزام أكبر وأقوى، نسأل الله تعالى أن يقوي الالتزام بدينه في كل صحف المسلمين ومجلاتهم حتى تحبط الخطط العشرية والخمسينية وحتى يقول كل محب للالتزام: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (الإسراء:٨١).

عاشراً: قوله: ليس هناك في الإسلام رجال دين ومفسر وفقيه في شهادات تحتكر الفهم وتجعله حراماً على غيرهم.

هذا قول قديم حديث ردده من قبل أدونيس ومحمد شحرور وحسين مروة وأركون وعادل ظاهر والتزيني وعزيز العظمة وغيرهم من مشاهير المعترفين بالإلحاد.

وبناء على قوله هذا فليقل في دين الله من شاء ما شاء.

ولا أدل على ذلك من تفسيرات د/ خالص التي لا تمت إلى الدين ولا إلى اللغة ولا للمنهج العلمي الصحيح بصلة، مثل تفسيره لآيات العمل المذكورة آنفاً، ومثل تفسيره للسائحات بالمسافرات للسياحة، وتفسيره لآيات الجهاد، وفتواه بأن فعل أمريكا نوع من الجهاد وفتواه بأن الإنسان إذا استمع للموسيقى فشعر بالكهرباء تسري في جسده فهو في أعظم صلاة، وأن دراويش الصوفية في صلاة خاصة، وأن الكسل من أعظم الذنوب والعمل الدنيوي هو المقصود بقوله تعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. وغير ذلك من فتاوى التخلف والعته الفكري، والتي تدل دلالة واضحة على فقر في الدين والعلم معاً.

حادي عشر: لقطات سريعة

١ - يقول د/ خالص بأنه حفظ القرآن، ومع ذلك فقد أخطأ في آيتين استدل بهما، رغم أن نص المحاورة أعيد إليه وراجعه.

الآية الأولى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حتى أتاهم نصر الله**﴾. والصحيح: ﴿**حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا**﴾.

الآية الثانية: (ومن قوم موسى أمة قائمة يهدون بالحق وبه يعدلون). والصحيح: ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾.

٢ - قال بأن ابن الجوزية ذكر في كتابه زاد المعاد، ولا يوجد شخص بهذا الاسم، وزاد المعاد هو لابن قيم الجوزية رحمه الله.

٣ - قال بأن (فكر الأنبياء) كذا وكذا، وهذا إطلاق غير صحيح إذ أقوال الأنبياء وحي من الله تعالى واجتهاداتهم مسددة وهي وحي ثابت بإقرار الله لهم عليها أو بتعديلها وتصويبها.

٤ - أشار إلى أن أفكار ابن تيمية تحتاج إلى فلترة.

حسناً من الذي يقوم بذلك؟

هل يقوم به شخص تحتاج فكرته عن الإسلام وقضاياه إلى إعادة تأسيس وبناء؟، هل يقوم به أحد من الذين قال الله فيهم: ﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾ وقال عنهم: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ**﴾؟ أم يقوم به شخص من أئمة الإسلام الذين قال الله فيهم: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾. وقال عنهم: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ**

الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾؟

* **أكاديمي وباحث شرعي سعودي**

* نشرت المداخلة على حلقتين في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٧ و٢٤/ ٩/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٢ و٢٩ نوفمبر ٢٠٠٢ م

د. ظافر بن علي القرني*:

مثل د. جلبي في دعوته للسلام كمن يدعو الفقير إلى عدم طلب الغنى فلعله يستدر عطفه فيغدق عليه الأموال

- أرجو من د. جلبي وهو الحافظ لكتاب الله إن بهرته مثل هذه الاكتشافات أن ينبهر بها وحده وأن لا يشغلنا بها فلدينا ما هو أهم منها.
- لقد أجلب علينا د. خالص جلبي بفكرٍ متضارب تضارب أفكار بيئته الأولى التي عاشها، فهو لا يستقر على حال فما إن تراه على جادة إلا وينقلب إلى أخرى.

يكتب الدكتور خالص جلبي تارةً، فيجلب لقرائه مقالاً يزخر بكمٍ كبير من المعلومات التي تكاد تكون خالصة من كل شائبة. ويكتب تارةً أخرى فيأتي بمقال خليطٍ من العلم النافع وغير النافع أو قُلْ: الضار الذي لا تستطيع تقبله مهما قلَّبته ونظرت فيه. فتشكره في الأولى وتحتفظ بما قرأت، وتدعو له بالسداد في الثانية ولا تبالي أحتفظت به أم لا، بل ترى لزامًا عليك أن ترد على بعض القضايا التي يثيرها لتبيان الحق الذي تراه. والحال الأخيرة ظهرت جلياً في مكاشفاته التي نشرت في ثلاثة أعداد من ملحق الرسالة - جريدة المدينة (الجمعة ٢٦/ ٨/ ١٤٢٣هـ) وما بعده. لقد اطلعت على هذه المكاشفات فلمست فيها محاولة الدكتور أن يقول الحقيقة كما هي وأن يعبر عن القضايا كما تبدو له من وجهة نظره. فتجده يقول إن والده لم يركع لله ركعة، وإن أمه لا تعرف العربية وهي عازفة عود من طراز جيد وهذا ما جذبه نحو الموسيقى، فهو يجمع في بيته كل أنواع الموسيقى العالمية تقريبًا. وذكر أن بيئته الأولى تحوي كل الأديان والمذاهب والطوائف وغير ذلك مما صرح به بكل صدق. ولا يملك المرء إلا أن يحمد الله على أن يخرج رجل من بيئة كهذه يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. وهذا يدل - بعد توفيق الله - على ذكاء الدكتور وفطنته وفقه الله. لكني عجبتُ لإنكاره أن يكون لهذه

البيئة أثر في تكوينه. ونحن بلا شك نتفق معه في قليل مما قاله ونختلف معه بل ننكر كثيراً مما ذهب إليه. وسأتناول في تعقيبي هذا أربع قضايا وردت في مكاشفاته، هي: قضية السلام كما يتخيله، وقضية التوحيد وكونه مسألة سياسية أو فكرة اختارها الرسول صلى الله عليه وسلم ليخاطب بها العالم من زاوية سياسية، وقضية نحن والغرب أخلاقًا وتقدمًا وتأخرًا، وقضية تهويل التقنية والتعويل على علوم العصر.

قضية السلام المتخيَّل

لقد خرج علينا الدكتور خاص بدعوى لم نجد لها أثرًا فيما درسناه من كتب، أولها القرآن، وما شاهدناه من واقع، وما تلمسناه في تاريخ من مضى من الأمم. هذه الدعوى تقول أن هناك سلامًا ليس كمثله سلام، لم يتحقق على الأرض فيمن سبق وإنه لمتحقق في اللاحقين على اختلاف مشاربهم. فهو كثيرًا ما يردد أن الناس على الأرض اليوم هم قوم طعن وقتل وإذا رقوا بأنفسهم حضاريًا وثقافيًا أصبحوا قوم سلم وأمن. يقول: "أعرف اليوم أن السلام كوكب قائم بذاته والله يهدي إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى سراط مستقيم". وهذا كلام ما فيه من الجمال إلا لفظه، أما حدوث مقتضاه فمتعذر. فالأمن والسلام هما أمنية كل راشدٍ عاقل من الناس. ولكن هل يضمن الدكتور الكريم رشاد وتعقُّل كل من على الأرض، وكيف يسوّغ لنفسه تصور رشاد سكان الأرض في المستقبل مع أن هذا لم يتحقق فيما مضى من أجيال عبر الأزمنة الغابرة وهي بلا شك أطول أمدًا مما بقي. ولو سلمنا بما يتصوره، لشرعنا في البحث عن تفسيرٍ متعسفٍ لكثيرٍ من الآيات والأحاديث الثابتة التي يعارضها قوله، ولربما تجرأنا فحصرناها في زمن النبوة، أو ازددنا جرأة فعطلناها تمامًا والعياذ بالله.

والدكتور له آراء في هذا المضمار شاطحة ناطحة فلقد قرأت له في مقالة أظنها في هذه الرسالة قوله بما مفهومه: إذا أقبل عليك عدو كاسر يريد أن يقضي

عليك فلا تقاومه، فتعد مجرمًا مثله لكن استسلم له فإن قتلك تحقق في حقه الإجرام وسلمت أنت من هذه الصفة المقيتة، ولعله بعد موتك أن يشعر بالذنب أو تأنيب الضمير فيتوب من غيه. ولقد جادله أيضًا صاحب الرسالة كثيرًا حول هذه القضية ولم يصل معه إلى مقال معقول. أي شيءٍ من قرآنٍ أو سنة أو حتى عرف أو شرعة سابقة يؤيد ما ينصح به. وحادثة ابني آدم التي يستدل بها كثيرًا وقعت بين رجلين أخوين وليست بين أمتين أو جيشين عرمرمين يرى كل منهما أنه على حق وأنه منصور وعدوه مغلوب مقهور. وهو يدعو في مقالاته ومكاشفاته إلى التخلي عن القوة من جانب واحد لنشر السلام في الأرض. يقصد أن نعلن للناس أننا لن نحاربهم مهما اعتدوا علينا، بل إننا إمعانًا منا في الالتزام بهذا المبدأ لا نملك ولا نفكر أن نملك أي نوع من أنواع القوة للدفاع به عن النفس سوى قوة الاحتجاج والامتعاض والتكشير في الخفاء بحسب الحاجة. بمثل هذا التصرف تنعم الأرض، من وجهة نظره، بالسلام والحضارة المرجوة. وهذا منطق معوجّ لو جاء به من لم يبلغ الرشد لما قُبل منه، فكيف بمن يقول عن نفسه إنه مفكر إسلامي يريد الخير للبشرية جمعاء.

إنني أخشى أن يتطوّر هذه المفهوم لدى الدكتور خالص فيقول لا مانع من أن نجند للجند الغازي بقدره من العازفين. فلو أقبل مليون جندي نقابلهم بمليون عازف. فلعل هذا العزف أن يسري عبر الأثير إلى قلوب هؤلاء الغزاة الطغاة فتلين وتخشع لصلصلة أعوادنا. ولا تثريب علينا في هذا، لأن أسوء ما يحدث لجيشنا العازف المجاهد أن تُكسر أعواده على رؤوسه، فيموت كل جنديٍ منهم شهيدًا تحت ظلال عوده.

وماذا لو قالت لنا الدول المتقدمة تقنيًا: اخرجوا من أوطانكم أو قتلناكم، هل نوافقهم؟ وماذا لو قالوا: تخلوا عن الموسيقى ولا تستمعوا لها أبدًا، إمعانًا منهم في التنكيل بنا، هل يرى الدكتور أن نوافقهم لتحقيق السلام، أم نتمرد عليهم دفاعًا عن

الحرية. أيها الدكتور الفاضل إن المسلم الحق لا يطمع في قتل الناس وما خلق لقتلهم، ولا يجوز له ذلك بل هو يسعى لهدايتهم، ويتمنى من كل قلبه لكل إنسان الخير والرشاد. ولكنه أيضًا لا يكون مغفلاً ويظن أنه بمنأى عن كيد الأشرار والأرض مملوءة بهم. والمسلم لا يتوانى ولا يذل في الدفاع عن دينه ونفسه وما في حكمهما مما هو معلوم.

ولقد أصبنا في زماننا هذا بمعضلة تمييع المصطلحات التي لا خلاف عليها بين المسلمين. فالله سبحانه وتعالي يقول: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾. فتسأل العالم المتبحر في العلم: ما المقصود بالقوة؟ فيقول: القوة في كل شيء في الاقتصاد والتجارة والصناعة وفي الأدب والشعر، والثقافة وغير ذلك. وتعود إلى الرسول الكريم محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام، فتجده يقول: "**ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**". ثمَّ تنظر لحال الأمم المهزومة اليوم فتجد أنه لا يهلكها شيء كالرمي فهو يأتي من البحر إن رصدت له البر، ويأتي من البر إن رصدت له البحر، ويتساقط عليها من الفضاء الخارجي فيحيل القصور الشاهقة رمادًا سُختًا كأن لم تغن بالأمس. وما أصيب به مفهوم القوة من تشويش يصاب به مفهوم الجهاد والعبادة والصلاة على يدي الدكتور الكريم وغيرها من المفاهيم كالمدافعة والولاء على يد غيره. والمشكلة أن الكلام الذي يأتي به بعض هؤلاء جميل ولا ينكر، ولكن ما يوردونه شؤون لاحقة تستقيم وتعمر إذا استقام وعمر الشأن الأهم أو حُدد الهدف الأسمى. فلا شك أن الرمي، مثلاً، يحتاج إلى جند ذوي بنية قوية، والبنية القوية لا تأتي إلا باقتصاد قوي، والاقتصاد القوي لا يكون إلا في أمةٍ مثقفة، وإذا ازدهرت الثقافة ازدهر الشعر فهو منها وهي منه وهكذا. لكن أن نقول إننا بحاجة إلى اقتصاد قوي لنبني جندًا قويًا، وليس من أهدافنا أن نعلمه الرمي ولا صناعة الرمي، بل لم نحدد الهدف من بناء هذا الجند، فهذا عبث وضياع.

ومثل الدكتور في دعوته للسلام "النائم" كمن يدعو الفقير إلى عدم طلب الغنى، فلعله بفعله هذا يستدر عطف الغني فيغدق عليه الأموال، فيتحسن حاله دونما عناء. وبهذا يكون حسس الغني بالمشاركة والتعوّد على البذل والتخلص من قسوة القلب جراء الغنى المفرط، وصنع توازنًا بينه وبين الغني بأجمل السبل.

أما احتجاج الدكتور بآية "لا إكراه في الدين... "، فمفهوم من الآية أن هذا الدين معرَّف وأنه دين قائم عامر، وأنه تبين به الرشد من الغي. لكن طريقة استدلال الدكتور بها لا تهدينا إلى هذا الفهم ولا إلى هذا التمايز. فهو يريد قبل أن يقيم الدين الحق أن يقول: لا إكراه في الدين. ولو أن الأمر كما يراه أو يريده، لاكتفى محمد صلى الله عليه وسلم بهذه المفهوم من اليوم الأول للدعوة وأقر كلاً على ما هو عليه وركَّز سعيه في جعل العلاقات الاجتماعية بين الناس متوائمة. بل لو أن الأمر كما يراه الدكتور ويريده لما لزم إرسال الرسل إلى الناس لهدايتهم من الأصل. إن الشيء الذي نفهمه جيدًا أنه لم يرد في دعوة الرسل ما يؤيد هذا الأسلوب الانبطاحي الذي يدعو إليه. كيف يدعونا إلى الانبطاح لعل الخصم أن يخجل من انبطاحنا فينبطح مثلنا. هل حصل مثل هذا الانبطاح على مر التأريخ الذي يقرؤه الدكتور ويقلب صفحاته. إن الأنبياء هم الأجدر بهداية الناس وإرشادهم، فهل دعا أحد منهم إلى مثل ما يدعو إليه ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

ثمَّ هو يقول: "إن الرسول لم يقتل إلا عددًا محددًا من الناس اضطرته لذلك الضرورة ووحد الجزيرة العربية في ذلك الظرف الحرج بأقل عدد من الخسائر البشرية لم يتجاوز ألفي رجل مثلاً". وهو يعلم أن المعارك التي خاضها الرسول الكريم وصبحه من بعده لم تكن معارك هوى ولا حب زعامة دنيوية بل هي لحماية هذا الدين ولجعله منهجًا للناس. ولذلك دخل هو وصحبه معارك حاسمة أما أن يكون الدين بعدها أو لا يكون. ومسألة كم قتل وكم لم يقتل لا قياس بها مطلقًا، إنما

العبرة بمن اندحر ومن انتصر. وكلنا يعلم كيف كان يدعو الرسول على أعدائه في غزواته، ونعلم الظرف الحرج الذي مر به هو وصحبه في معركة أحد ولو رأوا للنصر سببًا لم يتركوه مخافة أن يرتفع عدد القتلى في المشركين. كذلك كان موقف خالد بن الوليد في معركة اليمامة (في حروب الردة). أتراه يعزف عن سحق مسيلمة ومن معه في أول المعركة لو ملك السلاح. ومثلها معركة مؤتة. الذي يبدو أن الدكتور خالص مولع بالتأريخ لكنه لا يعرف أو لا يريد أن يعرف كيف يقرأ التأريخ الإسلامي مع الأسف.

وهل فكَّر الدكتور في هذه الآلة الحربية التي طورها الغرب وأصبحت تديره ويديرها، وتنتج كمًا هائلاً من الأسلحة التي بُذل في صناعتها فكرٌ ومالٌ لا يمكن أن يذهبا سدى. أترى أهلها يتخلون عنها بدعوى نشر السلام في الأرض وهم يرون أنها هي التي تحقق لهم السلام كما يريدونه. إن الدكتور بدعوته هذه لا يرضى أن تبقى الأمة نائمةً كما هي منذ قرون بل يريدها مخدَّرة بمادة أكثر تأثيرًا من النوم كما يفعل مع مرضاه - ولا يغير النتيجة علمه أو عدمه بما يفعل. وبهذا يتحقق عدم نهضة هذه الأمة إلى الأبد، لأنها إن دفعت عنها غلبة النوم ما دفعت عنها سيطرة المخدر. وإذا كان الدكتور يحلم بكرة أرضية هادية مطمئنة فأين يهب المجرمين، والظالمين، والفاسقين، والطاغين، والكافرين، والمنافقين، والمتكبرين، والمشركين، والقرية الظالمي أهلها، وأكابر مجرميها وغير هؤلاء ممن يجدهم فيما يحفظه من علم. وما هي التقنية التي يستطيع أن يتلافى بها لباس الجوع والخوف، ويدفع بها الظلم عن نفسه، ليوظفها بدلاً من ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾. هل يرى الدكتور أن هذه الفئات من الناس مقتصرة على العصور القديمة (عصور التخلف) وإن العصور القادمة ستكون خلوًا منهم، أم يعتقد أنه سيتركنا نصادم هؤلاء ويرحل هو وركب السلام أو هو والمثقفون إلى المجرة - كما أشار في مكاشفاته - فينعم بخيراتها وثرواتها الهائلة. نسأل الله التوفيق والهداية.

لو إن السلام الذي يتخيله سيعم الأرض، لكانت فترات الأنبياء والرسل هي الأجدر به زمانًا ومكانًا وخَلقًا. فهل تحقق ذلك بالصورة التي يتخيلها لأيٍ منهم عليهم السلام. الحق أنهم عانوا وكابدوا وجاهدوا وقاتلوا - ومنهم من قُتل - وصبروا وأوذوا ولاقوا أصنافًا من العذاب والقهر الذي لاشك أن الدكتور يعرفه تمامًا. ثمَّ إذا كان الجار مع جاره يختلفان لقلة التقوى، ويختلفان لتباين الخلفيات الثقافية وهما متجاوران، ويسود بينهما العداء لأسباب أخرى كثيرة فكيف سيعالج هذه الاختلافات بين أمم الأرض المبعثرة المتباعدة التي يتربص بعضها ببعض. ألم يعتبر من عجز أمم من يسميهم أهل العلوم العصرية والتقنية عن صنع سلام في فلسطين بين دولتين صغيرتين على الرغم مما يبذلونه من جهود وأموال، فكيف يكون الحال إذا كان كل فريق مكوّنًا من عدة دول متضافرة متناصرة تتضارب في مصالحها وأهدافها مع الدول الأخرى.

المشكلة في دعوة الدكتور أنك إن جادلته فيها اتهمك بأنك دموي تحب القتل وتريد أن تقتل، وإن تركته زاد إيمانه بها وزرعها في صدور الناشئة حتى إذا ما خرجوا إلى الحياة خرجوا ضعافًا يبكون لأتفه الأسباب، ويساقون إلى حتفهم وهم يحسبون أنهم يقادون إلى حدائق ذات بهجة.

ولا يتردد في سياق دعوته إلى السلام أن يتهمنا بعدم فهم الأنبياء ولا العلم وأن الأمور مختلطة علينا. وهذا قولٌ باطل. ولو قال إننا لم نتبع بعض ما جاء به الأنبياء لقلنا صدق، أما أن يقول أننا لم نفهمهم فهذا افتراء. كيف تقوم علينا الحجة ونحن لم نفهمهم. ثم إن الله جلَّ في علاه لم يرسل الرسل إلا ليفهموا وقد يُعصوا لكن ليس لسوء فهم كما يدعي ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾. ليت الدكتور بيَّن لنا الأمر لخطورته وأبعد عن التعميم الذي لا جدوى منه. وهو في الوقت الذي يتهمنا بعدم فهم الأنبياء، وبعدم معرفة العبادة والصلاة يدعو إلى تسبيحة موسيقية عامرة بالخشوع والتقوى. إنني لا أشك في أنه سيجد من يقول

له ما قاله نوح عليه السلام لقومه: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

قضية التوحيد

الكارثة الأكبر في هذه المكاشفات، وفيما سبقها من مقالات، هي قوله أن التوحيد مسألة سياسية... !. وليته اقتصر على هذا القول رغم عواره لكنه أراد أن يبين ما يريد فجاء بطامة. فهو يقول: "وأما فكرة التوحيد فهي التي انتقاها صلى الله عليه وسلم في رسائله لملوك الأرض من الزاوية السياسية أن لا يتخذ الناس بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله". وليته سكت هنا، لكنه أتحفنا بإضافة لا تأتي في هذا السياق إلا ممن لا يعرف للناس أقدارهم، فهو يقول: "فهذه جدلية الصراع الإنساني وليس هناك أشرس منه، وكما يقول أحد الصالحين: إن حب الزعامة هو آخر ما يخرج من قلوب الصالحين". وما أدري هل يستثنى الرسول محمد وبقية الرسل من هؤلاء الصالحين أم لا. ما هذه الخزعبلات يا دكتور خالص.

أقول أولاً: إن من ينظر لشؤون الحياة على أن منها ما هو دين وما هو سياسي ويقسمها من هذا المنظور لا يختلف في شيء عمن يفصل الدين عن الدولة، أو العمل عن الخُلق. وهذا هو أعتى مرض أصبنا به منذ أمد بعيد. فالمسلم لديه دين تنضوي تحته كل مناهجه وأعماله وأقواله من سياسي واقتصادي وتجاري وغيرها، وما خرج من هذه المناهج والأعمال والأقوال عن حدود الدين فهو مرفوض تمامًا ولا يشفع لشرعيته كونه لم يسم أمرًا دينيًا بل سمي سياسيًا أو اقتصاديًا أو تجاريًا أو غير ذلك. ثانيًا: إن الرسول الكريم لم ينتق فكرة التوحيد ليراسل بها الملوك من جهة سياسية كما زعمت بل هو أرسل برسالة التوحيد كما أرسل النبيون من قبل فالرسالة واحدة والهدف واحد والرب واحد. ثمَّ ما هي هذه الأفكار التي اختار فكرة التوحيد من بينها سياسيًا، هل منها الاقتصاد، والتجارة، والرياضة وركوب الخيل، والفنون... أفدنا إننا بحاجة إلا أن نعرفها. هل كان الرسول صلى الله عليه

وسلم، لو لم تجد معه وسيلة التوحيد باحثًا عن وسيلة ثانية، وما هي الوسيلة التي ترشحها؟. ثالثًا: لا بد أن الدكتور خالص يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان طالب دنيا ولا كان يرجو زعامة ولو كان ذلك من أهدافه، لوجد من يبذلها له، ولما قام الدين أصلاً. والدكتور خالص لا أظنه يجهل ذلك لكنه أرهق نفسه بكتب لا رشد فيها ثم لم يتورع عن التلفظ بما تلفظ به رغم خطورته وشدة مغبته. هذا إذا كان ما فهمته منه على هذا النحو، أما إذا كان يقصد شيئًا آخر لم أفهمه فعليه بيانه.

قضية نحن والغرب

أطرح في هذه القضية عدة نقاط أتت متناثرة في مكاشفات الدكتور وكتاباته. يقول جازمًا في مكاشفاته أن العرب يكذبون وأن الغرب يصدقون. وهذا كلام غير دقيق. والحق أن آفة أمم الأرض اليوم هي الكذب، فالكل يكذب، لكنه كذب دون كذب، أو قل: كذب مرتب وكذب عشوائي. فالدكتور عاش في الغرب ويعلم جيدًا مدى انتشار ظاهرة الخيانات الزوجية بين أفراده. هل عندما يُسأل الغربي عن شيءٍ من ذلك يصدق، أم يكون التحايل والكذب. ولا يقول لي: هذا شأنٌ شخصي، لأن من كذب في الشأن الشخصي لا يتورع عن الكذب في الشأن العام متى ما لزم الأمر. والدكتور في هذه القضية يناقض نفسه، فهو في مقاله حول "لغات التعلم الثلاث" في الشرق الأوسط ٤/ ١٢/ ٢٠٠٢م، يورد شهادة عالمين غربيين لغويين نشرا بحثهما الإحصائي في مجلة ألمانية. يقولان فيه: "إننا نكذب بمعدل عدة مرات في بضع دقائق". والأولى أن يقول أنهم يكذبون، ولا يعمم، لأن البحث الإحصائي عُمل على فئات منهم لا منا. لكننا لمرض نعاني منه نأخذ نتائج أبحاثهم كما يسطرونها دون تمحيص. وبعضهم يرى أنهم إذا عملوا دراساتهم على بلدانهم فإنما هم يعملونها على العالم كله. فلسان حالهم يقول من هو العالم إذا لم يكن نحن.

ولكن ينبغي أن أعدل فأقول أن الغرب في تعامل أبنائه بينهم بين وفي حفظه للوقت، ولكثيرٍ من حقوق أفراده يظل أفضل منا بكثير، وهذا أمر ملموس.

ويقول الدكتور: "أن بوش رصد ٢٠٠ مليار دولار لمكافحة الإرهاب ولو استثمرت أمريكا ٢٠ مليار في العالم العربي فسوف تكسبه بدون حرب". وهذا كلام من لا يعرف أمريكا حق المعرفة. فالاستثمار قائم، والكسب قائم، ولكن شهوة الغلبة وحب المغامرة يدفع إلى تغيير أساليب السيطرة والاستثمار والكسب. ويقول أيضًا: "يمكن اعتبار ما عملته أمريكا مع ميلوسوفيتش نوعًا من الجهاد". ومن قوله هذا تتضح مشكلة يعاني منها فكر الدكتور كثيرًا وهي فصل العمل عن النية. وكأنه بهذا لم يقرأ من القرآن ولا من كلام الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم شيئًا. فأين من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا. ويتحفنا الدكتور بشطحة أخرى فيقول: أمريكا تكذب ونواياها سياسية ولكن الأمل معقود في أوروبا. وكأنه لم يقرأ شيئًا من تاريخ أوروبا أو قل بعض أوروبا. ولو كانت السيطرة اليوم لأوروبا، وبدأت أمريكا تتشكل، لقال أوروبا تكذب والأمل معقود في أمريكا. ولو أن الاتحاد السوفيتي آخذ في التشكّل، لقال الأمل في الاتحاد السوفيتي. وهو لا يستطيع أن ينكر هذا لأنه وقع فعلاً وتعلقت أقوام بأهداب هذا الاتحاد (الوهم) فما جنت إلا الشوك. هل سمعتم بمخدرٍ أعظم تأثيرًا من هذا. أبمثل هذا تستنهض همم الشباب ويربى الجيل. إن الإعجاب بالكبار لا يكون عادةً إلا من الصغار، فلنتنبه لهذا الأمر.

ولو افترضنا جدلاً أن أوروبا أصبحت في وضع كالذي يتوقّعه منها، فهل يعتقد أن أمريكا ستتركها - دون دماء - تسيطر على عالم سبق لها أن ذاقت حلاوة السيطرة عليه. فأين دعوى السلام التي يحلم بها. ويقول في مكاشفاته: "ولو كان الشعب المصري متسلحًا بعلوم العصر فما كان سيتسنى لنابليون أن يستعمره... ". ما هي علوم العصر؟. إن أعظم علوم العصر هي ما ينتج القوة التي يدعونا الدكتور بكل إلحاح إلى التخلي عنها وعدم التفكير في مجرد امتلاكها ليعم السلام حسب

زعمه. وإذا أنكر ذلك فاسمع قوله في المكاشفات في موقع آخر: "نحن نعيش في عصر التكنولوجيا ولا بد من التعايش معها حتى نستطيع مسايرة العصر". فهو يناقض نفسه من حيث لا يدري لأن التكنولوجيا في معظمها اليوم عسكرية الطابع شئنا أم أبينا. ويقول: "لو كانت المقاومة في فلسطين مدنية لتغير الوضع، وتم رفع الأمر للمنظمات الدولية ما كان سيحدث قتل". أي منظمات دولية وأنت قررت قبل قليل أن أمريكا تكذب وهي - كما قلتَ في المكاشفات - القطب الأوحد في العالم. ثم ألا يعتقد الدكتور أن قتل العدو لمن يقاوم مدنيًا أسهل بكثير عليه من قتله من يقاوم عسكريًا. ثم لعل الأخوة الفلسطينيين - وهم أدرى بشأنهم - جربوا ما قلت ولم ينفع، فهل سألتهم؟. إن غاية ما يسعى له الخصم أن يجد شعبًا مدنيًا يستذله ويستعبده، فإن رفض هذا الشعب الإذلال والاستعباد نُكل به وسُحق ومحق على مشهد من المنظمات الدولية التي مازلنا نؤمن بها رغم كفرها بنا.

ومما صدمني في مكاشفاته قوله: "وفي قناعتي أن كارثة أصابت الشرق بعدم تطوير الفن ويجب أن تطور الموسيقى كما فعل الإيرانيون فأبدعوا في إنتاج موسيقى إسلامية هادفة". وفي نظري أن الاهتمام الزائد بالفن هو من العوامل التي ألهت الشرق عن فنون الحضارة الأخرى. فنحن ملأنا كتبنا بالجارية المغنية، والغلام العازف، والقيان العازفات، حتى بدا للناظر أنه لا هم للأمة إلا الاستمتاع بمواهب الجارية والغلام والقيان. وفي اعتقادي أننا، وإن كنا لفتنا نظر الغرب، من جهة، إلى أسلوب البحث العلمي الراقي وهو في غفلة عنه، فإننا من جهة أخرى لفتنا نظره إلى الغلام والجارية والقيان. فطوَّر كلا الأمرين أيما تطوير وتفنن فيهما أيما تفنن. فصنع من الأول تقنية جبارة بدأت تلتهمنا فيمن تلتهم، وصنع من الثاني عبثًا ما بعده عبث بدأنا نحوم حول حماه ووقعت فلول منا فيه، والمقبل أخطر. فكيف نقول أن الشرق غفل عن الفن، وهو يحمل منه الوزر الأعظم.

ومن القضايا التي يدندن بها الدكتور خالص قضية التقدم التقني في الغربي مقابل تأخرنا الشنيع فيه. وهذه قضية لا خلاف عليها. إنما الخلاف على الطريقة

التي يتناول بها المعارف التي يتوصل إليها بعض علماء الغرب. فتجد الدكتور يطرح ما توصلوا إليه بإيمان بالغ بصحته التي لا يخالطها شك. وهذا ما لا يدعيه هؤلاء العلماء أنفسهم. ثمَّ هو بأسلوبه هذا يضخم ما يتوصلون له ولو كان أمرًا هينًا يعرفه الراعي في الفلاة. وهذا داء أصبنا به نحن العرب ولا نعرف كيف الشفاء منه. فلو خرج علينا أحد من الغرب وقال إن الشمس تشرق من الشرق وتغرب في الغرب، لسمعت منا من يشيد بنظرية الشروق الجديدة. ولتناولها عدد غير يسير من المختصين بالشرح والتحليل والإشادة والتبجيل. ولو قضى العربي عمره كله يدرس ويحلل ويُنظّر لما سمعت من يذكره بشيء. فإذا مات بعد عمر مديد، سمعت من يقول: لقد أوشك أن يخرج بنظرية لكن القدر لم يمهله، وله على كل حال شذرات يمكن لطلابه أن يجمعوها علَّها تكون مبادئ بسيطة لمن يأتي بعده. وهذا خذلان عظيم.

وخذ بعض الأدلة على هذا النوع من الإشادة والخذلان. يقول الدكتور خالص: "... وهذا يذكر بالعمل الرائد الذي قام به الكندي (وايلدر بنفيلد) في جامعة مونتريال لمدة خمسين سنة بدراسة جغرافيا المخ على أدمغة ألف شخص في حالة اليقظة ليصل في نهاية أبحاثه التي ظهرت بعنوان (لغز الدماغ Mystery of mind) أن كل شيء له مكانه إلا الإرادة الإنسانية فليس لها مكان. وأن الروح لا تفنى بتحلل الدماغ" (الشرق الأوسط، الأربعاء ٢٠/ ١١/ ٢٠٠٢م). فمادام هذا العالم قال أن الإرادة لا مكان لها، فلا مكان لها إلى يوم القيامة. وماذا سيقول لنا الدكتور خالص لو خرج هذا العالم وأعلن عثوره على مكان الإرادة. ثم ما هذا الفتح العظيم بعد هذه السنوات في مسألة الروح: "الروح لا تفنى بتحلل الدماغ". الحمد لله أن الدكتور لم يطلق عليها نظرية الروح.

ويقول في الشرق الأوسط ٦/ ١١/ ٢٠٠٢م: "ولكن ما أهمية اللغة للإنسان حتى يضع القرآن الحق موازيًا للنطق فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون. الجواب على هذا يصيغه الفيلسوف الألماني فيلهلم فون هومبولدت

Wilhelm von Humboldt على الشكل التالي: (لم يكن الإنسان ليصبح إنسانًا بدون لغة، ولكن حتى يخترع الإنسان اللغة يجب أن يكون إنسانًا)". لو قال هذا الكلام عربي لحكمنا عليه بالاختلال العقلي ولأودع السجن. ولربما كان الدكتور خالص من أول الساخرين منه، لكنه غربي فاستشهد بقوله في سياق فهم آية من آيات القرآن الكريم التي لا نعدم من علماء الإسلام من قال عنها أو يستطيع أن يقول خيرًا مما سطره هومبولدت، لكنه الغلو في التبجيل.

ويقول في الشرق الأوسط ٢٠/ ١١/ ٢٠٠٢م: "أما نظام اللغة عند الإنسان فهو سماء بدون سقف كما وصفه (بيتر فارب) في كتابه (بنو الإنسان)"، وذلك في معرض مقارنته لغويًا بين القرد والإنسان. الله جلَّ شأنه يقول في كتابه العزيز الذي يحفظه الدكتور: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾. ويقول عز من قائل: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾. وهذه الكلمات هي اللغة، والله هو الذي علمها الإنسان. فالناس فيها درجات بعضهم فوق بعض كلٌ حسب مقدرته وفهمه وما مكَّنه الله منها. ولكن العجز يظل ملازمًا للإنسان في الأخذ من هذه اللغة كما هو في غيرها من القدرات. فهو يغرف من بحر لا ينضب، ولكنه لا يغرف إلا الشيء اليسير جدًا. فهل نحن في حاجة إلى (بيتر فارب) ليخبرنا أن اللغة لا سقف لها. الحمد لله.

ومثل ذلك نظرية الحكي - المشي لـ (روبرت بروفاين Robert Provine) التي ترى أن لانتصاب جسم الإنسان تأثيرًا في مقدرته على النطق (الشرق الأوسط، ١٢/ ١١/ ٢٠٠٢م). ولو عُلم مثل هذا فليس بغريب، فالله جل شأنه علمنا أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم. وعليه فإن أعضاءه تؤدي وظائفها على خير ما يرام بفضل من الله. ولو جاز للغرب أن يسموا مثل هذا الكلام نظرية، فإنه لدينا أمر

معلوم مسلمٌ به. والعيب والقصور فينا نحن إذ لم نبحث فيما بين أيدينا من علم لمعرفة الحق والاستزادة من الخير.

ومن الأدلة على التهوين من شأن العربي الباحث وتضخيم نظيره الغربي ما طرحه في موضوع أسماه "لغات التعلم الثلاث الصامتة والصائتة والمكتوبة". يقول في آخره: "ولا يمكن أن نتصل بأفكار الله أو كلام الله أو كتابه وكذلك ما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم إلا بواسطة هذه المراحل الثلاث وخاصة نحن الآن ليس أمامنا إلا كتاب بين دفتين لا نفهمه إلا بواسطة اللغة أو الكلام محكياً أو مكتوباً. فالمسلمون بكل سذاجة يظنون أن لهم القدرة على الاتصال بالمعاني التي أرادها الله بواسطة هذه اللغة دون الرجوع إلى الواقع الذي يتحدث عنه". ورغم عدم دقة ما سطره هنا، فلا يفوته أن يسخر من المسلمين بكل جرأة، وينسى منهجهم المتواتر في حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية من لدن محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام إلى اليوم. بل لا يحاول أن يجند قلمه في الدفاع عن منهج من يرى ضرورة التلقي أو التلقين لفهم مراد الله من القرآن الكريم ومراد الرسول الكريم في السنة النبوية. إنه يغفل أو يتغافل عن هذا المنهج مع أنه يحقق ما يتشبث به من نظريات تبقى قاصرة مهما بلغت. وكلنا يعلم إنما الأعمال بالنيات، وبهذا يحاسب الإنسان على أقواله وأفعاله بغض النظر عن اللغة السيميائية التي تصاحب اللغة المنطوقة. ولعل النية التي ألغاها الدكتور في اعتباره تصرف أمريكا مع حاكم صربيا جهادًا هي التي تحرك هذه القسمات فيستشف منها بعض ما وراء القول من قصد.

والغريب في الأمر أن الدكتور إذا حاجه أحد بالقرآن قال استحضر السياق كما في مكاشفاته. فإذا استشهد هو بالقرآن أغفل السياق. انظر له يستشهد في مقاله حول اللغة بالآية: ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**﴾. وعندما تكلم عن دعوته إلى إلقاء السلاح من طرف واحد وكرر إنكاره على من يريد الاستعداد للقتال إن حصل، لم يستحضر الآية التي

تقع قبل هذه الآية في السور نفسها (سورة محمد)، والتي نصها: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾. فهو أيضًا ينتقي من آيات القرآن ما يؤيد قوله ويغض الطرف عما ينافيه. وأود أن ألفت نظر الدكتور الكريم إلى آخر ثلاث كلمات في الآية الأولى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ولم يقل جلَّ شأنه يعلم سيمياءكم ولا لحن أقوالكم، مع أنه يعلم كل شيء. والقول من العمل، ومن يعزل النية عن العمل، فهو شقي.

ومما يوحي بتمجيد بعضنا لكل ما هو غربي، طريقة الدكتور في حديثه عن الأشياء التي حدثت قبل آلاف السنين أو قل ملايين السنين بثقة مطلقة وكأنها حدثت البارحة ولا تعلم أنها حدثت قبل آلاف السنين إلا عندما يقول لك في آخر جملة وهذا كان قبل ثلاثة آلاف سنة من الآن. والحمد لله أنه لم يقل قبل ثلاثة آلاف سنة ويوم. وخذ أخي القارئ مثالاً واحدًا يتضح به أسلوب الدكتور في طرح المعلومات التي تحتمل الخطأ والصواب. يقول في حديثه عن نشوء اللغة وتطورها (الشرق الأوسط، ٦/ ١١/ ٢٠٠٢م): "ونحن نعرف أن عمر الأرض ٤,٦ مليار سنة. ونحن نعرف أن الحياة بدأت بعد تشكل الأرض بـ ٨٠٠ مليون سنة، أي قبل ٣,٨ مليار سنة". كأنه حضرها وكان عليها من الشاهدين. لعلي هنا أوردت ما يكفي من أدله تشير إلى غلونا في تمجيد كل ما هو غربي إلى درجة توحي بتحقير كل ما هو عربي إسلامي.

أرجو من سعادة الدكتور - وهو الحافظ لكتاب الله - إن بهرته مثل هذه الاكتشافات وهذه المسائل أن ينبهر بها وحده وأن لا يشغلنا بها فلدينا ما هو أهم منها. ولقد عرفنا علماء الغرب وكيف يفكرون. إنك لو لقيت العالم منهم وسألته عن نتائج بحثه لتحدث إليك عنها بشيء من الحذر، وبأسلوب يوحي أنه لم يعلم إلا بجزء يسير جدًا منها وأن المتبقي أعظم، وربما أشار إلى احتمال خطأ نتائجه

وثبوت عكسها في المستقبل. وهذه الاحترازات لا مكان لها لدى دكتورنا الفاضل في كل ما يتحفنا به من تطور غربي، فهل عرف علماء الغرب حق المعرفة. وهو - حفظه الله - لا يحرث في هذا الخبت وحده، إنما هو واحد من فريق كبير سخر كل فرد منه نفسه لخدمة النهضة الغربية بطرق شتى. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحصيهم عدداً، وأن يهديهم طريق الرشاد والهدى، ولا يغادر منهم على الغواية أحداً.

تهويل التقنية والتعويل على علوم العصر

الدكتور خالص حفظه الله لا يتورع عن أن يكتب في أي شيء. وهذا وإن عده ميزة تحسب له، فإن غيره من المختصين فيما يكتب فيه قد يراه عيبًا كبيرًا. فهو يقتحم الجيولوجيا والآثار، ثم يضرب بسهم في التأريخ، ثم يتناول اللسانيات بالبحث والتحليل، ثم يغوص في أعماق علم الحاسب الآلي، ويجول في العلوم النفسية، ويمور بنفسه في الفنون الحربية والعسكرية، ولا ينسى استرفاد العلوم الدينية، ولا الاستدلال بآيات القرآن الكريم متى ما راق له اللفظ أو المعنى أو كليهما، ويستحضر الطب ويسترفده، إلى غير ذلك من التخصصات الدقيقة التي لا يلم بها فريق علمي متكامل. وعلى الرغم من تنامي الحاجة إلى من تتوفر فيه ميزة الجمع بين عدد من التخصصات المختلفة، وتنامي هذا النهج مع العولمة التي نعيشها، ومع انتشار تقنية المعلومات عبر الإنترنت، فإن على من يتجشم هذا النهج أن يكون حذرًا جدًا، وإن يلزم نفسه بالجلوس للدرس في هذه التخصصات كما سيجده الدكتور أو وجده من خلال بحثه في لغات التعلم الثلاث: الصامتة والصائتة والمكتوبة حتى يبدع إبداع أهل التخصص المفرد أو ينسحب من الساحة ويعود إلى ما يتقنه ولا تثريب عليه إن شاء الله.

نعم إن الدكتور خالص يقحم نفسه في كثيرٍ من العلوم العصرية، بل يقول بقول في تقنية كل علم وكأنه خبرها وعرفها تمام المعرفة. وتجده في مكاشفاته كما في

مقالاته يركز كثيرًا على العلوم العصرية والتكنولوجيا. ولقد قرأت له مقالاً عنوانه: "هل يمكن تعليم الكمبيوتر النطق" في الشرق الأوسط (٢٠/ ١١/ ٢٠٠٢م)، فخشيت أن يواصل الحديث في هذا العلم إلى أن يصوّر الكمبيوتر للناشئة كعجل بني إسرائيل. لكنه بفضل من الله اقتصر على مقدمة ذلك المقال، وعساه أن لا يعود له تحت وطأة ما أكتب عنه اليوم. ففي مقدمته تلك سرد لنا تجربة عالم في فرنسا استطاع أن يجعل عدداً من الكمبيوترات تتحدث مع بعضها باستخدام الذكاء الصناعي. وقادنا إلى نتيجة مفادها أن اللغة كائن حي، وحسب نتيجة ذلك العالم فإنه يمكن للغة "أن تنظم نفسها اجتماعيًا وتنتشر مثل وباء الفيروسات". سبحان الله! مسكين الذي لا يعلم كيف يعمل الحاسب الآلي إن قرأ هذه التجربة المثيرة. وعلى من لديه بعض العلم أن يقرأ النص أكثر من مرة وسيجد كلمات مثل: "فغذى الروبوتات بكلام ليرى هل يمكن تشكيل اللغة صناعيًا" ومثل: "وشحن الكومبيوترات بحروف شتى وحرضها لتبادل الحديث مع بعض باستخدام أي كلام... بواسطة أدوات بسيطة من الذكاء الصناعي (منظم الصوت، الذاكرة، وبرنامج لمعرفة النماذج)"، ومثل: "وما فعلته هذه الآلات الخرساء أنها تفاهمت على كلمات محددة...". ونسي هنا أن يذكر قواعد المعلومات (Databases) الضخمة التي بقدر دقة بنائها تكون جودة العمل المنجز. والذي يبدو لي أن الدكتور لديه مشكلة أخرى في قضية العقل والنقل - كما جاء في مكاشفاته - لأنه يفهمهما جيدًا ثمَّ ما يلبث أن يميل إلى إهمال النقل ومحاولة الاكتفاء بالعقل. ولعلي أقرِّب له الأمر من ناحية تقنية مادام مولعًا بالتقنية ومعطياتها. لو تصور الدكتور العقل كقاعدة المعلومات في تقنية الحاسب الآلي. وتصور النص المنقول كالبرنامج الذي يحرك هذه القاعدة فتأتي النتيجة بقدر تأثير هذا البرنامج فيها. ولا يعجل علي الدكتور فهو يقول في مقاله عن اللغة ما نصه: "وفي العادة لا ينتبه الإنسان إلا بالتنبيه إلا القليل من الناس وفي بعض الظروف النادرة وفي جوٍ من المعاناة" (الشرق الأوسط ٤/ ١٢/

٢٠٠٢م). ولو أعدنا صياغة هذا الكلام وقلنا: "وفي العادة لا ينتبه عقل الإنسان إلا بالتنبيه..."، لما اختلف شيء. فاجعل هذا المنبه هو النص المحرِّك، واجعل العقل كتلك القاعدة التي لو حاول الإنسان تفعيلها بدون برنامج جيد، لأخطأت كثيرًا ولأصابت قليلاً.

أعود فأقول إن الحاسب الآلي لا يقوم بعمل شيء من ذات نفسه، بل هو ينجز أعمالاً مذهلة بناءً على برمجةٍ سابقة من المستخدم. وكلما كان المستخدم حاذقًا ومجيدًا لفن برمجة هذه الآلة كانت النتائج أفضل وأعجب. والدكتور الفاضل يعلم أن مجال الطب هو أحد المجالات التي يطبق فيها شيء من الذكاء الصناعي بغرض سرعة تشخيص حالة المريض بشيءٍ من الدقة. فهل يقوم الكمبيوتر بشيء من ذلك من تلقاء نفسه، أم أن ذلك مبنيٌّ على برمجة سابقة وعلى معلومات كثيرة خُزنت في هذا الجهاز ليُيسر عملاً قد يستغرق الإنسان في إنجازه وقتًا طويلاً.

واللغة ليست كائن حيٌّ. ولو قال إنها كائنٌ حيٌّ بحياة صاحبها لحملنا ذلك على المجاز وقبلناه منه. لكن أن تصبح هي كائنًا حيًا بذاتها، مولدة من كائن لا حياة فيه أصلاً، فهذا شطط في القول كبير. وأرجو أن لا يلصق الدكتور إلى جانب هذا القول، قول الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾. ثمَّ لاحظ إن ما أتى به في مقدمة مقالة الكومبيوتر يناقض جملة وتفصيلاً ما ذهب إليه في مقالة ٦/ ١١/ ٢٠٠٢م في الجريدة نفسها حيث قال: "كما أن اللغة هي أداة الترميز وهي التي عنتها الآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾... الأسماء بالقدرة على وضع (لفظ) يدل على (شيء). ولفظة (كلها) أنها خاصية مفتوحة لكل أنواع الترميز". فاللغة هنا عُلمها الإنسان، ولكنها تحولت في مقاله السابق إلى كائن حي يعمل بذاته. هل يحاول الدكتور أن يبني معرفة متراكمة مترافدة منسجمة أم يأتي بأقوال مشتتةٌ كيفما أتفق.

وليس بخاف على متعلم أن كل التخصصات - ما كان يعرف منها بالعلمي والأدبي - شرعت منذ أواخر الثمانينيات الميلادية وأوائل التسعينيات، وبعضها قبل

ذلك، في محاولة إحلال الآلة مكان الإنسان وذلك لسرعة إنجاز هذه الآلة للعمليات الحسابية الضخمة خاصة وغير الحسابية عامة. والمهتمون بصناعة الخرائط وأنظمة المعلومات الجغرافية، على سبيل المثال، لم يغفلوا هذا التحول الكبير بل كانوا من أسرع الناس مبادرة إليه. ولكنهم كلما أنجزوا عملاً ضخمًا في هذا المضمار وفرحوا به فرحًا شديدًا ونشروه بشغف واستقبلوه بانبهار، سرعان ما تكشَّفت لهم ضآلة هذا الإنجاز بجانب ما يستجد لهم من أشياء وأبعاد يجهلونها تمامًا. فسبحان القائل ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾. ولئن كان تحقق النجاح في إحلال الكمبيوتر محل الإنسان في كثيرٍ من العمليات المساحية المتعلقة بصنع الخريطة الرقمية (digital map) فإن الإنسان لم يزل عاجزًا عن أن يجعله يتعرف على كثيرٍ من الأشياء الموجودة على سطح الأرض كتعرف الإنسان عليها. فلا ينبغي التهويل من شأن تقنية اليوم - رغم عظمها وهولها قياسًا بقدراتنا العقلية - لأن ذلك مما يزيد في إحباط الجيل الصاعد ويحسسه أن لا أمل له في فهم تقنية هي أقرب إليه من شراك نعله.

والكشوفات التقنية التي يسلِّم بها الدكتور دون تمحيص قد تناقض نصوص ثابتة قرأها قبل قراءة هذه الكشوفات بزمن طويل. يقول في حديثه عن نشوء اللغة وتطورها (الشرق الأوسط، ٦/ ١١/ ٢٠٠٢م): " وإن الإنسان ظهر قبل سبعة ملايين سنة على الأقل، حسب كشوفات العالم الفرنسي (برونيت). أما متى نطق الإنسان فالعلماء يخمنون أنه في حدود ٢٠٠ ألف سنة على حد أبعد. وهي بداية ظهور الإنسان الثقافي. فكما حصل انفجار عظيم لولادة الكون وانفجار بيولوجي لظهور الكائنات عديدات الخلايا، كذلك حصل انفجار ثقافي بظهور الإنسان الناطق. ومع النطق تغير الإنسان كلية ووضع على طريق التطور. وكما يقول الأنثروبولوجي الأمريكي (ستانلي أمبروز Stanly Ambrose) من جامعة إيلينوي، إن ما بين عصر القوس والسهم وغزو الفضاء لا يتجاوز ١٢ ألف سنة". ونقول له إذا كان ظهور

الإنسان على الأرض كان قبل سبعة ملايين سنة، فهل أول من نطق آدم قبل ٢٠٠ ألف سنة أم غيره، لأن الله قال لنا في القرآن: ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ أم تريد أن تقول: إن تعليم آدم الأسماء كان بلغة الإشارة أو لغة الجسد. فماذا تقول في قول الله تعالى: ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات** ﴾. لماذا لم يقل جل شأنه: إشارات أو إيحاءات بدلاً من كلمات. ما هذه المهامه التي تضرب فيها أيها الدكتور الفاضل. إنك لو قرأت القرآن لوجدت فيه وصف أمم سابقة أهلكها الله بأنها أكثر قوة وعمرانًا للأرض من أمم لاحقة لها. ولو بلغنا من التقنية ما بلغناه اليوم، فإننا لم نصل إلى شيء مما كان تحت يدي نبي الله سليمان عليه السلام. فعد إلى قصته تجد: ﴿**قَالَ الَّذي عندَهُ علْمٌ منَ الْكتَاب أَنَا آتيكَ به قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾، وتجد ﴿**قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ**﴾. أم تحسب أن القوارير لم تصنع إلا في عصر ستانلي أمبروز؟ إن الحضارات الإنسانية تشهد بزيف ما يسطره هؤلاء العلماء وما ينقله عنهم الناقلون.

وكثيرًا ما يشير الدكتور الكريم إلى أن الحضارة الإنسانية عمرها ما زال قصيرًا. بل إنه يحدد لنا في إحدى مقالاته كم بقي من مليون سنة للحياة على الأرض. إنه يريد أن يقول إن ما مضى من حياة البشر لا يعد شيئًا مع ما أقبل منها من حيث الرقي والتقدم. وهو هنا يصادم عددًا من الحقائق. فلا يعقل - إضافة إلى ما سبق - أن يرسل الله جل شأنه عددًا كبيرًا من الأنبياء والرسل على مر العصور، ويختتمهم بمحمد عليهم جميعًا أفضل الصلاة والتسليم، ثم يأتي كاتب متأخر فيقول إن الحياة الثقافية لم تبدأ بعد، وإن الحياة السابقة كانت خلوًا من الحضارة وطابعها التخلف، وأن الحياة الحقيقة المرجوّة من الإنسان مازالت في بدايتها، وأن ثقافة الإنسان مازالت في طور النمو، وسيأتي عصر ينعم فيه الإنسان بالسلام الشامل الدائم رغم اختلاف مشاربه. ما هذه الخرافات التي لا يستأنس لها الأطفال الصغار على الرغم من ولعهم بكل ما هو عجيب غريب.

إنه لو خرج عالم ما وقال لنا: إن آدم عليه السلام عرف من اللغة ما لم يعرفه أحد من بعده، لما تجرأنا على تكذيبه. والدكتور يشير حسب الأبحاث التي يقرأها أن

إتقان اللغة وحسن التصرف بها دليل ذكاء وفطنة، وشاهد ثقافة ورقي. فهل دكتورنا الفاضل يعد أدم عليه السلام من المتحضرين المثقفين أم أنه من الفريق الآخر. ولا ينسى، سلمه الله، أن آدم عليه السلام علم من اللغة ما لم يعلمه الملائكة الكرام.

لقد أجلب علينا الدكتور خالص جلبي بفكرٍ متضارب تضارب أفكار بيئته الأولى التي عاشها. ولقد احترت كثيرًا في كيفية الرد عليه فهو لا يستقر على حال فما إن تراه على جادة إلا وينقلب إلى أخرى. ولو جمع من القرآن الكريم والسنة النبوية ما يناقض ما يدعو إليه لخرج بكمٍ هائلٍ لا يمكنه تأويله كله بما يخدم منهجه. وأنا علي يقين أن القرآن الكريم في متناول يده، فلعله يجعله مهيمنًا على ما بين يديه من اجتهادات بشرية لا يتوانى في إضفاء طابع القطعية عليها، والإيحاء للقارئ أنه كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، علمًا أنه قد يجد ما يناقضه ممن قال به، بل ويناقضه هو بنفسه في مقالات أخرى. وأنا هنا لا أدعي أنني أكثر صلاحًا من الدكتور خالص ولا أهدى منه سبيلاً، ولكنني أربأ بقلمه أن يتشتت هذا التشتت، وأن يُرهق هذا الإرهاق. ومن ألزم نفسه بعدد من المقالات في الأسبوع الواحد سيضطر إلى أن يحتطب من الأخضر واليابس ليوفي بالتزامات لم يوقعه فيه أحدٌ سواه. وسيعزف بطبيعة الحال عن قراءة أقوال من يناقشه لضيق وقته، رغم ما فيها من فائدة هو في أمس الحاجة إليها. أسأل الله العظيم أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه، وأن يجنبنا كلَّ قول أو فعل ليس وراءه إلا محض اختصام وجلبة.

* أكاديمي بجامعة الملك سعود

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٢ م

زكي الميلاد*

خالص جلبي ونظرية العلم والسلم

معرفتي الأولى غير المباشرة بالأخ الدكتور خالص جلبي، كانت عن طريق كتابه الذي عرف به وأثار جدلاً في وقته، وهو كتاب (في النقد الذاتي: ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية) الصادر في بداية الثمانينيات من القرن العشرين. وقد كان هذا الكتاب ملفتاً في موضوعه وطرحه آنذاك، ومعاكساً لاتجاه التيار العام السائد في الوسط الإسلامي السياسي والحركي، الذي كان يشهد في حقبة الثمانينيات صحوة ويقظة شديدة الحماس والاندفاع، بالشكل الذي يعتبر فيه الحديث عن النقد والمراجعة أو التقييم والتقويم تراجعاً وانهزاماً، وتخلياً عن صلب المعركة الحقيقية، وتوليداً لمواقف التقاعد والتقاعس والتثبيط. لذلك كان من الصعب في ظل تلك الأجواء الساخنة والملتهبة أن يفهم ذلك الكتاب بطريقة علمية وموضوعية، محايدة ومتجردة، عند شريحة كبيرة من الإسلاميين الحركيين، خصوصاً أولئك الذين أحرجهم صدور هذا الكتاب ودعوته إلى ضرورة النقد الذاتي، وما يمكن أن تولده هذه الدعوة من إرباكات وتوترات فكرية وحركية. وبهذا الفهم وتجنباً لمثل تلك المضاعفات وسداً للذريعة، فقد حرم مطالعة هذا الكتاب على رواية البعض، وإذا لم تصح هذه الرواية فعلى أقل تقدير فإن هذا الكتاب كان مرفوضاً وممقوتاً عند الأوساط التي اعتبرت نفسها أنها هي المستهدفة منه.

والذي يذكر لهذا الكتاب انه من المحاولات الإسلامية المبكرة التي نبهت إلى ضرورة النقد الذاتي، وهو المفهوم الذي كان غائباً ومرفوضاً وغير مستحسن على الإطلاق في حقبة الثمانينيات. وتغيرت هذه الرؤية بصورة تكاد تكون جذرية في حقبة التسعينيات حيث أصبح هذا المفهوم في منزلة الضرورة، وترسخت القناعة به في معظم الخطابات الإسلامية المعاصرة.

أما معرفتي المباشرة بالدكتور خالص جلبي فإنها ترجع إلى أواخر سنة ١٩٩٣م، حينما التقينا في ندوة عقدت بواشنطن نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، وكانت حول التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي. وقد جمعتنا خلال هذه الندوة العديد من الحوارات والمناقشات الفكرية والثقافية، وأسست لمعرفة وصداقة تواصلت فيما بعد. وتجددت هذه المناقشات والحوارات المباشرة في صيف ١٩٩٥م بمدينة بريدة عاصمة القصيم حيث مكان عمله، وأمضيت معه يوماً كاملاً في ضيافته.

والفلسفة الكلية الناظمة لأفكار الدكتور جلبي، والتي ينطلق منها في تحديد تصوراته النظرية ومواقفه السلوكية، هي الفلسفة التي تبحث عن التكامل بين العلم والسلم، وهذه فلسفة جديدة في الخطابات الإسلامية المعاصرة. وأكثر من عرف بهذه الفلسفة في المنطقة العربية هو الأستاذ جودت سعيد الذي حاول الجمع بين فلسفتي مالك بن نبي ومحمد إقبال. فقد استلهم العقلانية والسنن الاجتماعية من مالك بن نبي، والروحانية والحكمة الذاتية من محمد إقبال. العقلانية فتحت له آفاق الانفتاح على الفلسفات الأوروبية الحديثة، والروحانية فتحت له آفاق الانفتاح على الفلسفات الإسلامية الشرقية وبالذات العرفان والتصوف. لذلك يمكن القول بأن العلم في فلسفة الأستاذ جودت سعيد يعكس نزعة العقلانية، والسلم يعكس عنده نزعة التصوف.

وقد ألهمت هذه الفلسفة الدكتور جلبي وأضاف إليها وجدد فيها بحكم اختصاصه وخبراته ومطالعاته في مجالات الطب والعلوم والمعارف الإنسانية، وهي المجالات التي أكدت لديه هذه الفلسفة. فالطب كرس عنده النزعة نحو العلم، والنزعة نحو السلم ترسخت بارتباطه بشخصية الأستاذ جودت سعيد.

وهذه الفلسفة القائمة على أساس العلم والسلم بحاجة إلى تفهم وإدراك وانفتاح، وإدماجها في إطار التنوع والاجتهاد ضمن الدائرة الإسلامية. وتتأكد

الحاجة لمثل هذه الفلسفة مع تزايد دوامة العنف، وتفجر الحروب، وانتشار النزاعات الدامية التي تطحن البشر في كل مكان، وتجعل الناس يعيشون في ألم وحزن وإحباط ويأس. أمام هذا الواقع المفجع كان من المفترض أو من الضروري أن تتعالى الأصوات الداعية إلى السلم في المنطقة العربية بوجه خاص، فهي المنطقة التي تفتقد إلى أصوات مؤثرة و ملهمة في الدعوة إلى السلم، بحيث تعرف أمام العالم بهذه الدعوة.

والاقتران بين العلم والسلم يعطي هذه الفلسفة فاعلية في البناء، فالعلم لبناء العمران المدني، والسلم لبناء لعمران الإنساني. وحسب رؤية جلبي فان العلم هو الذي يؤسس للسلم، وهو الذي أدخل العالم مرحلة السلم. يضاف إلى ذلك أن تكوين الفهم بخطاب جلبي يحتاج إلى معرفة العلاقة التي تربطه بين الطب والفكر، فهو الطبيب القادم إلى عالم الفكر، أو المفكر الذاهب إلى عالم الطب. وهذه العلاقة بين عالم الطب وعالم الفكر كانت شديدة الارتباط في تاريخ الفلاسفة المسلمين، حيث عرف عن أشهر هؤلاء الفلاسفة أنهم كانوا أطباء وماهرين أيضا. ومن الأسماء المعروفة في هذا المجال ابن سيناء صاحب كتاب القانون في الطب وكتاب الشفاء في الفلسفة، وأبو بكر الرازي صاحب كتاب الحاوي في الطب و صاحب المؤلفات الكثيرة في الفلسفة والمنطق والإلهيات، وابن رشد صاحب كتاب الكليات في الطب وكتاب فصل المقال في الفلسفة، وهكذا ابن طفيل وغيرهم.. وقد انفكت هذه العلاقة بين هذين الحقلين في العصور الحديثة عند المسلمين، وبقيت على نطاق محدود عند الأوروبيين.

وفي هذا الشأن كانت رؤية الجديد، جلبي منذ تخرجه من كلية الطب استولت عليه فكرة كما يقول هي أن يساهم في تكوين رؤية حول الطب لكن من منظور جديد، بتحويل الطب إلى محراب للإيمان. وفي هذا السياق جاء كتابه الأول وبذات العنوان (الطب محراب الإيمان)، وأصدر جزءًا ثانياً أيضاً. وبعد زمن اكتشف إن

هذه المحاولة ينبغي أن تشمل كافة حقول المعرفة الإنسانية، لذلك كانت رؤيته أن يقلب العلم إلى إيمان، والإيمان إلى علم، وفي اللحظة التي يتم فيها هذا التحول كما يقول سيحصل في تاريخ العالم ما حصل مع اكتشاف انيشتاين للعلاقة بين الطاقة والمادة، حيث يتم تحول الطاقة إلى مادة وبالعكس. وقد استفاد الدكتور جلبي من الطب في دراسة الأفكار وتحديداً في تشخيص و تشريح الأفكار، كما استفاد مالك بن نبي من الهندسة في تنظيم وتحليل الأفكار، وهكذا استفاد الدكتور زغلول النجار من العلوم و الجيولوجيا في دراسة الأفكار وبالذات في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم. لهذا فان الطب هو الأكثر حضوراً في عالم الأفكار عند جلبي، ويتابع من خلاله حركة العلم المتسارعة والمليئة بالاندهاش خصوصاً في مجالات البيولوجيا.

كما إن الطب يمثل له مجال التطبيقات واختيار النماذج. وهذا من أبرز ما يميز كتاباته ومقالاته، وما يستوقف الانتباه إليها. وباعتبار أن الدكتور جلبي متخصص في مجال الجراحة فقد يحدث أن يستعمل أدوات الجراحة في مجال الأفكار بالصورة التي يظهر فيها التعبير عن هذه الأفكار بنوع من الحدية والقسوة، وقد تخلف نزيفاً وألماً في بعض الحالات. فهو حين يقارن بين مشرط الجراح وريشة الكاتب يقول (أن يمسك الجراح بالمبضع فيشق الجلد مفهوم وسهل، ولكن أن يتناول الريشة فيخط أسطراً من الفكر فهو صعب وغير متوقع، أو لا يفتح شهية الجراحين... يستخدم الجراح أدواته فيقص ويخيط أنسجة الجسم ليبرأ المريض والمصاب، والكاتب يخيط الجمل ويرقع الكلمات فيخرج منها نسيجاً جديداً من التجربة البشرية).

أما الملاحظة التي تثير حفيظة الكثيرين هي تعميم موقف الدعوة إلى السلم على القضية الفلسطينية، ولاشك إن هذا الموقف بحاجة إلى مراجعة وإعادة نظر. لأن ما حصل في فلسطين هو احتلال للأرض بالقوة والعنف، وما زال هذا الاحتلال

يتوسع بطريقة استيطانية، ويمارس التدمير والتخريب لكافة أشكال الحياة بدون أي رادع إنساني أو دولي. والشرائع والأعراف والقوانين السماوية والدولية أقرت لمثل هذه الحالة الحق في استعمال القوة.

وبالنسبة لموضوع الجهاد فإني أحتفظ برأيي في هذا الشأن، وهو أن مفهوم الجهاد ينبغي أن يقترن ويتلازم مع مفهوم الاجتهاد، ويكون الجهاد مداره العمل، والاجتهاد مداره النظر. والاقتران الذي حصل بين الجهاد والقتال باعتبار أن القتال يستدعي أقصى درجات الجهد والطاقة والمشقة. واقتران الاجتهاد بالفقه فلأنه المجال الذي يستدعي أقصى أدرجات الجهد والطاقة والمشقة، لأنه الحقل الذي يمثل الشريعة. وهذا يعني أن يتعامل الإنسان مع الحياة في مجال العمل بمنطق الجهاد، وفي مجال النظر بمنطق الاجتهاد.

وأخيراً فإن مكاشفات الدكتور جلبي هي كأي تجربة إنسانية تأثرت بحكم عوامل الزمان والمكان والحال، وبعناصر الإرادة والحرية والاختيار.

*** كاتب وباحث سعودي**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٢ م

هاني المرشد *:

بل أنت يا جلبي من يأخذ النصوص الشرعية معزولة عن نظائرها أو مبتورة من سياقها

وبعد: اطلعت على كلام د/ خالص جلبي في المكاشفات التي أجراها الأخ عبدالعزيز قاسم على ثلاث حلقات، واطلعت على مقالات عديدة له في ما سبق، وبودي الوقوف معه في بعض النقاط التي تخص فكره ومنهجه بشكل عام:

١ - منهجية د/ خالص فيها تشويش كبير وتعالم متعاظم، وذلك لإعراضه بشكل كلي أو جزئي عن أقوال أهل العلم وأهل اللغة، والمعايير الأصولية لفهم النصوص، والمقاييس العلمية للنظر فيها، وتصوره نفسه فيلسوفاً كبيراً مغموط المقدار!!

٢ - قوله بأن الجهاد مفهوم غير محدد بالقتال قول صحيح تذرع به إلى قول فاسد وهو حصر الجهاد القتالي في نطاق ضيق جداً.

٣ - د. خالص دائم التشبيه للقتال بالعلمية الجراحية وهذا برأيي ليس برهاناً علمياً بل هو كما يقول علماء المنطق دليل خطابي قد يؤثر في بعض السامعين ويلبس الأمر عليهم.

وهذا التشبيه يمكن وضع تشبيه مماثل له، إذا اعتبرنا مثلاً أن المعالجة بالأدوية أو بالتغذية هي نظير الإقناع الفكري فإن ذلك لابد أن يتم أيضاً ضمن شروط مرسومة بدقة تماماً وذلك بأن يهيئ المريض بعد دراسته تماماً ووضع التشخيص العلاجي بغاية الدقة ثم الفحص الدقيق، من خلال طبيب معقم أو عنده مناعة من الأمراض المعدية، ثم إعطاء العلاج أو الغذاء المعقم الموزون الخالي من الجراثيم والبكتيريا والفيروسات، والسالم من أي عنصر معاكس لحالة المريض، كل ذلك يتم على نحو واضح وصحيح ودقيق فإن لم يكن كذلك

فإنه قد يؤدي بحياة المريض بدل إنقاذه ونفعه، هذا هو الدليل الخطابي الذي قاله في قضية الجهاد وقلناه هنا في قضية الإقناع الفكري.

٤ - أوافق د. خالص في ما ذكره بأن معنى ومفهوم الجهاد ليس مرادفاً للحرب والقتال بل معناه أوسع وأعم، وهو حكم من أحكام الشريعة يخضع لضوابط الشريعة وهو على أقسام:

١ - جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم.

٢ - جهاد يقصد به دفع المعتدين على المسلمين والإسلام وهو على ضربين.

أ - جهاد حجة وبرهان، وهو خاص بالمنافقين والمنحرفين والمجادلين.

ب - جهاد بالسلاح في كل وقت وزمان وهو على قسمين:

١ - جهاد الدفع، وهو في حالة العدوان.

٢ - جهاد الطلب، وهو جهاد الابتداء والطلب لتعقب الكفار في عقر دارهم لدعوتهم وهدايتهم إلى الإسلام أو دفع الجزية مقابل الحماية، فإن لم يستجيبوا قوتلوا، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

وصحَّ عند أحمد في "مسنده" (٥/ ٣٥٢ و٣٥٨) ومسلم في "صحيحه" (١٧٣١) عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على سرية أو جيش، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، ومَنْ معه من المسلمين خيراً، وقال: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَنْ كفر بالله، فإذا لقيتَ عدوّك من المشركين، فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهنّ ما أجابوك إليها، فاقبلْ منهم، وكفّ عنهم:

١ - ادعهم إلى الإسلام، فإنْ أجابوك، فاقبلْ منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم، إلى دار المهاجرين، وأعلمهم - إنْ هم فعلوا ذلك - أنّ لهم ما للمهاجرين، وأنّ عليهم ما على المهاجرين. فإنْ أبوا، واختاروا دارَهم، فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله، الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفيء، والغنيمة نصيب، إلا أنْ يجاهدوا مع المسلمين.

٢ - فإنْ هم أبوا، فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإنْ أجابوا، فاقبلْ منهم، وكفّ عنهم. ٣ - فإنْ أبوا، فاستعنْ بالله، ثم قاتلْهم»). ورواه الدارمي (٢٤٤٢) والترمذي (١٦١٧) وأبوداوود (٢٦١٢) والنسائي في "الكبرى" (٥/ ٢٠٧) وابن ماجه (٢٨٥٨).

ولم تقنعني أبداً إجابة جلبي في هذه النصوص الصريحة التي ساق بعضها الأخ عبدالعزيز قاسم له والدالة على جهاد الطلب الذي قامت به الأمة وتقوم به إلى يوم القيامة وشرطه أن يكون تحت قيادة إمام من أئمة المسلمين.

٥ - جوهر كلام جلبي كراهيته للقتال ومنعه له وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن ذلك يحصل في الأمة وأنه سبب من أسباب الضعف والخور والوهن «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها، قيل: يا رسول الله أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب أعدائكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت**» وفي رواية قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حبكم للدنيا وكراهيتكم للقتال**» - سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٥٨ وبرهان ذلك أنه وحتى نحن نداس ونمتهن يدعو إلى تقبيل رؤوس قاتلينا لنتجنب مذهب ابن آدم الأول، ولنشحذ الهمة لإخراج فلاسفة يزينون للمسلمين الانبطاح أمام الأعداء وفتح

مدارس بيزنطية لحل مشكلة البيضة والدجاجة، ولتعليم الناس مبادئ غاندي، وهو ما عبر عنه بأن من أهم الواجبات لديه [تشكيل تيار لاعنفي عربي داخلي للتخلص من ظاهرة التطرف لتغيير المجتمع بالفكرة، واعتماد المقاومة المدنية في التغيير كما فعل الأنبياء من قبل] وهذا افتراء على الأنبياء عليهم السلام، فها هو موسى عليه السلام يطلب من قومه الدخول قتالاً على الجبارين في الأرض المقدسة فقالوا له ولهارون عليهما السلام: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ مع العلم أن القوم الجبارين لم يعتدوا على موسى ومن معه ولم تكن هناك أي أسباب حربية أو سياسة للقتال، ولكنه قتال طلب، وابتدأ لإزالة رؤوس الكفر وأئمته من طريق الدعوة، ولتطهير الأرض المقدسة من الوثنيين، ولما لم يستطع موسى وهارون القتال قاتلهم بعد مدة نبي الله يوشع بن نون كما ثبت ذلك في السنة ففتح الله عليه.

وأخبر الله تعالى عن الأنبياء السابقين بقوله: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾.

أما نبيا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أمره الله تعالى بالقتال فقال تعالى له: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.

وقال سبحانه: ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾.

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

هذه بعض آيات فيها الأمر بالقتال وليس الجهاد، وغيرها كثير وهي تشتمل على قتال الدفع وقتال الطلب.

وأخشى أن يكون حال بعض المسلمين اليوم من هذه القضية كما قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾.

٦ - طريقته التي يلبس بها على نفسه وعلى المعجبين به أو المنخدعين به (وأنا أعاتب هنا الأخ عبدالعزيز قاسم بمثل ما عاتب به د. سعيد بن ناصر الغامدي بالثناء الذي أدلقه على جلبي في مقدمة مكاشفاته، ولكني لست بالقاسي على

أخي القاسم بمثل قسوة شيخنا سعيد) أنه يأخذ النصوص الشرعية معزولة عن نظائرها أو مبتورة من سياقها، ويأخذ المجملات والمتشابهات ويترك المفصلات والمحكمات، وهذا شأن أهل الأهواء من قديم الزمان.

وإنني لأتساءل لم كل هذه القرابين؟ إنها للعجل الجديد المسمى(الديموقراطية) ولذلك يقول: (ويجب أن أقول إن بناء الديموقراطية لا يمكن أن يتم مع فكرة العنف وممارسته، كما أشير إلى أن العالم تغير تماماً وأصبحت القوة المسلحة في ذمة التاريخ).

لم يبق هنا لدي قول أمام هذا القفز البهلواني العجيب، قل لي بربك أيها الفيلسوف العظيم هل عندك نبأ عن أخبار الأسلحة البالستية والنووية وحاملات الطائرات والقتل الموجع والقهر الخبيث الذي يمارسه أعداء الإسلام والمسلمين، أم تريد أن تقول لنا عن الغرب الديموقراطي: طعناته قدسية نزلت بها البركات والآيات والأحكام، عمل الورى في رأيكم جهل وما يأتيه فهو حضارة ونظام؟.

ألم يطلع الدكتور وهو شيخ العارفين على الطبيعة البشرية وما فيها من صدود والتواء؟ والله تعالى الذي خلق الإنسان هو الذي شرع القتال، وشرع الدعوة وأنزل الكتاب والميزان والحديد، ولا تناقض بين أمره وخلقه سبحانه، فهو يعلم أن البشر فيهم المعاند والجاحد والمكابر والحاقد والحاسد والقاسي والطائش والعنيف والمحتال والمراوغ، كما فيهم أضداد ذلك، فلقسم منهم شرع جهاد القوة والسنان كما شرع للقسم الآخر جهاد الحجة والبرهان، ومن عجز عن جهاد السيف والقوة يقال له: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ ولكن ليس من حقك أن تخدر الأمة وتحول أفرادها إلى عميان أو عرجان أو مرضى فذلك غير مقبول ولا معقول.

٧ - إبطال الجهاد القتالي وجعله في زوايا ضيقة - وهو ذروة سنام الإسلام - فيه الجحد لمئات النصوص والمعارضة لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وخلفائه وأصحابه وعلماء المسلمين ودعاتهم وعلمائهم طوال تاريخ المسلمين.

وليست لهذه الدعوى سابقة في تاريخ المسلمين اللهم إلا ما كان من الجهمية والجبرية الذين ادعوا أنه لا معنى للجهاد وإقامة الحدود ولا للثواب والعقاب، وقد أثرت دعوتهم هذه في بعض المتصوفة الذين عبروا عن ذلك بقولهم: (أقام العباد فيما أراد) وهذا ما حاول استخدامه نابليون حين احتل مصر، والإنجليز حين احتلوا جنوب اليمن، وساعدهم في ذلك (دعاة اللاعنف من المتصوفة)

أما في العصر الحديث فقد حرمت القاديانية والبهائية الجهاد ومنعته بتأويلات فاسدة وابتسارات خاطئة، فهل يتناغم د/ جلبي مع هذه الطوائف؟

فلتهنأ أمريكا وبريطانيا والهنادكة واليهود بالآراء المستنيرة للدكتور خالص وأشباهه.

أما علماء المسلمين ودعاته ومفكروه وقادته (تيار العنف والتطرف) حسب رأي د/ خالص، فسوف يهنأون بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ﷺ: «**أمرتُ أنْ أقاتل الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم، وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**» رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر.

وبقوله صلى الله عليه وسلم: «**عليكم بالجهاد فى سبيل الله تبارك وتعالى؛ فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم**» - أخرجه أحمد فى مسنده عن عبادة بن الصامت ٥/ ٣١٩

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**» رواه أبو داود والنسائي/ صحيح أبي داود ٢١٨٦ .

و يخشون مما حَذَّرَ النبي - صلى الله عليه وسلم - منه في حق مَن لَم يَغزُ وَلَم يُحَدِّث به نفسه بالغزو مع قدرته عليه في قوله صلى الله عليه وسلم: "**مَن مات ولم يغزُ ولم يُحَدِّثْ به نفسه مات على شعبة من النفاق**" رواه مسلم عن أبي هريرة (٣/ ١٥١٧).

٨ - أما أخذ د/ جلبي لبعض النصوص وتركه لبعض فهو منهج قديم عرف من زمن غيلان الدمشقي وابن صفوان ومعبدالجهني، وسوف أضرب لذلك بمثلين أحدهما واقعي والثاني افتراضي:

١ - نظر بعض الناس إلى نصوص الأسماء والصفات، فأخذوا منها ما ينفي التمثيل والتشبيه وركزوا عليه، وتركوا النصوص المثبتة للصفات بدعوى أن ذلك هو التنزيه الحقيقي لله تعالى والفهم الصحيح للدين فدخلوا في متاهات التعطيل لصفات الله تبارك وتعالى.

وكذلك فعل د/ جلبي حين أخذ نصوص الدعوة والإقناع والبرهان والدفع والصبر والرد بالحسنى واللطف ليعطل شعيرة القتال في سبيل الله، إلا في أضيق الأحوال وبشروط ابتكرها تجعل أمر القتال في سبيل الله أشبه بالمحال.

٢ - لو جاء شخص ما إلى قضية العبادة في الإسلام وأخذ نصوص الكسب والعمل الدنيوي التي تنص على الثواب والأجر واعتبار ذلك من العبادة، ثم ضخم هذه النصوص ووسع أرجاءها ليجعلها هي العبادة، على حساب الصلاة والزكاة والحج، فلا شك أن هذا مسلك فاسد، وهذا من جنس صنيع د/ خالص حيث أخذ نصوص الحوار والجدال والدليل والبرهان والتلطف والإحسان وغلبها على نصوص القتال، بل يكاد يجعلها ناسخة لها ومبطلة.

قال محمد إقبال:

هذي الكمـاة عبادك الأخيـار — حملوا عناء العالمين وساروا

أصحاب سرك والسيادة طبعهم — والنور في نظـراتهم والنـار

نيل الشـهادة للموحد مطمح — وإذا تقحـم فالجـراح غبـار

*** باحث إسلامي**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٣/ ١٠/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٢ م

د. جميل بن عبدالرحمن اللويحق*:

إني لأتعجب كيف تأتى لخالص جلبي أن يبصر جانب الرحمة في حياة الأنبياء وسمو أخلاقهم ولم يرَ بجانبه جهادهم وثباتهم في سبيل الله تعالى

- لسنا بحاجة أن نذكّر بما قرره العلماء في شروط الاجتهاد وهي في حدها الأدنى ليست حاضرة في شخصية الطبيب خالص جلبي أم أن قضايا الإسلام كلأ مباح.
- أليس الحديث عن الآخرة قد استغرق أكثر كتاب الله تعالى وهو أساس في عقيدة المسلم التي يقوم عليه دينه وإيمانه؟؟

خرج علينا عبدالعزيز قاسم كعادته، وخلال الأسابيع الماضية بمكاشفات صحفية اختار لها رجلاً طالما أطل علينا بقلمه وصورته في صحف كثيرة، وكثيراً ما أثار القراء بغرابة بعض آرائه وأطروحاته، ولكن الصورة لم تكن كاملة عنه كما ظهرت ـ أو أكثرها ـ من خلال حديثه هو عن نفسه في المقابلة الصحفية التي أقر نشرها وراجع مسودتها فكانت في تقديري مفاجأة في بيان الحدود التي امتد إليها فكر الرجل وبيانا لحجم التخليط الذي وقع فيه وروجه بوضوح وجرأة، فكان فيما طرحه من أفكار ما يلزمنا معشر القراء المستهدفين بهذه الأفكار أن نقول شيئاً، فالاستفزاز الفكري والعلمي قد بلغ في هذه المكاشفات حداً لا يحسن السكوت معه، بل قد لا يجوز السكوت عنه، سيما وقد مسّ أصولاً إعتقادية ومسلّمات شرعية في لغة ألبست لبوس الشرع وتمسّحت بمفهوم شخصية لبعض النصوص الشرعية. ولست أدري إن كان من المناسب في مقاييس حرية الرأي ومساحة الحوار ولوازم الأمانة الصحفية أن يصل الأمر إلى أن يحتفل بصورة ما بمثل هذا الفكر ولو على سبيل العرض في مجتمع يسوده صفاء علمي وفكري في الجملة، لنصدمه ويخرج شعوره بتلك المقولات الشاذة والرؤى الهزيلة. ومع ذلك فلعل مما يشفع (للرسالة) أن مُحاورها البارع قد أفرغ في أسئلته ردوداً ضمنية ومناقشات جادة لأطروحات

الضيف، كما أن الرسالة كما أحسب ستفتح باب الحوار والمناقشة كما عوّدتنا. في البداية ليست القضية هي شخصية الضيف وذاته وإنما فكره ومقولاته... ولكن من الضروري أن نقرأ الملامح الشخصية ذات العلاقة بتلك الأطروحات ومن خلال كلامه هو عن نفسه، وذلك في الجزء الذي أتاحته المكاشفات منها لنفهم البيئة وربما كانت من جهة أخرى من أسباب إعذارنا للضيف في تخليطه... أما النشأة فكما وصف وفي جمل مختصرة، فكانت في القامشلي في بيئة غير متدينة، فيها غربة للعربية، وحب للموسيقى واللهو، وتنتشر فيها الديانات المختلفة، وفي بيت والد غير متدين لم يكن يصلي أبداً حتى صلاة الجمعة... والخمر تنتشر في هذه المدينة، ومع ذلك نفى الضيف أثر تلك النشأة عليه وقد يكون ذلك مسلماً في بعض صورها الصارخة ولكن أسمعه مثلاً بعد ذلك يحمل الحملة الشعواء على الدولة الأموية ويصمها بأسوأ الأوصاف... وأسمعه يدعو إلى تطوير الفرق الموسيقية كما فعل الإيرانيون فأبدعوا بزعمه في إنتاج موسيقى إسلامية هادفة.... ويعلن أن لديه في بيته أنواع موسيقى العالم كله!؟ وتقول زوجته في ثنايا اللقاء إن ميله للتصوف ربما كان بسبب حبه للموسيقى فيوافقها على ذلك. ثم تكون الدراسة بعد ذلك في الطب في دمشق ولم يدرس كما يفهم في الحديث دراسة مؤصلة للعلم الشرعي سوى إشارته العجلى للمدرسة الحمدانية ثم تتلمذه فيما أسماه نقاشات وحوارات لجودت سعيد صاحب المدرسة المعروفة. ثم تكون قراءاته الفكرية بعد ذلك، وأوسعها ما كان حين درس في ألمانيا... كل هذا لا يمنع أن يكون له أطروحاته وآراؤه الخاصة في مسائل جزئية أو تخصصية... ولكن أن ينتقل من خلال هذا التأهيل إلى مناقشة قضايا كبرى بلسان شرعي ليبدي فيها رأياً ويقرر فيها منهجاً وينقد فيها الآخرين باستعلاء أمر يصعب فهمه.. ولذلك قالوا: (إذا تكلم الإنسان في غير فنّه أتى بالعجائب) ولسنا هنا بحاجة أن نذكّر القارئ بما قرره العلماء في شروط الاجتهاد وهي في حدها الأدنى ليست حاضرة في شخصية الطبيب خالص

جلبي أم أن قضايا الإسلام كلأ مباح يستنكر فيه التخصص ولا تحترم فيه القواعد العلمية وهو ما يظهر تضجّره منه ضمناً حيث قال: (ليس هناك في الإسلام رجال دين ومفسر وفقيه في شهادات تحتكر الفهم...). والمصيبة في ذلك أنه يمارس ذلك بغرور قلمي طاغٍ واعتداء ظاهر فيقول مثلاً: (...الاتهامات كثيرة وهي مؤشر صحي أنني أضع يدي على أمراض المسلمين وأقوم بمعالجة خطيرة في جراحة عصبية فكرية لاستئصال ورم التخلف، وقد تسمع في المستقبل ما هو أكثر من هذا، وفي يوم أطلقوا النار على المفسر القاسمي، وابن تيمية ضرب بالنعال على رأسه فطارت عمامته واقتيد للتعزير والإمام ابن جرير لم يستطع أهله دفنه نهاراً خوفاً من الدهماء لاتهامه بالرفض ونحن نعيش في زمن التفكير..). وليت شعري ما وجه المقارنة بهؤلاء الذين شهدت لهم الأمة بالعلم حين امتحنوا بسبب مواقفهم العلمية... ثم مهلاً يا سعادة الطبيب أليس العقل والتواضع يقتضي أن يبحث المرء في نقد مخالفيه ابتداء لعله يجد في ذلك ما يدله على خلل يصلح أو ثغرة تسد أو خطأ في الفهم... وفي صورة أخرى نجده ينقد المسالك الدعوية التي احتضنته أول مرة نقداً مُرّاً ويصفها - بفوقية ظاهرة - بالفشل وبتحولهم إلى طائفة محنطة... أين هذه الأساليب من النقد المنهجي الذي كرره وأعلن الحاجة إليه في مواضع متعددة؟. أم علينا القول وعلى الآخرين أن يعملوا به. وأما السقطات الشرعية التي تضمنتها المقابلة فمتنوعة أسوق أهمها: - موقفه من قضية العقل والنص وأيهما يقدم؟ وهي القضية التي واجهه المحاور بها ملمحاً إلى أن احتفاءه بالعقل يفوق التفاته إلى النص. فلم يزد على أن ذكر أن العقل هو أداة الفهم للوجود والنصوص.

ولكن موقفه من قضايا لاحقة يشي بقدر زائد عن ما ذكره في شأن العقل، فما ذكره هنا يسلم به الناس جميعاً. فتجده حين يواجه بنصوص موحية بتمجيد العقل ورفعه إلى منزلة تفوق قدره منقولة من بعض كتبه يسكت بدون تعليق، وينقل المحاور قوله في كتاب له: (إن العلم حقق للجنس البشري ما لم يستطع تحقيقه

الأنبياء على مدى العصور) فلا يزيد على أن يقول: إنكم لم تفهموا ما يريد الأنبياء ولا العلم. ومنها أنه يأتي في موضع آخر ليتحدث عن الإيمان مستخدماً ألفاظاً غاية في الإيهام ومحملة بروح الفكرة الإرجائية وهي عبارة نقاها المحاور فأجاب عنها الضيف بكلمات عامة لم تُزل ما شحنت به تلك الألفاظ ومنها قوله: قد يصلي الإنسان ولا يصلي والعكس صحيح فربما كان لا يؤدي حركات الصلاة وهو مستغرق فيها فالإيمان كمٌّ مفصول من الطقوس وحركات العبادة.. ومنها أنه لا يزال يفكر في نظرية دراون زاعماً أننا لم نفهم دراون إلى الآن فنحن اليوم لسنا في مستوى مناقشة عام ١٨٥٣م مثل طالب الحضانة الذي تقرأ على رأسه فيزياء الكم... الخ لسنا في الواقع متقدمين ولكننا على الأقل نحمل أصولاً شرعية واضحة في لب نظرية دارون أفعجز سعادة الطبيب أن يقول بها في مواجهة نظرية عاد الغرب نفسه ليعلن بطلانها وسقوطها علمياً.. أي تغطية للحقائق هذه!!؟؟ أما قضية الجهاد في الإسلام فلصاحبنا معها نظرات لا ينقضي منها العجب! ففي أول حديثه عن الجهاد ينفي أن يكون الجهاد قتالاً، ويفرق بين الجهاد والقتال من هذا الوجه - وكلامه من هذا الباب أثر لضعف الحصيلة الشرعية كما يظهر - مع أنه من المعلوم أن الجهاد قد ورد في الشرع في الأعم الأغلب مراداً به القتال كما ذكر الفقهاء، حتى قيل هو ما يحمل عليه عند الإطلاق، ومع ذلك فما هو هدف القتال في سبيل الله في فهمه؟ إنه دعوة لإقامة حلف عالمي... هكذا: إلى أن ينتهي بأن ما عملته أمريكا مع سلوبودان مليسوفيتش يمكن أن يكون نوعاً من الجهاد، وهو أن المجتمع الدولي كله حاول مع هذا الرجل ووسطوا له فرنسا وغيرها، ولكن كل ذلك لم ينفع فلم يكن هناك بدّ من ضربه وإمساكه بالقوة... هل هذا جهاد بالمعنى الإسلامي يا سعادة الطبيب؟؟ أو أن سعادته استغفلنا إلى الحد الذي يريدنا فيه أن نفهم أن أمريكا تحركت في البلقان بدافع نزيه وهو حماية القيم الإنسانية التي اغتالها الصرب واعتدوا عليها، وكأن العالم لم يكن يرى ويسمع لثماني سنوات

مضت من ثورة أمريكا على القيادة الصربية، ما فعلته تلك القيادة بمسلمي البوسنة مما لم يعرف له نظير بعد الحرب العالمية الثانية، فهل نحن هنا بحاجة إلى أن نذكر سعادة الطبيب بذلك أم نذكره بسجل ربيبة الجهاد العالمي أمريكا مع حقوق الإنسان في مواضع كثيرة من العالم وفي العالم الإسلامي خصوصاً... لعل السكوت في هذا الموضع هو الأفضل... ثم إنه يؤصل موضوع الجهاد على قاعدة من الهزيمة والضعف والتخاذل ويستنجد بذلك بفهم مجتزأ لمراحل الجهاد التي مر بها أول الأمر، ولذلك فهو يسقط هنا قصة ابن آدم حينما أراد أخوه قتله فأبى أن يقاوم واستسلم لأمر الله، ويذكرنا بأن الأنبياء جاءوا بالرحمة..وكأن الجهاد الذي جاء به الإسلام لا رحمة فيه وإنما هو الدم والقتل والاعتداء فقط، وكأن مقاتلة الكفار ومدافعتهم بضوابطها الشرعية ليست من الجهاد الإسلامي الذي شرعه الله وأمضاه النبي، والذي هو ذروة سنام الإسلام وعنوان عزة الأمة وسبيل نهوضها وطريق كرامتها... وينتهي به الأمر إلى استكثاره على البعض أن يدعوا - حتى الدعاء - على أمريكا، ولعله لم يقرأ يوماً في الصحيحين من دعاء النبي على بعض قبائل العرب شهراً كاملاً في صلاة الفريضة. وإني لأتعجب كيف تأتى لضيفنا أن يبصر جانب الرحمة في حياة الأنبياء وسمو أخلاقهم، ولم يرَ بجانبه جهادهم وثباتهم في سبيل الله تعالى وآخرهم عليه الصلاة والسلام لم تنقطع السرايا والبعوث في حياته إلى أن مات... أما إنه يريد - كما قال محاوره - أن نكون حملاً وديعاً ينتظر الذبح ولا يسمح له بأدنى انتفاضة أو دفاع ... وفي هذا السياق نفسه يدعوا إلى أن تكون المقاومة في فلسطين مدنية، وأن الفلسطينيين لو لجأوا إلى المنظمات الدولية لم يكن هناك قتل..؟؟ وهذه الفكرة هي النتيجة الطبيعية لفكرته الأولى، ويبدو أن المحاجّة الشرعية مع صاحبنا لن تجدي في هذا - ولكنني أدعوه أن يسأل عن ذلك أي طفل عربي مسلم يعقل أو أن يسأل عامياً لم يذهب إلى ألمانيا، ولم يعرف سفسطات العقلانيين، أو أن يسأل امرأة صفت فطرتها واحترقت

كبدها مما ترى، أن يسأل هؤلاء وبمنطق العقل وحده عن المقاومة المدنية إياها... هل أعيدت الحقوق يوماً يا سعادة الطبيب في لغة العالم الحر والشعوب الأبية بغير لغة القوة والقتال؟ أما أن سعادته وهو المحب للتأريخ تجاوز هذه المواضع في التأريخ لكي لا تفسد عليها لقناعة العقلية التي تبنّاها؟؟. وهل حاصل كلامه إلا أن نكون دجاجاً على موائد اليهود؟؟ أو متسولين على أبواب الأمم المتحدة؟؟ المصيبة كلها أنه يسوق هذا على أنه الدين و الشرع ومقتضى رحمة الأنبياء وسماحتهم. وفي واحدة من طوامّ الضيف - وأختم بها - وهي تدل على فهم مغلوط ومهلهل للإسلام يقول وذلك عندما سئل عن عدم حضور الآخرة في طرحه ومشروعه؟؟ أجاب: (أستطيع أن أرثي لكم فقط، لأن المسلمين مشكلتهم دنيوية أرضية واقعية وأنت تبحث في الميتافيزيقيا - ثم يضرب مثلاً بمرض السل الذي يراد علاجه بالدعاء - وهو مثل في غير سياقه ليقول بعد ذلك: المسلمون شبعوا من الحديث في الآخرة وما يهمنا إحياء المنهج القرآني في الدفاع عن الأرملة واليتيم والمسكين وذا المتربة). وهل ربط المسلمين بآخرتهم ومآلهم وما يستتبعه ذلك على نفوسهم وأحوالهم وحركاتهم ومواقفهم ودنياهم عموماً ليس من منهج القرآن، أليس الحديث عن الآخرة قد استغرق أكثر كتاب الله تعالى وهو أساس في عقيدة المسلم التي يقوم عليه دينه وإيمانه؟؟ وهل يمكن أن نجعل فهم دين الله تعالى بجعله الدنيا مزرعة للآخرة ومدخلاً وطريقاً إليها وتربية الناس على ذلك ميتافيزيقيه تدعو للرثاء..!! ثم من الذي يسلم بالمعادلة الضمنية الساقطة شرعاً وعقلاً التي تضمنها هذا القول من أن تربية الناس على العمل للآخرة وتعليقهم بها ينافي تربيتهم على المنهج القرآني في الدفاع عن الأرامل واليتامى والمساكين...

لا شك في أن هذه الصورة من الاضطراب والخلل في الفهم هي التي تدعو للرثاء حقاً.. ولا بد من القول في الخاتمة بأن ما طرحه الطبيب خالص جلبي يستحق مناقشة مؤصلة علمية متوسعة ليقتنع هو أو القراء، على الأقل بكامل

الدعوى، وليس هذا من عرف الكتابات الصحفية وله موضع آخر، وأسأل الله أن يرده إلى الحق رداً جميلا، وأن لا يرى في هذا النقد إلا ما يستثير فيه نوازع المراجعة للحق والبحث عن الصواب وهو ذو قدرة على ذلك....

*** أكاديمي وكاتب إسلامي بصحيفة (المدينة)**

* نشرت المداخلة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٧/ ١٠/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٢ م

وائل مرزا*

البحث عن منهج شمولي في المتابعة والتحليل والعرض

- وقع د. خالص في مشكلة التعميم والحسم النهائي في خطابه خاصةً في بعض القضايا الحساسة التي تتطلب مقاربةً منهجيةً تنبني على إحاطةٍ علميةٍ.
- بالرغم من محاولات القاسم للإشارة إلى دور البيئة وظروف النشأة الاجتماعية والثقافية فإن المرء لا يستطيع معرفة سبب إصرار د. جلبي على إنكار أي أثر لتلك البيئة.

ليس أصعب على المرء من الاستجابة لأمرٍ تختلط في ثنايا دوافعه المحبة مع الشعور بالمسؤولية ! حين طالبني الأستاذ القاسم بكتابة تعليق على مكاشفات الدكتور خالص جلبي حاولت الاعتذار ليس فقط لضيق الوقت، وإنما لأنني اعتبرتُ أنني علّقتُ سابقاً على أحد مواضيعه بمقال حاولت فيه التركيز على ملاحظاتي التي تنطلق من معرفتي بانفتاح الدكتور على الحوار، وبسعة صدره للنقد، من منطلق انسجامه مع منهجه الذي يعتمد ابتداءً على النقد إلى درجة كبيرة. وشعرت آنذاك أنني أرسلتُ رسالتي بغض النظر عما آل إليه مصيرها، وأن لا حاجة للتكرار في الموضوع. ولكن إصرار الأستاذ القاسم الممزوج بالعتب والتحفيز دفعني لكتابة هذا التعليق المطول، من باب الأمل في توضيح المحور الأساسي الذي أعتبره أساس النقد الذي يمكن أن يوجه لطروحات الدكتور جلبي، وهو محور الشمول والعمق في منهجية المتابعة والتحليل والعرض.

ذلك أنني أؤكد بادىء ذي بدء أن كثيراً من طروحات الدكتور، ومن قبله الأستاذان مالك وجودت، وغيرهم من أصحاب هذا التوجه الفكري، كانت سبّاقةً إلى إزالة أكوامٍ من غبار التاريخ والتقاليد التي تراكمت على جملةٍ من القيم

والمبادىء المهمة التي لا بد من استصحابها إذا كان لهذه الأمة من أملٍ في استعادة حضارية تُخرجها من حالة الاستنقاع التي تغرق فيها اليوم.. فمن إعادة الاعتبار إلى دور العقل والعلم في فهم كلٍ من الدين والدنيا، إلى الدعوة للتبصر في سنن الله في الآفاق والأنفس، إلى التنبيه إلى ضرورة الانفتاح على الدنيا وعلى العالم والعصر بشكل حيوي بعيداً عن أوهام الخوف من ضياع الدين، وعن اللجوء إلى قواقعنا الفكرية والحركية، وإلى الانطلاق في عوالم العلم البشري بكل ألوانه وفروعه.. إلى غيرها من المنطلقات العديدة كان هذا التوجه سابقاً لزمانه، ومشغولاً بهمّ المستقبل، فيما كانت أغلب التيارات والحركات الأخرى غارقةً، وإن بإخلاصٍ وعن حُسنِ نية، في عوالم الشعارات وفي التركيز على التجميع الحركي المتمحور حول الحزبية وحول الأفهام التقليدية للأصالة والمعاصرة والتميز.. وغير ذلك من المقولات..

ورغم ذلك، إلا أن ماحدث، في رأيي الخاص على الأقل، وبصراحة يقتضيها المقام ولا تناقض الاحترام، هو أن أولئك الرواد وقفوا من حيث الرصيد الثقافي إلى درجة كبيرة عند حدود تلك المبادىء والمنطلقات.. في حين أن الخطوة التالية المنطقية تتمثل في الانطلاق إلى تلك العوالم بقوةٍ وانفتاح ومرونة، وبشكلٍ يمكن أن يعطي آفاقاً أخرى لتلك المنطلقات، ويُفرزَ تطبيقات متوازنة لها فكرياً وعملياً.. ومن أمثلة هذا على سبيل المثال فقط معايشة الأكاديميا الغربية بشكلٍ متفرغ لفترة زمنية معقولة من باب أنها معقل العقل والعلم والتجربة الغربية ذات التأثير الأساس المعروف في العالم ومتغيراته.. لأن مثل هذه المعايشة تعطي المرء، خاصة إذا امتلك رصيداً لا بأس به من الفهم المتوازن للإسلام، فرصةً لأن يتنفس هواء الحضارة الغربية بعمق، ويُلامس جذور مكوناتها الفلسفية والمعرفية، ويميز بين الإيجابيات والسلبيات، لا على المستوى الأخلاقي الخارجي السهل والمُيسّر.. وإنما على ذلك المستوى المعرفي والفلسفي الذي نتحدث عنه. ويكون هذا عن طريق مزيج من رؤيته التحليلية الخاصة ومن خلال متابعة النقد الذاتي الهائل الموجود في تلك المنظومة..

ومن خلال مثل تلك التجربة يصبح مُفترضاً أن يتكون لدى المرء صورةٌ أكثر وضوحاً وتوازناً عن تلك المبادىء والمنطلقات نفسها، وعن طريقة تنزيلها على الواقع البشري، ومداخل التعامل من خلالها معه.. ذلك أن هذا يختلف بشكل جذري عن متابعة العطاء الفكري في الغرب والعالم بشكلٍ غير متخصص، أحياناً عن بُعد، وأحياناً من خلال زيارات متفرقة، وأحياناً من خلال معايشة تفتقد حتى إلى (الاختلاط) بأهل تلك البلاد.. ويكفي أن نشير مثلاً إلى أن كثيراً من مثقفينا يقرأون كتاباً مترجماً يغير أفكارهم وطروحاتهم، غافلين عن أنه صدر بلغته الأصلية منذ سنوات، وأن كتباً أخرى صدرت بعد ذلك تنقض أسسه ومنطلقاته.. حتى إذا ما مضى الزمان واطّلع صاحبنا على ترجمة هذه الكتب الجديدة وحاول تغيير مواقفه تبعاً لها، فاتته الأبحاث الأخرى التي صدرت قبل الترجمة بزمان، وهكذا دواليك..

ومن هنا تأتي خطورة وحساسية مسألة تكامل الأجيال التي يبني عطاءُ بعضها على عطاء الآخر.. ومن هنا يصبح من الخطأ المنهجي أن يدعو جيلٌ من الرواد شبابه إلى الانطلاق في عوالم الفكر والمعرفة بشكل متخصص وعميق، ثم يطلب منهم، بشكل غير مباشر ومن خلال الطروحات والمواقف، بعد عشرين سنة من التحصيل أن يصلوا إلى نفس النتائج والمستخلصات التي كان ذلك الجيل المخضرم يطرحها في البدايات المبكرة، وكأنه لا اعتبار لكل ذلك الجهد وذلك التحصيل..

ومن هنا أخيراً تكمن أهمية ما نسميه (القراءة) من الداخل خاصة للمنظومة الغربية، بلغتها وبأدواتها ومن خلال مؤسساتها ومراكزها العلمية والأكاديمية.. لأن مثل هذه القراءة إذا ما تكاملت مع فهمٍ متوازنٍ مقاصدي أصيل للإسلام يدرك الفرق بين أصوله وفروعه، وبين ثوابته ومتغيراته، فإن النتيجة ستكون فهماً أقرب للصواب للإسلام وللعالم على حد سواء.. ينبني عليه تفكير نظري وبرامج عملية تكون بدورها أكثر قرباً للصواب عند محاولة الحياة بالإسلام في العالم..

ومن هنا، تأتي ملاحظاتنا في هذا التعقيب، محاولةً على هذا الطريق، للإشارة إلى بعض المفارقات التي تنتج عن اختلاف منهجين في التفكير، وإن كانا في بعض الأحيان ينطلقان من مقدمات مشتركة إلى حدٍ كبير..

ففي واحدة من الإشارات اللطيفة التي تتعلق بمسألة المنهجية في التفكير والطرح، وفي بداية الحوار والأسئلة الأولى التي بدأ بها المُحاوِر. يمكن ملاحظة أنه رغم محاولات الأستاذ القاسم للإشارة إلى دور البيئة وظروف النشأة الاجتماعية والثقافية في تكوين الإنسان، ورغم اتفاق كل العلوم الاجتماعية والإنسانية تقريباً على أهمية تلك البيئة والظروف ولو بشكل متفاوت من حالة لأخرى، وأخيراً ورغم خلفية الدكتور خالص الطبية والفكرية.. لايستطيع المرء معرفة سبب إصراره على إنكار أي أثر لتلك البيئة في تطور أفكاره في المستقبل ولو بطريقة غير مباشرة. ذلك أن تلك البيئة - بغض النظر عن كونها دينية أو غير دينية - تزرع في الأعماق كثيراً من الجذور، وترسم فيها كثيراً من المحاور، التي تُحدِّدُ خيارات الإنسان في المستقبل.. وإلا فإن مجمل حديث كثيرٍ من المفكرين، ومنهم الدكتور جلبي نفسه، عن بعض (البيئات) التي تلعب دوراً في إنتاج الغلوّ والتشدد يُصبح غير ذي معنى على الإطلاق!

ويمكن للمرء مثلاً أن يتصور، دون كثير سفسطة، الفرق الذي يمكن أن يحدث بين نشأة المرء في القامشلي التي تحتوي على (خليط غير معقول من الناس يتحدثون حوالي ثماني لغات وبها كل الديانات تقريباً، وبها كل الطوائف المسيحية، ولكل طائفة مدرستها وكنيستها، وهي مدينة جامعة وخليط فيها من كل التيارات من قوميين وعلمانيين وشيوعيين وبعثيين ومتصوفة).. ونشأته في منطقةٍ يعيش فيها مع أهله (في معسكر وشبه معزولين عن السكان) وفيها (هوسٌ في قضية المرأة مهما لبست ومهما فعلت) إلى درجة أن يكون (خروجها من البيت غير مُرحّب به على الإطلاق)!..

ونأتي بعد ذلك إلى نقطةٍ لا بد من الحديث فيها، وتتعلق بلغة الخطاب التي يستخدمها الدكتور جلبي بشكل كبير في طروحاته، لأن لهذه النقطة أهمية بالغة على الأقل من باب دورها في إيصال الأفكار للناس.. فإذا كنا ندعو إلى قراءة شمولية للقرآن، وإذا كنا نعلم أن صفوة الأنبياء أُمروا من خالقهم بأن يقولوا قولاً ليناً، وأنه تعالى علّم خاتمهم بأنه لو كان فظاً غليظ القول لانفضّ الناس من حوله.. فإن الوقوف عند هذه النقطة يصبح مفهوماً. هذا إذا تجاوزنا تفصيل الحديث في مبادىء ومقدمات علم الاتصال البشري المعاصر التي تلقي كثيراً من الأضواء على طبيعة (التوازنات) التي يجب أن يتّصف بها الخطاب حتى يؤثر في أكبر شريحة ممكنة من الناس.. ونحن نذكر كلمة التوازنات عن وعيٍ وقصد، لأننا ندرك أن واقع أمتنا المهترىء في كثيرٍ من جوانبه يحتاج إلى مقادير من الصراحة والوضوح والمُباشرة، بعيداً عن النفاق الاجتماعي والمواربات وتلك الأنواع من الخطاب التي ننتقدها دائماً، والتي تحمل الفكرة ونقيضها من باب الحذر والتردد والخوف من غضبة العامة أو من سلطان التقاليد..

ورغم هذا، فإننا نعتقد أن هناك نوعاً ومستوىً من الخطاب المتوازن يمكن أن تتحقق من خلاله المصارحات، دون الحاجة إلى تجاوزه إلى الخطاب الاستفزازي الذي يحمل جملةً من الدلالات السلبية التي لاتليق بأن يتم اتهام مثقف من وزن الدكتور جلبي بها، ولا نعتقد أصلاً أنها تنطبق على شخصيته الحقيقية على الإطلاق..

وإذا تجاوزنا أمثلة من مثل (ومثلي بينكم مثل الصيني الذي يريد أن يتحدث بالصربية أو الأخرس الذي يريد أن ينقل الكلام عن آخر مهمته الكلام، وبينكم وبين العلم سنة ضوئية. ولا أدري إن كنتم تعرفون مقدار المسافة بالسنة الضوئية)! أو من مثل (مرة أخرى أنتم لم تفهموا ما يريده الأنبياء ولا العلم والأمور مختلطة عليكم)! التي تحتاج إلى تحرير من هو المُخاطبُ فيها على وجه التحديد؟ فإننا سنقف قليلاً مع مثالٍ معبرٍ حين يقول الدكتور في معرض الإجابة على سؤال من أسئلة

الأستاذ القاسم (لقد شطَّبت على البيئة التي خرجت منها، حتى الزواج من المنطقة التي أنا بها، عندما كنت أتصور أنني سأتزوج منها أُصاب بالقرف والتقزز)!.. ونحن إذ نقرأ مثل هذا الكلام فإننا نؤكد أن من الممكن بل من الواجب على كل إنسان، بله أن يكون ذلك الإنسان مفكراً، أن يُحلّل نماذج من البيئة التي يتشكل من خلال تنويعاتها الواقع الكبير الذي نحيا فيه، وأن يكون صريحاً وواضحاً في تحليله. لكن المشكلة تكمن في الأحكام التعميمية التي تصدر أحياناً حول مثل تلك البيئات.. إلى درجة أن الكلام يمكن أن يوحي، ليس فقط حسب مبادىء منظومتنا الحضارية، وإنما أيضاً حسب الأعراف السائدة عالمياً اليوم.. بنوع من التمييز العرقي أو المناطقي الذي يحمل مقادير من الاستعلاء لاتكون مقبولةً من العامة فضلاً عن المثقفين.. وحين يقول مثقف مثل الدكتور جلبي تلك العبارة فإن المرء لا يمكن إلا أن يفكر بالرسالة السلبية التي ستصل بشكل عام إلى مدينةٍ كبيرة عامرة، فيها من النشاط الثقافي ومن الحيوية الفكرية ما يعرفه الكثيرون..

وحتى يدرك من لايعلم بجدية مانتحدث عنه فإن بالإمكان أن نورد كماً من الأمثلة التي تُعبّر عما نقوله، ليس فقط في حنايا المكاشفات، وإنما أيضاً في كثير من الكتابات الأخرى، بل وفي بعض مواقع الحوار التي استضافت الدكتور تقديراً لفكره ومحاولةً لتوضيح ملابسات طروحاته.. ولكننا نعتقد أن مجرد الإشارة إلى هذا الأمر في هذا المقام تغني عن ذلك. مع التأكيد مرة أخرى على أن هذا الكلام لاينطلق فقط من الغيرة على الحقيقة، والتي تضيع أحياناً في خضم الحماسة والتعميم، وإنما أيضاً، وبعيداً عن المجاملات، من الغيرة على كثيرٍ من الأفكار المتميزة التي يطرحها الدكتور، والتي نحتاج إلى أن نهيء الظروف لتسمعها وتُفكّر فيها شرائح أكبر من أبناء هذه الأمة، بهدوء وبعيداً عن ضجيج وصخب الاتهامات وعمليات التصنيف والشخصنة التي تقتل الكمون الموجود في عمليات التثاقف والحوار.. ونحن وإن كنا نعرف أن الدكتور جلبي مختصٌ في الجراحة.. إلا أننا نأمل

أن تكون أناملهُ التعبيرية قادرةً دوماً على التعامل مع جراحات أمتنا وأمراضها بتوازنٍ وحكمة واعتدال.. خاصةً، مرةً أخرى، وأننا بحاجةٍ إلى أصوات تُصارح شرائح الأمة بشكل عام، والقوى الفاعلة فيها بشكل خاص، بحقيقة آفاتها ومشكلاتها..

وعلى سبيل المثال، فإن جملة الملاحظات التي طرحها الدكتور جلبي حول الإخوان تحتاج من هؤلاء إلى كثير من التفكير والتدبّر، ففي حين أنه حاول أن يكون منصفاً في حديثه عن نوعية عطائهم وعن تعريفهم الشباب على الهوية الإسلامية والفكر الإسلامي، وعن تميزهم عن الصوفية والمشايخ، إلا أنه عرض إلى تاريخهم وواقعهم بشكل يتطلب وقفات جدّية، خاصةً على مستوى القيادات التاريخية التي ماتزال تمسك بناصية القرار، ولا تزال من خلال ممارساتها وتصريحاتها، وعلى سبيل التحديد في البلد (الأم).. توحي بالتشبث بمنهجٍ في التفكير والحركة لايليق بمستوى المنهجية الذي يجب أن يسود في هذا الزمان وهذا العصر.. نقول هذا رغم بعض (الشعارات) العصرية التي تُرفعُ هنا وهناك غالباً على سبيل العلاقات العامة، والتي تتضارب مع كثيرٍ من الممارسات الداخلية السائدة في أوساط الجماعة حسب نقولات العارفين.. بل إننا نقول هذا رغم ذلك المستوى من الوعي المتقدم الذي تتميز به شرائح من شبابهم المثقفين، ومن بعض قياداتهم الوسيطة، وهو وعيٌ يُفترضُ فيه أن يُحدث نقلات فكرية وعملية، ولكنه لا يزال مكبوحاً بتلك العقلية التقليدية التي تصر على العناوين والشعارات والأسماء التاريخية من جهة.. ومن جهةٍ أخرى، بتلك الشعارات التي تتحدث عن الإصلاح من الداخل، وعدم تفريق الصفوف، وغيرها من المقولات، التي ربما يكون لها قيمةٌ في ذاتها، ولكنها توظّف عاطفياً في سبيل ترسيخ الأفكار والقيادات التاريخية في حقيقة الأمر..

صحيحٌ أن المرء يمكن أن يختلف مع تلك النتيجة النهائية التي خلص إليها الدكتور والتي يؤكدفيها أنهم (انتحروا وانتهوا كحركة وتحولوا إلى طائفة محنطة

مثل الأسكيمو أو طائفة الآميش في فيلادلفيا) ولكن هذا يقودنا مرةً أخرى إلى مشكلة التعميم والحسم النهائي في خطاب الدكتور، خاصةً في بعض القضايا الحساسة التي تتطلب مقاربةً منهجيةً تنبني على إحاطةٍ علميةٍ أكثر شمولاً بعلوم الاجتماع البشري وسننه وقوانينه، تتجاوز الثقافة العامة مهما كانت واسعةً ومتعددة المحاور.. وتتطلب بحثاً علمياً عميقاً لايمكن تلخيصه في عبارات سريعة وأحكام قاطعة من خلال مقالةٍ هنا ومقابلةٍ هناك..

وربما كان هذا المقام مناسباً للحديث في المفارقة الأساسية التي يتمحور حولها ليس فقط خطاب الدكتور جلبي، وإنما أيضاً خطاب التوجّه الفكري الذي ينسجم معه والذي يُتعارف عليه بمدرسة مالك وجودت.. فرغم أن هذا التوجه بالذات كان، كما ذكرنا في بداية الحديث، سابقاً على غيره من التوجهات من حيث إزالته الغبار عن بعض المنطلقات الأصيلة للفكر الإسلامي مثل دور العقل والعلم، وقضايا الانفتاح على الآخر وعلى العالم فكرياً وعملياً، والإشارة إلى ضرورة التبصر في سنن الله في الآفاق والأنفس.. إلا أن المشكلة تتمثل في أن الفرصة لم تسنح كما ذكرنا لكثيرٍ من أصحاب هذا التوجه للاطلاع، رغم تواصل بعضهم مع الغرب أو معيشته فيه، على أدوات البحث العلمي المنهجية في حقول العلوم الاجتماعية بالذات، وهي أدواتٌ تمكّن الإنسان من تنزيل تلك المنطلقات على الواقع البشري بشكلٍ أكثر توازناً وأكثر واقعيةً، بل وأكثر قرباً من امتلاك الحقيقة، مادمنا متفقين على استحالة امتلاك الحقيقة المطلقة التي يُعتبر جهد الإنسان اللانهائي للوصول إليها لُبّ التجربة البشرية..

ولنأخذ مثالاً حول مسألة (اللاعنف). ذلك أن من المتفق عليه أن مناشط الحياة الإنسانية تشمل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجمالية لحركة الإنسان على هذه الأرض. وإن من المفترض - تبعا لذلك - أن أي مشروع حضاري (فكري أو عملي) ينبغي أن يتحرك في أطرٍ متوازية تلمس تلك المناشط

وتطرح الأوعية الفكرية والعملية لها، والتي يحقق الإنسان من خلالها المقاصد الكبرى لذلك المشروع الحضاري. من هنا يلمح الإنسان ظلما كبيرا يلحق بفكرة (تحاول أن تكون شمولية) حين يتمُّ فيها تركيزٌ متميز على جانب يتعلق بمنشط من مناشط الحياة الإنسانية، والمقصود بذلك هنا فكرة (اللاعنف). فهذه الفكرة - حتى في المنظومة العلمية الغربية - تمثل جانباً واحدا من جوانب الحركة السياسية للإنسان تُدرّس في إطار مفهوم (العصيان المدني/ السياسي) الذي تُطرح تحته تجارب غاندي وجنوب أفريقيا وحركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة.. هذا فضلا عن تجارب العصيان العنيف الأخرى.. ودون الدخول في إطالةٍ مجالها البحث الاختصاصي، يمكن للمرء أن يرى الظلم الذي يلحق بهذا المفهوم (اللاعنف) وبمجمل المنظومة الفكرية التي تتبناه عند محاولة (عصر) المصطلح وإجباره على أن (يُولّد) امتدادات فكرية تلمس بشكل جذري فعال مناشط الحياة الإنسانية الأخرى، بل وتسيطر على حركة الإنسان فيها. هذا رغم كل الإيجابيات (المنطقية) التي يحملها المفهوم في ثناياه والتي تنطلق من رؤية قرآنية أصيلة لطبيعة الإنسان الأصيلة، ومن رصد للواقع البشري الذي ما يفتأ العنف والبغضاء يرسمان خطوطا سوداء حزينة على صورته المنشودة البيضاء.. مع أن في القرآن، في الوقت نفسه، إشارات عديدة على كون (الصراع) بكل أشكاله (ومنها العنيف) مكوّناً من مكونات الحياة والطبيعة البشريتين، بسببٍ من كون القرآن يتحدث عن بشر وليس عن ملائكة.. ليأتي بعد هذا ذلك الفهم المطلوب والذي يدعو لمحاولة التخفيف ما أمكن من الصراع ومن العنف على هذه الأرض، ولكن بواقعيةٍ تأخذ بعين الاعتبار كثيراً من العوامل والمقدمات والخصوصيات، وتستصحب معطيات الماضي والحاضر.. بدلاً من مجرد التركيز على تكرار المصطلح في كل مناسبة، ومحاولة فرضه بغض النظر عن الواقع والتاريخ والفطرة البشرية..

أما في مسألة فهم الغرب والعلاقة معه فإن المشكلة تكمن في الخلط بين الحديث عما يسميه الدكتور بالـ (ثغرات).. حين يقول الدكتور (خذ عندك مثلاً من

هذه الثغرات، أميركا تريد ضرب العراق لمزاعم كاذبة. في المجتمع الغربي من الداخل هناك عدالة، تستطيع في ألمانيا أن تقاضي شرودر نفسه وتستطيع أن تقف في المحكمة أمام أي شخص مهما كان موقعه، لكنهم لا يعدلون في ما يختص بعلاقاتهم مع الآخرين خارج حدودهماضرب بعض أمثلته).. أقول، الخلط بين ذلك وبين امتلاك القدرة على التحليل المنهجي، على مستوى حضاري شامل، للأسباب المعرفية والفلسفية التي تؤدي إلى ظهور وتكرار مثل تلك (الثغرات) التي كثيراً ماتؤثر على مصائر شرائح واسعة من أبناء البشرية، وتبيد أحياناً العباد والبلاد، وتنشر الخراب والدمار في الأرض.. بشكل يجعل تسميتها بـ (الثغرات) دافعاً لابتسامةٍ حزينة تشبه مايحصل للإنسان عند تشبيه فضيحة العرب الكبرى في عام سبعة وستين بالنكسة ! وفي نفس هذا الاتجاه فإن طرح الدكتور، وطرح التوجه الذي ينسجم معه بشكل عام، يقفز فوق وصلةٍ منطقية لابد من البحث عن تفسيرٍ لها.. وتتمثل في تحليل ذلك التناقض بين الظواهر الإيجابية المحلّية في الغرب، وبين ماينتج عن المنظومة بشكل عام في العالم من واقع لاينسجم في كثير من الأحيان مع تلك الظواهر..

بمعنى أنه لاتوجد إجابات علمية متكملة في خطاب الدكتور على أسئلة كبرى تتعلق بتلك الحلقة المفقودة، ومحاولة الإجابة على تلك الأسئلة من خلال التركيز على أن زعيماً فلانياً سيّئ وأن جماعةً معينة لا تُعبّر عن المنظومة الأخلاقية للغرب فيه تبسيطٌ شديدٌ جداً، واختزالٌ لظواهر ومسائل كبرى في أشخاص ومواقف فرديّة.. وهذا منهجٌ في البحث لا يجدي إطلاقاً في فهم القضية على مستواها الحضاري، لأن البحث على ذلك المستوى هو وحده القمين بأن يساعد العرب والمسلمين على فهمٍ متوازن للغرب، ثم على البحث عن مداخل للعلاقة معه يكون فيها خير الغرب والعرب والمسلمين والبشرية جمعاء..

ونحن وإن كنا نعلم أن مقالة صحفية هنا أو هناك لا تحتمل مثل ذلك البحث العلمي، إلا أننا نعلم على الأقل أن من الممكن طرح مقدماته ومنطلقاته السليمة من

خـلال هذه القنوات المخـتـصـرة على الأقل، وفي أسـوأ الأحـوال ينبـغي تجنب طرح مستخلصات سريعة ومقتضبة ربما تزيد الفوضى الفكرية السائدة سوءاً، بحيث تصبح في النهاية جزءاً من المشكلة وقد كانت النيةُ أن تكون جزءاً من الحلّ.. وأنا أدعو مثلاً الدكـتـور والقـارىء بشكل عـام للتـفكيـر بدقّـة في هذه العـبـارة التي جـاءت في ثنايا المكاشـفات (فهنـاك من المسلمين من يؤمن أن الإنسان يسـتخرج منه بالإكراه أكثر من الإقناع. وعند هذه النقطة يقف النظام الديموقـراطي لأنه يعـتـمـد أسلوب الإقناع ولو بالخداع والمال والدعاية والتمويل فهو يأكل عقل الإنسان بالفتنة والإغراء والغواية ولكن ليس على الطريقة الشرقية بالسوط والمخابرات والتعذيب فهذا هو فرق الشرق عن الغرب)!.. فأي خيارٍ هذا الذي يجري عرضه على العرب والمسلمين بين هذين المنهجين؟ وأي فرقٍ هذا الذي يُدعون، بلسان الحال، إلى اختيار واحدٍ من طرفيه؟!

والجدير بالذكر هنا أن في المنظومة العلمية الأكاديمية الغربية نفسها أقداراً من النقد الذاتي الفلسفي والمعرفي، يجب أن يطّلع المثقفون العرب والمسلمون على شيءٍ منه على الأقل، حتى يكون رصيداً يمكّنهم من معالجة مسألة العلاقة بين الحـضـارات بشكل منهـجي، بدل الاكـتـفـاء بالعـبـر الناتجة عن بعض التـجـارب الشخصية والمتابعات العامة هنا وهناك.. وتحضرني في هذا المقام طرفةٌ تتمثل في حوارٍ قديم جرى بيني وبين مثقفٍ مُحترَم ينتمي لنفس التوجه الفكري الذي نتحدث عنه، وذلك حين اسـتنكر ذلك المثقف بشـدّة بعض النقـد المنهـجي المعـرفي للواقع الغربي والذي كنتُ أتحدث فيه، وذلك بدعوى أن هذا يدلُّ على (عودتي) إلى العقلية التقليدية التي تَشتُمُ الآخر وتقف منه على الدوام موقفاً سلبياً.. لكن وجه الطرافة، بالنسـبة لـي على الأقل، ظهـرَ عندما أكّـدتُ للرجل أنني إنما أنقلُ ذلك النقـد عـما قرأته في الأكاديميا الغربية بمدارسها الفكرية المختلفة !

والنقطة الهامـة هنا أن الدكـتور يعـرف، وأننا جـمـيـعـاً نعـرف، أن الحـديث في أزمـات الغـرب ينـحـصـر للأسف في إطار الشـتـيـمـة تجـاه المنظومـة السـيـاسـيـة/

العسكرية للغرب، وإذا ماتجاوز تلك النقطة فإنه يركز على نقد بعض قضايا الفساد الأخلاقي.. ومن هذا المنطلق، يصبح الإنسان العربي والمسلم عاجزاً أيضاً في الجهة المقابلة عن مجرد التفكير في حجم الإيجابيات والعطاء الموجودين في الغرب فضلاً عن إدراكها.. وبهذا تضيع الفرصة لتحليل المنظومة الغربية، وللتمييز بين منطلقات الخير الكامنة في كثيرٍ من جوانب حياتها الثقافية والأدبية والعلمية والحقوقية والفنية والاجتماعية والتنظيمية، وهي منطلقات تنبع من جوانب الفطرة البشرية السليمة، وبين مزالق الشر والظلم والطغيان الموجودة خاصةً في التجليات السياسية والعسكرية لتلك المنظومة، وهي مزالق تنبع من التشويه الذي أصاب الجوانب الأخرى لتلك الفطرة البشرية..

ولكي نبسّط المسألة من خلال سؤال نبنيه على بعض أمثلة الدكتور، فإن من الواجب أن نتساءل مثلاً (ما هي العوامل الثقافية العميقة التي تُشكّل المنظومة بحيث تدفع رئيس الوزراء الذي يذهب تواضعاً إلى مكتبه بالدراجة إلى أن يصل إلى المكتب ثم يشارك في صياغة قرار ضد المهاجرين في بلده! أو ليعطي أمراً لسفيره للتصويت لصالح الحرب ضد العراق؟! بينما يذهب مسؤولٌ آخر، وربما بسيارة المرسيدس من آخر طراز، ليقف بصدقٍ وأمانةٍ وإصرار ضد هذين القرارين؟!).. فالمسألة إذا لاتنحصر في التصرفات على الصعيد الفردي، وإن كان لها دلالات يجب أن تُعتبر بشكل نسبي، وإنما تتعلق بمنظومةٍ أكبر، ثقافيةٍ وفكريةٍ أولاً، ثم سياسيةٍ واقتصاديةٍ يجري فيها تركيب القوانين الناظمة للعلاقة مع العالم بشكل معين، وتترتب فيها أولويات المصالح بطريقة محددة..

والعرب والمسلمون بحاجةٍ على وجه التحديد إلى مثقفين يعملون على تفكيك تلك المنظومة وتحليلها بشكل دقيق، تمهيداً لفهمها الفهم الأمثل، ثم التعامل معها بشكلٍ فيه مصلحة البشرية جمعاء.. وعلى هذا الطريق، نعود للإشارة إلى تلك التعميمات السريعة جداً والمطلقة جداً، والتي تتعلق بقضايا كبرى لا بد من التأني

في الحكم عليها، إشفاقاً على العقل العربي والمسلم، إن لم يكن احتراماً للمطلوب من رصانة العلم والعلماء. ومانتحدث عنه هنا على سبيل المثال هو المقارنة بين أمريكا وأوروبا. فمن ناحية نجد الدكتور يقول إن (ما عملته أميركا مع سلوبودان ميلوسوفيتش يمكن أن يكون نوعاً من الجهاد وهو أن المجتمع الدولي كله حاول مع هذا الرجل ووسطوا له فرنسا وغيرها، ولكن كل ذلك لم ينفع فلم يكن هناك بد من ضربه وإمساكه بالقوة).. ومن ناحية أخرى نجد مقولة (هؤلاء الأميركيون عباد لله، الآن في أميركا يوجد ٦ ملايين مسلم، هل تعلم أن حوالي ٢٢ ألف يدخلون الإسلام سنوياً في أميركا؟) ولكن من ناحية ثالثة نجد الدكتور يقول بحسم (ليس لأميركا رسالة)! ويؤكد في مقابل هذا بأنه (متفائل الآن بالوحدة الأوروبية وأتوقع أن تحقق ما عجزت أميركا عن تحقيقه)!..

والمشكلة هنا هي أن القلّة من القراء سيعرفون أن الدكتور يتحدث في الحقيقة عن عدة (أمريكات).. وإن كان يستخدم كلمة أمريكا نفسها على الدوام. فهناك أمريكا الدولة وأمريكا الشعب وأمريكا القيم والمبادىء وأمريكا الإنجاز والواقع، وهذه كلها متداخلةٌ بشكل معقد، ويؤثر الواحد فيها بالآخر على الدوام.. وللمرة العاشرة، فإن دور المثقف يتمثل في تفكيك هذه القضايا وتعريف القارىء بها حتى يفقه الواقع بشكل دقيق من باب أن (الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره).. ومن ناحية أخرى، فإننا لم نفهم على وجه التحديد مكمن هذا الاستبشار العام بأوروبا.. وهل يدخل في حسابات (الاستبشار) مثلاً ارتفاعُ مدِّ القوميات والعصبيات العرقية والإثنية الذي لا ينفك يزدادُ تصاعداً في أغلب بلدانها، والعداء المتزايد للمهاجرين فيها، والقوانين التي تحدّ من انفتاح أوروبا عليهم؟ ثم هل يدخل فيها اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً تحليل ظاهرة تآكل دولة الرفاه والخدمات الاجتماعية التي كانت مما يميز أوروبا عن أمريكا، وأسباب ذلك التآكل ودلالاته ثم النتائج المترتبة عليه في كل اتجاه محلياً وإقليمياً وعالمياً؟

ومرةً أخرى، ربما يظهر للقارىء الكريم المحور الناظم لملاحظاتنا التي نوردها في هذا التعقيب، وهو محور يتعلق على وجه التحديد بضرورة تأسيس طروحات المثقفين على بناءٍ محكم من الشمول المنهجي في النظر والمتابعة والتحليل والعرض. ويأتي في هذا الإطار حديث الدكتور عن (دارون) في المكاشفات وفي الكتاب الذي أشار إليه الأستاذ القاسم. ذلك أن من تفاصيل الواقع (العلمي) الذي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في هذه القضية مثلاً أن هناك حركة مراجعة كبيرة جداً لنظرية دارون وكل ما يترتب عليها في كثير من الأوساط العلمية الأمريكية، إلى درجة أن المجالس التعليمية في أكثر من ولاية أمريكية أقرّت قوانين تُطالب ناشري كتب العلوم الطبيعية والفيزياء بإيراد إيضاحات صريحة بأن النظرية ليست يقيناً مطلقاً وإنما هي (نظرية) مثل غيرها من النظريات، بل وطالبتهم بإيراد نظريات أخرى مضادة لتلك النظرية بدل الاقتصار عليها. هذا إضافةً إلى أن هناك جمعيات علمية بدأت تظهر منذ زمن بين أوساط بعض علماء الطبيعة والفيزياء تهدف بشكل أساسي إلى النشاط في اتجاه القيام بأبحاث وكتابة نظريات تنقض نظرية دارون وتُفنّد كل ما انبنى عليها في العقل الغربي من نتائج خلال العقود الماضية!..

ويأتي السؤال هنا، هل يجب أن تُغير مثل هذه المعلومات ولو شيئاً من وجهات نظر المثقفين العرب والمسلمين حول القضية أم لا؟ أو على الأقل ألا يجب أن تُؤخذ بعين الاعتبار في طروحاتهم؟ وكيف يكون كل هذا ثم نقول (إن العلم قفز قرن ونصف متجاوزاً دارون ونحن لم نقترب من دارون) ونختم هذا بمُستخلص طريف يتمثل في (كل عام وأنتم بخير)؟!..

ونأتي أخيراً إلى قضية تتعلق بالمنهجية التي نؤكد على ضرورة وجودها، وإن كان الأمر يتعلق بموضوع آخر. ذلك أن هناك فرقاً كبيراً بين طرح الأفكار والمقدمات التي تؤكد على ضرورة تعميم التفكير المقاصدي الاجتهادي الذي نعتقد أنه أملنا الوحيد كعرب ومسلمين على طريق الاستعادة الحضارية، وبين القفز إلى

النهايات والامتدادات العملية (المستعجلة) لها، بمعنى إطلاق التخريجات الشرعية وإصدار الأحكام والفتاوى النهائية المنبثقة منها.. وبكلمات أخرى، إن هناك فرقاً بين طرح مجموعة من الأفكار (التجديدية) بشكلٍ مبنيٍ على إرادة مخلصة للتجديد والخروج من قيود الجمود الفكري والشرعي، وبين الخروج من ذلك الطرح بأشكال وأطر محددة من الأحكام و(الفتاوى). لأن هذا الأمر موضوعٌ حساس يحتاج إلى مزيد من البحث والضبط والتوازن والرؤية الشمولية لموقع الإنسان أولاً ثم لطبيعة المشهد المحلي والإسلامي والعالمي المعاصر... الأمر الذي يحفظ من جهة للفكرة قيمتها الأصيلة ويضفي عليها أثواب الجدية والمنهجية، ولا يخرجها من جهة أخرى تحت ضغط أهل "المقاربات" أو "المقارنات" من إطارات الفعالية المطلوبة والتوازن الدقيق الحساس.

وربما تزداد أهمية الضبط والدقة عند شرائح عريضة ممن هم في موضع "التلقي" أو التأثر بمثل هذه الأفكار ممن تتفاوت قدراتهم على الفهم الشامل للمنظومة الفكرية بشكل يؤهلهم للتعامل الواعي مع جزئياتها، وهؤلاء - بطبيعة الحال - نادرون ومعدودون، بينما تتسع دائرة الذين يلتقطون بعض إشارات المنظومة وعناوينها ويحاولون تبنيها والدعوة إليها بل والالتصاق بأصحابها الأصليين في خليط سلوكي وفكري مشوه يقدم نماذج مضحكة من السطحية والاجتزاء والانتقائية، الأمر الذي يظلم كثيراً جوهر الفكرة وشمولها وقبل ذلك أهلها الثقات..

تلك هي إذاً ملامح المحور الأساسي للنقد الذي يمكن توجيهه في رأينا لخطاب الدكتور جلبي، ولأغلب من يشاركه هذا التوجه. وربما يمكن تفسير الحديث عن التوجه، والذي أحاول الإشارة إليه أكثر من مرة من باب ذكر مثال يتعلق بسؤال الأستاذ القاسم عن الفرق بين توجه أقطاب مدرسة مالك وجودت وطروحات مفكرين من أمثال محمد أركون ومحمد عابد الجابري ونصر أبو زيد، والإجابة المحددة التي طرحها الدكتور حين قال: (هناك فارق كبير، من تذكرهم من

الحداثيين وليس لهم هم إسلامي واهتمام بالحركات الإسلامية) ثم قال: (أنا ومالك بن نبي وجودت سعيد نختلف عنهم)..

فرغم حساسية الموضوع، ورغم أنني أعتقد أن أولئك المفكرين لا يمثلون على الإطلاق توجهاً فكرياً متطابقاً بحيث يمكن جمعهم هكذا في خانة واحدة، لا في سؤال الأستاذ القاسم ولا في إجابة الدكتور جلبي.. ورغم أنني شخصياً أوافق على عبارة الدكتور بأن (لهم فكرا حرا)، بل وأعتقد أن هذا الفكر يجب أن يُقرأ ويُناقش ويُحاور، وأن فيه إضافةً وتجديداً، بغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف مع جزئياته.. إلا أنني سمعتُ شخصياً منذ سنوات من الشيخ جودت عبارةً معناها تحديداً بأنه قرأ ويقرأ طروحات المفكر محمد أركون، وأنه يعتقد أن فيها حلولاً لكل مشاكل المسلمين!.. وتوضيحاً للأمر، فإن المقصود من إيراد هذا المثال ليس الأشخاص بعينهم، ولا قبول حكم الشيخ جودت أو رفضه.. وإنما محاولة تفسير خلفية السؤال الذي وجهه الأستاذ القاسم للدكتور على شكل (اتهام)، حول العلاقة بين فكره وفكر أولئك المفكرين.. ذلك أن التأثر بالفكر لا يمكن أن يُخفي نفسه، وهو ليس عيباً على كل حال وإنما مطلوبٌ وبإلحاح ومن طبيعة الحياة البشرية. لكن مفرق التوازن الدقيق يتمثل في أن يكون التأثر الفكري والثقافي واعياً إرادياً مبنياً على مقاييس معقولة من النقد والتحليل والمراجعة.. وقادراً على التفريق بين المبادىء العامة والتفصيلات الفرعية..

هذا رغم اعترافنا بصعوبة هذا الأمر، الذي يُفسّر أصلاً كثيراً من الخلط الذي يجري خاصة عند الكثير من المتابعين وأنصاف المثقفين الذين لا يتمكنون من التمييز الدقيق بين المفكرين، بسبب من تشابه وتشارك بعض مقدماتهم، فيصبح من أسهل الأمور لديهم القول بأن فلاناً إنما هو نسخةٌ مشوهةٌ من فلان، وأن علاّناً هو صورة مقلوبة عن ترتان.. وهكذا..

وختاماً، فإنني أعترف بأنني أشعر بقدرٍ من الذّنب من باب اقتصاري في هذا التعقيب تقريباً على تسليط أضواء نقدية على طروحات الدكتور جلبي. لأنني،

وبعيداً عن المجاملات التي أرفضها، أتّفق مع كثير من طروحاته ورؤاه الأخرى التي وردت في ثنايا هذه المكاشفات التي لا ينفكُّ الأستاذ القاسم يُرهق نفسه ومُحاوِرَهُ وقُرّاءه ومعقّبيه، من خلال شمولها وإحاطتها اللذين يحتاجان إلى كتب ومجلدات.. وإن كان من شفاعة له ولنا جميعاً، فربما تتمثل في ضرورة فتح هذه الملفات الهامة في هذه المرحلة الحساسة من حياتنا المعاصرة، عسى أن تتشقق من خلالها الأخاديد في جبال التقليد والجمود، على أملٍ بأن تبزغ من تلك الشقوق أشعةٌ من نور المعرفة تحمل للعرب وللمسلمين وللبشرية جمعاء بصيصاً من الأمل والضياء..

*** أكاديمي وباحث سياسي سوري**

* نشرت المداخلة على حلقتين في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٦ و ٢٣/ ١٠/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠ و ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٢ م

د. هاشم عبده هاشم في أولى مكاشفاته:

كثيرون ممن أسهمت في وضع أقدامهم على الطريق بدؤوا كتلاميذ وانتهوا كخصوم

فرعي:

- أنا أول من يعمل في صحيفة تخدم جازان إن كانت هناك نية لصحيفة خاصة بها.
- الناصرية استطاعت أن توجد حساً في التفكير خارج النطاق الإقليمي، ولكنها سقطت في الشعاراتية وأدركنا لاحقاً أن أساسها هزيل.
- أين خطط التنمية الإقليمية.. ولماذا لم تترجم؟ فالواقع يؤكد أن الأقاليم لم تأخذ حظها تماماً من التنمية.
- ناصر السلوم ظل حبه لجازان حبيس مشاعره الداخلية، ولم يعمل للمنطقة شيئاً كوزير مواصلات.
- ثلاثة أرباع نادي النصر من أبناء منطقة جازان، وكذلك لهم وجود عريض في الأهلي والاتحاد.
- نعم حاولت دعم وإبراز عناصر من أبناء جازان من خلال "عكاظ".
- ليس لدي خصوم إلا في نطاق ضيق، والوقت سبب عزلتي عن المجالس والصوالين الاجتماعية.
- أنا لا أنتظر كلمة شكر من أحد أحسنت إليه يوماً ما.
- لا أقبل تقريراً طبياً أو مرضياً أو غياباً مفاجئاً أو أعذاراً من الموظفين.

* نشر الحوار في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢٥/ ١٢ / ١٤٢٥ هـ الموافق ٥ فبراير ٢٠٠٥ م

بين يدي مكاشفات

- ضيف (مكاشفات) لهذا العدد قامة إعلامية كبيرة، تدرّج في سلم الصحافة والإعلام من فترات مبكرة من عمره. وبصرف النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا الفكري والمهني معه، فقد فرض الرجل اسمه بجدارة كأفضل رؤساء التحرير في صحافتنا المحلية عبر رحلة من الكفاح ستطالعونها بتفاصيلها في هذه الحلقة التي بين أيديكم.
- تفاجأ الكثيرون من اختياري للدكتور هاشم عبده هاشم رئيس تحرير صحيفة"عكاظ" كي يكون ضيفاً على (مكاشفات)، بيد أنني حرصت، بل تعمدت أن أنتقل بها إلى ساحة أخرى غير تلك التي اعتاد عليها القارئ حرصاً مني على ألا تترسخ في ذهنيته انحصار هذه المكاشفات في ساحة واحدة فقط، إضافة إلى أنّ التنوع في الضيوف سيمنحها نكهات جديدة تجلب إليها مزيداً من القراء وُتكسبها أطيافاً ثقافية من مشارب فكرية أخرى.
- كان من المفترض أن تُنشر هذه الحلقات في ملحق"الرسالة"، إلا أن رئاسة التحرير ارتأت بأن مكانها الحقيقي في الصحيفة الأم بسبب موضوعاتها ومحاورها التي ربما لا تتساوق واهتمامات "الرسالة"، وهو ما اقتنعت به، غير أنني أصررت على أن تنشر في يوم الجمعة كي يطالعها من شاء من قراء "الرسالة" ومحبي (مكاشفات) ممن اعتادوا على وجودها في الملحق.
- اعتدت على أن أعيد لكل ضيوفي السابقين في (مكاشفات) نص الحوار بعد إعداده للنشر بسب حساسية بعض الأسئلة والأجوبة إلا ضيف هذا العدد. فعلى العكس من أولئك الذين كنت أخشى عدم انتباههم أو وجلهم من المناطق الحمراء التي كنا نخوض فيها، فقد كنت هذه المرة أمام أستاذ في المهنة، لذلك بادأته من فوري قائلاً: طوال الطريق وأنا أُعمل ذهني في كيفية انتزاع كل المعلومات والحقائق التي تخفيها في جعبتك الملأى، وكيف أستدرجك يا دكتور هاشم

للأفخاخ الصحافية والخروج منك بأكبر قدر من الأجوبة المثيرة وأنت الذي تشتهر بالهدوء والتحفظ الشديد، لذلك سأعترف لك بأن كل محاولاتي أمامك مكشوفة. فأجابني فقط بضحكته المعهودة، وعندها حسمت قراري بألا أعيد إليه نص الحوار.

- قدّرت إذّاك بأنني إن أعدت له الحوار بعد تفريغه فسيمارس موهبته بقلمه الأحمر الشهير الذي يئنّ منه كتّابه في الزميلة"عكاظ" وسيشطب بنَفس احترافي مكاسبي التي سأغنمها منه، إن قُدّر لي ذلك، في (المكاشفات). لذلك حرصت على تفريغ الحوار والتأكد من دقة وسلامة الإجابة بشكل شخصي. وهو ما كلفني ضياع إجازتي في طيبة الطيبة، حيث تركت ارتياد المسجد النبوي الشريف إلا في مواقيت الصلاة، وانهمكت مع صوت الدكتور هاشم الهادئ "الرتم" والخافت النبرة، وهو ما أثار سخط أبنائي ووالدتهم بسبب هذه (المكاشفات) التي أضاعت عليهم الإجازة العائلية النادرة.

- ولأن صوت الضيف كان ضعيفاً، وذاكرة الدكتور هاشم معطلة تماماً كما ستطالعون بعد قليل، فإنني أقدّم اعتذاراً للقراء وللدكتور إن ظهرت في المكاشفات بعض الأخطاء في التواريخ والأسماء. متوسماً أن يكرمنا لداته والخلّص من أصدقائه بتعديل بعض المعلومات. تعمدت تسجيل هذه النقطة قطعاً للطريق على متصيّدي أخطاء الرجل، وهم بالمناسبة كُثر بما يفوق الوصف.

- التقيت بعض المهتمين عقب حواري معه وسألوني رأيي في الرجل وأجبتهم بانطباعي الخاص بأنه مهما كان الموقف منه فهو أفضل رئيس تحرير مرّ على الصحافة السعودية على الإطلاق من حيث المهنية الصرفة. وفي جيب الرجل بطاقة مميزة يشهرها في وجوه منتقديه يسقط بها كل حججهم سُطّر عليها كلمة واحدة فقط هي (النجاح). وإلى الحلقة الأولى من المكاشفات.

*** عبدالعزيز قاسم**

✍ ***أشكر لك ابتداء دكتور هاشم قبولك دعوتنا، وكعادتنا في "مكاشفات" نمهّد لقارئنا الكريم ببعض السبر التأريخي والقراءة الشاملة لبدايات الضيف وتلك الظروف المصاحبة لتنشئته الاجتماعية. فهلا حدثتنا عن أجواء طفولتكم في جازان لما لها من أهمية في تكوين رؤية شاملة وموضوعية حيالكم؟***

* أود في بداية حديثي شكركم على حسن الظن أن أكون ضيفاً معكم في صحيفتكم. وجواباً لسؤالك، فقد نشأت كأي طفل عادي، ولدت في جازان ودرست بها المرحلة الابتدائية والمتوسطة أيضاً وحتى السنة الأولى الثانوية وبعدها انتقلت إلى جدة ...

✍ ***عذرا دكتور هاشم، ولكن بودي أن نفصّل الحديث عن أسرتك ومنطقة جازان التي كانت مراتع طفولتك وفتوتك. ماذا بشأن الأسرة دكتور..؟***

* كان والدي يعمل موظفاً في إدارة الجمارك في جازان. عندي من الإخوة الدكتور محمد في الخطوط السعودية، والمهندس عمر ممثل وزارة الصناعة في هيئة الاستثمار بجدة وعندي الدكتور عثمان وهو بعد محمد وهو عضو تدريس بجامعة الملك عبدالعزيز وهو الآن متفرغ في صحيفة عكاظ كنائب رئيس تحرير للشؤون المحلية، وعندي خالد وهو موظف في الخطوط السعودية، ولي شقيقة اسمها انتصار وهي مسؤولة في عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك عبدالعزيز وهو نفس تخصصي، هؤلاء هم أشقائي. لدي إخوان من والدي هم عدي في مؤسسة التعليم الفني وأبو بكر في الأرصاد الجوية وأحمد وهو شاب في الرابعة والعشرين من العمر...

✍ ***هل أنت أكبر إخوتك.. وهل ما زال الوالد على قيد الحياة؟***

* نعم. أنا أكبرهم عمراً، ووالدي موجود، متعه الله بالعافية، وقد تقاعد عن العمل.

✍ ***دعني أتحول إلى دراستك.. في أي المدارس الابتدائية درست؟***

* بدأت في المدرسة العزيزية بجازان وكانت هي الوحيدة في ذلك الوقت...

✍ ***أتمنى دكتور هنا أن تكرمنا برصد تاريخ الوقائع التي نسبر أحداثها كي يتابع معي القارئ.. في أي عام نحن نتحدث؟***

* لا أذكر. وأعترف بأن لدي مشكلة في التواريخ.. بعد ذلك انتقلت من المدرسة العزيزية إلى المدرسة السعودية وطبعاً حضرت إلى جدة في مدرسة..

دعوة الشيخ القرعاوي السلفية

✍ ***سامحني في مقاطعتك، فحن لا نزال في جازان.. وطالما لا تتذكر تاريخ ما نتحدث، دعني أقرّب الأمر وأسألك عن دعوة الشيخ عبدالله القرعاوي في منطقتكم، فللرجل تأريخ وتلامذة ربما كان أشهرهم ابن منطقتك الشيخ حافظ الحكمي، وسؤالي هنا هل أدرك هاشم عبده هاشم من ذلك شيئاً؟***

* عندما تعود بي الذاكرة إلى البدايات، أتذكر أننا كنا نتلقى بعض الدروس في تحفيظ القرآن والإملاء في صفوف خارج المدرسة باللوح والكتابة بالشجر الأخضر وكانت تلك تسمى مدرسة القرعاوي وهو من رواد التعليم وقد أسس مدارس في المنطقة. في تلك المرحلة كنا نجلس على الحصيرة ونتعلم، ثم بدأت المدرسة الابتدائية..

✍ ***هنا دكتور هاشم، بودي استشراف رأيك عبر تقييمك لما فعله الشيخ عبدالله القرعاوي وتلميذه الشهير حافظ حكمي في منطقتكم. هلا أكرمتنا برأيك هنا؟***

* كنت أسمع اسم الرجل يتردد، وكان مدرسونا يثنون عليه كداعية جاء إلى المنطقة وبث فيها الثقافة الدينية وأوجد العديد من المدارس وكان يتنقل في العديد من القرى والمدن ووضع قاعدة من الأتباع والتلامذة، وبالمناسبة أنا أعرف أن الدكتور ناصر السلوم هو ابن أخت الشيخ القرعاوي، ولذلك فإن الدكتور ناصر السلوم من محبي جازان ومن الذين يتابعون معي والدكتور مدني علاقي كيف نكتب تاريخ المنطقة لأنه ارتبط بها منذ وقت مبكر مع أنه كوزير مواصلات لم يعمل للمنطقة شيئاً (وهذا النقد يعجبك وتحرص عليه دوما

كصحافي يا أخ عبدالعزيز قالها ضاحكاً) لا على مستوى الطرق ولا الكباري وإنما ظل حبه للمنطقة حبيس مشاعره الداخلية.

أكيد يا دكتور أنني سأفرح، ومتهيئ لاقتناص أقصى ما أستطيع من هذه المانشيتات الصحافية. ائذن لي أن ننتقل إلى المرحلة الابتدائية، ما الذي علق بذاكرة التلميذ الصغير - آنذاك - هاشم سواء بالنسبة لأصدقائه أو أساتذته؟

* ربما البيئة الثقافية التي كانت موجودة من وقت مبكر ولم يكن هناك تعليم، كان كل منا حريصا على تنمية ثقافته، كنت ومجموعة من الزملاء ندرس في المرحلة الابتدائية السيرة النبوية وسيرة ابن هشام والصحاح ونحن في الصف الخامس أو السادس الابتدائي. فبذرة الثقافة ليست غريبة في تلك المنطقة لأنها محاصرة جغرافياً، ولكنها وجدت إرثاً ثقافياً وأرضية مناسبة والعزلة في بعض الأحيان تؤدي إلى محاولة الخروج عليها. أذكر أنه كانت تأتيني الصحف المصرية من صديق يعمل في "أرامكو" بالمنطقة الشرقية وكنت أتناولها بنهم وأوزعها على الزملاء ونحن بالصف الرابع الابتدائي، مجلات كالمصور والكواكب والإثنين والأحد اللبنانية السياسية. كنا نقرأها في سن مبكرة ولم يكن الكتاب المدرسي هو كل شيء، ولذلك عندما تسمع أن المنطقة ولود وأنها أنجبت أفذاذاً من الرجال فهي كذلك..

هلا أكرمتنا ببعضٍ من أسماء لداتك في تلك الحقبة؟

* في المرحلة المبكرة الأستاذ محمد الدريبي وهو الآن مسؤول عن الجمعية الخيرية وهو زميل دراسة، ومحمد أحمد مهدي رحمه الله وقد توفي منذ سنتين، وعماد وهو الآن أحد المستثمرين الكبار.

في الجهة الأخرى.. من تذكر من أساتذتك في الفترة الأولى من حياتك؟

* أذكر الأستاذ أحمد الحربي أطال الله عمره والأستاذ عامر رحمه الله والأستاذ أحمد الزيلعي ومجموعة من الأساتذة الأفاضل، وهناك أستاذ يمني اسمه فارع وكان موسوعة دينية وكنا شغوفين بمستوى وطريقة تدريسه، وكذلك الشيخ محمد عقيل رحمه الله وهو من كبار شخصيات جازان وعلمائها وقد علمنا

اللغة العربية والثقافة الدينية، وكنا لا نكتفي بالتدريس في المدرسة بل ندرس على يديه في المسجد، وكنت أذهب إليه مع الأخ علوي الصافي ونتلقى الدروس في النحو والعروض.

✍ ***هل لي أن أستفهم عن ذلك الأستاذ الذي انجذب التلميذ هاشم عبده هاشم اليه في مرحلته الابتدائية؟***

* كان مدير المدرسة السعودية هو الأستاذ عامر علوان وهو عم إبراهيم علوان رجل الأعمال المعروف، وقد لمس أن لدي اهتمامات ثقافية وبدأ في تشجيعي، وأوجدنا في ذلك الوقت صحيفة حائطية باسم جازان كنت أشترك في تحريرها مع الأخوين الدريبي وعلوي الصافي وكنا نصدرها في المدرسة، وقد تطورت بعد ذلك إلى صحيفة كانت تصدر مرة في الأسبوع مع صحيفة "البلاد السعودية" ونقلناها بعد ذلك إلى جريدة "المدينة" وأعتقد أنها كانت أول صفحة إقليمية في صحافة المملكة ...

✍ ***والله يادكتور لا بد من رصد التواريخ كي نوثق لتلك الأحداث التي تسرد..***

* سبق أن أخبرتك بأن ذاكرتي ضعيفة حيال التواريخ..

✍ ***أمرنا إلى الله.. أود هنا أن تسلط الضوء على ظروف تنشئتك الفكرية والاجتماعية بجازان لا سيما أنها منطقة بعيدة في أقصى جغرافية الوطن؟***

* كما قلت لك فإنني عشت في جازان حتى عمر التاسعة عشرة، وكنت شخصية منعزلة بحكم صغر سني، كان لدي شغف بالقراءة وكنت أقضي معظم الأوقات في البيت وكان يزورني بعض الأصدقاء، كنت أعرض بعض ما أكتبه على محمد أحمد العقيلي ومحمد علي السنوسي وكان لهما دور كبير في تشجيعي حتى على كتابة محاولات شعرية بسيطة في ذلك الوقت، كذلك بدأت أراسل مجلة "المنهل" وكان لي فيها أطروحات ثم جريدة "قريش"، وكنت أتلقى مكافآت على ما أكتبه من أحمد السباعي وكانت تلك أول مكافأة أتقاضاها.

ومع أن علوي الصافي صديق وزميل عزيز، لكن حدث بيني وبينه نوع من النقاش الحاد على صفحات مجلة "الجزيرة" التي كان يشرف عليها آنذاك

الأستاذ علي العمير، وكانت معركة على صفحاتها بيني وبين صديقي علوي الصافي وكان العمير يغذيها، وكلنا من أبناء جازان، وكانت تلك المعركة سبباً في تقوية علاقة الصداقة بيننا.

إذا تحدثنا عن الأساتذة من خارج جازان فكثيرون كان لهم الفضل عليَّ بدءاً بعبدالقدوس الأنصاري الذي كان يتبنى ما أكتبه وأرسله له، وحسن غزاوي رحمة الله عليه الذي أقحمني في صفحة الطلاب، وكذلك عبدالرزاق بليلة متعه الله بالصحة والذي جعلني أشارك في صفحة شباب مع الدكتور محمد عبده يماني وعبدالله الجفري. هؤلاء الرموز كان لهم فضل في تبنيَّ و..

تبني المواهب: الأمانة الضائعة

✍ ***دعني أستطرد معك هنا وأنت تشيد بتبني أولئك الرموز والأعلام للمواهب الشابة، سؤالي هنا: ولماذا تنكرتم لما فعل الأسلاف، ولم يتبن جيلكم المواهب ولم يقم بذات الدور كنوع من رد الجميل كي تمتد مسيرة هذه المدرسة عبر الأجيال؟***

* لا أريد أن أحدّد أشخاصاً بأسمائهم، لكنني أعتقد بأني أسهمت ولو بدور بسيط في تبني بعض الإخوة الزملاء الذين أعتز بهم الآن سواء في الوسط الإعلامي أو غيره، وأخصص جزءاً كبيراً من وقتي لأجل إبراز المواهب والأسماء الشابة وأعتقد أن بعضهم وصل إلى مناصب عليا أسعد بها أكثر منهم...

✍ ***عفواً دكتور.. أطالبك ببعض الأسماء.. لأنه، واعذرني على صراحتي، ومن خلال استقصائي وتجربتي لم أجد لك تلامذة يشعرون بمشاعر التلميذ المتن لأستاذه والذي علمه ألفباءات الصحافة ويدلّ بذلك.. هاك مثالاً للتقريب.. لم أجد أحداً من تلامذتك في وفاء عبدالله الجفري لأستاذه الكبير محمد حسين زيدان. هل من تعليق؟***

* أولاً يا أخ عبدالعزيز، لا أريد أن أبدو كمن يمتن بأنه صنع فلاناً أو ساعد فلاناً، لأن ذلك ليس من خلقي. ثانياً أنا لا أنتظر كلمة شكر من أحد أحسنت إليه يوماً ما. كذلك فإن الكثير ممن ساهمت في وضع أقدامهم على الطريق بدأوا كتلاميذ وانتهوا كخصوم. ربما تكون المشكلة فيّ أنا.. بيد أنني لا ألومهم وأعزو ذلك إلى شيء محدد وهو قسوتي في التعامل مع من أحب لأني أريده كاملاً كمالاً بشرياً، أريده سوياً ومثالياً. هذه المطالب قد لا يحتملها بعضهم. ولكن لا أعتقد أن هناك في دواخلهم جحوداً حقيقياً للدور أو الدعم الذي قمت به أو مواقفي تجاههم وتبنيّ لهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، والأشياء بأسبابها وأنا بدوري وجدت دعم آخرين وأدين لهم بالفضل وأذكرهم واحداً واحداً، ولا أريد من أي ممن ساعدتهم أن يعترف بفضلي أو يشكرني وفي النهاية المسألة تعود للأخلاقيات.

وجواباً لسؤالك لماذا لم تتبن وأنا أجيبك بأنني حقيقة اجتهدت ووقفت بجانب كثيرين وقدمت ما أستطيع، ودائماً ما أتوقع الأسوأ في الحياة، حتى وإن ارتبطت مع أقرب الناس إلي بأوثق العرى فأنا أتوقع الأسوأ، لذلك إذا ما حدث لي ذلك فإنه متوقع فلا أفاجأ ولا أصدم بأحد، وإذا حدث الأمثل والأحسن فإنني أحمد الله.

✍ ***والله يادكتور بإجابتك الشفيفة هذه أغلقت عليَّ باحتراف محوراً كنت متزنراً لك بألغام وأسئلة مشاكسة..***

* أنا أعرف الذي يدور في ذهنك وما تجهزت به (قالها ضاحكاً).

✍ ***لن أدعك على الأقل، وأتساءل عن ما ذكرته في إجابتك الأخيرة عن الصرامة والشدة التي تتميز بها. كل من عمل معك شكا مرّ الشكوى من هذه الصرامة الشديدة الأقرب للعسكرية، بل حتى عندما دخلت أنا لمبنى "عكاظ" قبل قليل تعرضت للتفتيش الشديد، ولكأني إزاء ثكنة عسكرية وليس مبنى لمؤسسة إعلامية ثقافية. ما سبب ذلك؟***

* أنا أؤمن بالنظام والمستقبل وأن الإنسان رغبات وطموحات. ولدي مبادئ تتمثل في أنه لا يمكن الجمع بين الرغبة والطموح. الطموح بناء وجدّ واجتهاد ومثابرة واتزان بينما الرغبة هي نوازع وغرائز ويطغى عليها تغليب الخاص على المصلح حتى للانسان. أنا أتحيز للمستقبل وأن يكون الإنسان جاداً وقوياً، ولا يمنع ذلك وجود الرغبات والأمنيات، ولكن لا ينبغي أن تكون هذه الرغبات على حساب العمل والواجب والمسؤوليات. في الحقيقة هنا أصطدم مع كثيرين. فعندما تتغلب الرغبة على الطموح يبدأ الصدام. أنا أريد أن يكون الإنسان متحيزاً لطموحه ومستقبله وهو يريد أن يجمع بين الطموح والرغبة وهذا أمر مستحيل في نظري. أنا لا أطالب هنا بأن يلغي الإنسان رغباته وطموحاته فنحن بشر وفي حياتنا الكثير من السقطات، ولكن لا ينبغي للرغبة أن تطغى على الطموح. من هنا يبدأ الخلاف بيني وبين الاخوة.

الأمر الآخر، هو أنني أؤمن بأن العمل مرتبط بالضمير والواجب مسؤولية، ولا يجب أن يؤدى العمل على أساس أنه شيء مقابل شيء. عندما أدخل إلى هذا المكان ينبغي أن أفصل نفسي عن العالم الخارجي وعن مشكلاتي وعن أزماتي وظروفي، لذلك لا أعرف تقريرًا طبياً أو مرضياً أو غياباً مفاجئاً أو أعذاراً..

يا ساتر.. يادكتور..

* (ضاحكاً) هذا الجانب العسكري الذي تقول به يرجع لإيماني بأن لدى الإنسان قدرة وطاقة ينبغي الاستفادة منها. المبررات والمسوغات تضعف أداء الإنسان والتزامه تجاه نفسه وعمله ووظيفته.

إذا سلمنا بنظرتك (العسكرية) هذه دكتور.. فكيف تفلسف لنا النظرة التشاؤمية التي ذكرتها للتو في إجابتك؟

* الإنسان بطبيعته ميال إلى التعاطف مع رغباته وغرائزه، ولذلك لا أتوقع دائماً أن يكون هناك إنجاز أو عمل أو جدية أو عائد يرجى من وراء هذا الإنسان،

ولكنني أتعامل على ضرورة تغيير ذلك والسلوك. إذا حدث وأن عمل الإنسان واجتهد وأعطى سأفرح له وأدعمه بشكل أكثر. في سلوكنا كبشر هناك تناقض كبير. صحيح أن الإنسان بشر ويحمل خيراً وشراً ورغبة وطموحاً وعملاً ورجاءً ولكن النزوات تطغى على الطموح. فلماذا لا يتشاءم الإنسان؟

* وما دمنا في الحديث عن فلسفة السمات.. أريد أن أعرف أسباب الانعزالية التي تتميز بها والتي ذكرت أنها كانت إحدى سماتك في جازان، وأنا أضيف عزوفك في راهن الآن عن المنتديات الاجتماعية و تلبيتك للمناسبات العامة في جدة، بل أبعد من ذلك دكتور، في سفرياتك ومهماتك الرسمية تجلس منعزلاً في غرفتك ولا تحتك برؤساء التحرير الآخرين، ما سبب ذلك؟

* أنا أؤمن بقيمة الوقت وبعمر الإنسان. في رحلاتنا الخارجية وبالذات الطويلة التي قد تمتد إلى ست أو سبع ساعات فإنها عادة ما تُقضى في النوم أو لعب الورق. أنا متعتي في أمرين، إما القراءة أو كتابة المذكرات والتحليل أو التخطيط للجريدة، ولذلك كل زملائي يلاحظون ذلك من صعودي للطائرة فأوراقي وقلمي بجانبي. يمكن أنْ يُسمى ذلك عزلة أو استثماراً للوقت أو نمطاً معيناً من التعامل مع الوقت. ولكن من تركيبتي الشخصية فأنا لست مرناً في التعامل مع الآخرين، وأشعر بأن لدي شروطاً في اختيار الآخر وهي ليست محددة ولكني لا أجد المرونة في استيعابه.

عندما وجدت نفسي في الصحافة والإعلام ورئيس تحرير، فرض علي الموقع أن يكون للإنسان علاقات، لذلك وجدت نفسي مشغولاً بالتخطيط للمستقبل والوظيفة وترتيب حياة الأبناء، وهذا يحتاج لأن يجلس الواحد مع نفسه ويستثمر وقته.

بالنسبة لمنتدياتنا، الأحدية الثلوثية الخميسية، حقيقة أنا لا أذهب إليها ولا يوجد لدي سبب سوى عدم توفر الوقت وعدم الاستعداد النفسي.

✍ ***ولكن في نقطة الاستعداد النفسي تحديداً، أحد المتابعين لمسيرتك يعزي السبب في عزوفك عن الذهاب إلى تلك المنتديات والدوريات الأسبوعية إلى هروبك من منتقديك وخشية مواجهتك لخصومك الكثيرين المبثوثين في هذه المجالس والذين سيحرجونك في تلك الصوالين؟***

* (مبتسماً) أولاً لا بد أن نتفق على أن لكل إنسان محبين وكارهين. بالنسبة لي ليس لدي خصوم، ولا أعتبرهم خصوماً إنما أصحاب رأي وموقف. هم أحرار ومن حقهم أن يتخذوا تلك المواقف، ولكني في المقابل أسعد بأن لدي محبين كثيرين. أما السبب في عزلتي فيرجع إلى عدم توفر الوقت فقط.

سرّ الهروب من العمر

✍ ***أستأذنك بالعودة مرة أخرى إلى جازان، ونريد منك أن تحدد لنا بالضبط متى انتهيت من المرحلة الابتدائية؟ وضروري جداً تحديد تاريخ ما نتحدث، وبصراحة دكتور لا أدري سبب هروبك من ذلك وقد ذكرتني بالدكتورة النبيلة عزيزة المانع التي هربت من ذكر تاريخ ميلادها وأصرت إلى نهاية اللقاء على عدم ذكره رغم محاولاتي الالتفاف عليها ولكن عبثاً..***

* (ضاحكاً بشدة) أبداً لست مثلها. وطالما وصل الأمر معك إلى هذا، فسأفصح لك عن سرّ مسألة العمر الذي تبكّت. عندما كنت في جازان ووقتما كنت طالباً في المرحلة الابتدائية، كانت المدرسة قريبة من مصلحة الجمارك التي يعمل فيها الوالد، وكانت المسافة عبارة عن خطوات. كنت أذهب وأعمل مع الوالد من بعد نهاية الدراسة وحتى نهاية الدوام. دخلت في أجواء العمل منذ وقت مبكر. كنت أزن البضائع وكنت أعمل في وظيفة اسمها (مشدّي) وهي تدوين أدوات وحضور العمال. كُلِّفت بهذه المهام وأنا صغير في الصف الرابع الابتدائي. اشتغلت كذلك حارساً في مستودعات الجمارك في ذات المرحلة، وكنت سعيداً جداً بهذا العمل. مدير الجمارك في ذلك الوقت كان يدعى عبدالله العمير

رحمه الله، وقد لفت نظره وجودي فسأل عن ذلك الولد الصغير فقالوا له إنه ولد المحاسب عبده هاشم فكلم الوالد وأدخلوني في وظيفة رسمية هي (كاتب). كانت سني حوالي ١٤ سنة كنت أعمل في وظيفة رسمية. جاء مفتش من المديرية العامة للجمارك ورأى فتى صغيراً يعمل فسأل بدوره فأخبروه. في ذلك الوقت كان السعي للحصول على الحفيظة وقد حصلت عليها ولا أدري كيف كان ذلك. لم تكن هنالك شهادات ميلاد وقدروا أن عمري ١٨ سنة بينما كانت سني الحقيقية ١٤ سنة وكان الميلاد الذي كتبوه ١٣٥٩هـ.

لذلك من بعد السنة الأولى الثانوية لم أكن طالباً فقط أو موظفاً فقط إنما كانت كل حياتي دراسة مع عمل آخر إلى قبل سنتين فقط أو ثلاث تفرغت لعمل واحد فقط. ربما يكون هذا سبباً في الجدية في العزلة في تنظيم الوقت.

✍ ***سيرة كفاح ولا شك.. نعود إلى المرحلة المتوسطة، أين درستها؟***

* في جازان أيضاً بمدرسة معاذ بن جبل، وبقيت هناك حتى السنة الأولى الثانوية.

✍ ***مَنْ مِن أقرانك بالإضافة إلى علوي الصافي الذي مرّ ذكره، هل هناك آخرون؟***

* لا أذكر.. لم يكن هناك أشخاص بارزون.

✍ ***وماذا عن الأساتذة الذين تأثرت بهم في تلك السن، وهي سن يبحث فيها الطالب عن أنموذج يقتديه ويستلهمه. هل من أستاذ أثّر في شخصيتك أو وجّهك فكرياً؟***

* الشيخ محمد عقيل أستاذ اللغة العربية والدين، وكان لا يكتفي بتدريسنا بل شجعنا على أن نفكر ونقرأ. وللآخرين أيضاً أدوار لكن دور هذا الرجل كان أساسياً.

✍ ***لا أدري دكتور.. يخيل إليّ أنه حتى هذه الفترة كانت تنشئتك وتكوينك الفكري محافظاً ودينياً نوعاً ما، هل أنا مخطئ؟***

* صحيح لأني وجدت نفسي في بيئة تقرأ وتحثّ على الصلاة والصوم وأنا بدأت الصيام في سن الثامنة، وكنت عندما أرى بعض العمال وهم يفطرون أخبر الوالد. لكن لم يكن تديناً شديداً يصل حدّ الانغلاق بل كنت إنساناً عادياً لديه ثوابت.

شخصيات وكتب في حياة هاشم

واذن ما هي الكتب التي كنت تقرأها وتحرص عليها خلال تلك الحقبة؟

* كما ذكرت لك من قبل فقد كنت أقرأ الكثير ولكن الذي جذبني في ذلك الوقت الذي نتحدث هو المنفلوطي مثل العبرات والنظرات وهي التي انتقلت بي وبأسلوبي...

آه.. عرفنا دكتور سبب مسحة التشاؤم خاصتك.. من المؤكد أنها انبثقت من وحي قراءتك للمنفلوطي..

* (ضاحكاً بشدة) ربما.. وكذلك الرافعي أيضاً و قرأت سيرة ابن هشام وكنت أتمعن فيها وكتبت سلسلة عن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجاته في مجلة الجزيرة.

لا أدري، ولكن بودي سؤالك عن صدى الحركة الثقافية المصرية في جازان إبان ذلك العهد والتي كانت حاضرة بقوة في الحجاز نسبة للقرب الجغرافي والنهضة الثقافية والسياسية التي بها.

* بالرغم من اهتماماتنا الثقافية المبكرة، إلا أن مكتبة واحدة، فقط في دكان صغير، كانت في جازان. وكانت تأتي سيارة أسبوعياً تحمل كمية قليلة من الصحف والمجلات، وكنا نقبل عليها بشدة، وكانت هذه الإرسالية ترسل من جدة وتصلنا بعد ١٤ يوماً بالسيارة. كانت البيئة محدودة ومع هذا كان لدينا تواصل مع العالم ومع مجلات مثل "المصور" و"الكواكب".

أذكر أنني عندما وصلت إلى جدة بدأت أطلع على مجلة سعودية مصورة لدي نسخة منها وهي أول مجلة سياسية. وبالطبع توقفت الآن كان يصدرها.. لا

أذكر التواريخ والأسماء... ربما كان رئيس تحرير المجلة اسمه مدني بن حمد وكان مهاجراً ويعيش في مصر وكانت له آراء معينة وتبنته الحركة الناصرية...

الصراع السياسي والناصري

✍ ***ما زلت أحاول أن أبقيك في جازان. كيف كان الجو السياسي في تلك الحقبة؟ وهل من وعي للفتى آنذاك هاشم عبده هاشم يدرك به الأحداث السياسية المعاصرة وخصوصاً أن تلك الحقبة شهدت أوج الصراع الناصري السعودي فضلاً عن صراع الإمام يحيى حميد الدين وآثار الأدارسة في جازان..***

* أعتقد أن المنطقة كانت متقدمة في وعيها السياسي والفكري. منذ وقت مبكر كنا ندرك هذه المشكلات والتوتر الشديد بين المملكة واليمن بسبب وجودنا على الحدود، في المدة التي سبقت قدومي إلى جدة حصلت الثورة وانقلاب الجمهوريين وضرب عبدالناصر لأبها وجازان. كان هناك وعي سياسي غير مؤدلج، ولا يشكل انتماءً للحركة الناصرية أو غيرها، بل متابعة من خلال صوت العرب وما يثيره أحمد سعيد من حماس في نفوس الناس بشكل أو بآخر بطريقته الغوغائية، وكان يشد الناس إلى حدّ أنني كنت في كل يوم خميس أذهب إلى ساحل البحر ومعي الراديو في الصباح وأسمع الأخبار والتحليلات، وكنت أراسل في ذلك الوقت إذاعة لندن وإذاعة عدن مراسلات بريدية وصوتية (بريد المستمعون) و(ليلى طنوس) في إذاعة عدن من ذلك الوقت. كانت المنطقة بسبب العزلة الجغرافية تبحث عن متنفس من خلال وسائل الإعلام...

✍ ***ولكن السؤال تحديداً هنا: هل وُجد في منطقة جازان قوميون مؤدلجون يهتفون لعبدالناصر كما هو الحال في الحجاز ونجد وحائل؟***

* كنت صغيراً في ذلك الوقت، والمنطقة بطبيعتها مسالمة جداً ولم يكن هناك موقف سياسي معين. إنما تفتح سياسي لم يصل حدّ الأدلجة والتمسك بموقف معين بل الوعي بقضايا الأمة دون تحديد موقف مع أو ضد.

✍ ***وأنا إزاءك الآن بعد كل تلك السنوات.. كيف تقيم الحركة الناصرية بعد أن انجلى عنها الغبار بصفتك معاصراً لتلك الحقبة؟***

* تنبغي الإشارة إلى أن الناصرية استطاعت أن توجد حساً في التفكير خارج الإطار الإقليمي، وهذا بحدّ ذاته وعي إضافي اكتسبه الإنسان العربي. لا ينبغي أبدا إغفال هذه الحقيقة ونحن نحلل ونقرأ لهذه الحركة. وذلك بالرغم من أن الناصرية التي ظهرت في عام ١٩٥٢ دخلت في إشكالات وصراعات عديدة ومشكلات معروفة حتى مع المملكة. لكنها فتحت الأذهان على قضايا وطنية وتفكير قومي وأوجدت نمطاً من التفكير خارج الحدود التي كانت معروفة وهذا في حد ذاته بُعد جديد.

✍ ***دكتور.. أنت هنا ذكرت الميزة الأساسية وما استطاعت الناصرية أن تبثه في وعي الشعب العربي كله، لكن الموضوعية تقتضي منك أن تذكر ما لها وما عليها؟***

* إذا أردت أن نقيم التجربة الآن، فلا بد من القول إنها كانت تجربة لها ظروفها في ذلك الوقت وخروجها من ربقة الاستعمار، وكان لا بدّ للمواطن العربي أن يفكر أساسا بشكل مستقل يعتمد فيه على واقعه وخصائصه وحقه في التفكير في الحياة والحرية، وكان ذلك قيمة في مقاييس ذلك الوقت. ولكن ثبت فيما بعد أنها بالغت في الشعاراتية. كان ما يُطرح من شعارات شيئاً وما يُكتسب على الأرض شيئاً آخر. أيضا أولويات الإنسان العربي قد اختلفت وبدلاً من أن يفكر في أكله وشربه وحياته وتأسيس مؤسسة أو أسرة أو بيت بدأ يفكر في أمته وفي مجتمعه وهموم عالمه. محاولة القفز هذه كان أساسها هزيلاً وضعيفاً ولذلك حدثت حالة من التمزق في حقبة الستينيات التي كانت بها هزات شديدة لم نشعر بها إلا فيما بعد وتحديداً في ٦٧م وأدركنا حينها أن الأساس هزيل وأن ما حصل هو تفريغ للإنسان العربي وإبعاده عن واقعه.

✍ ***ما زلت وأنا من جيل تال لم يدرك تلك الأحداث، أتساءل عن انجذاب كثيرين في المجتمع السعودي للناصرية. هل لأنها لامست أوتار العاطفة وأجّجت***

المشاعر القومية أم بسبب الآلة الإعلامية التي كان يمتلكها عبدالناصر، بالرغم من أن خصمه الرئيس هو عملاق له كارزميته وشخصيته القوية وقصدت الملك فيصل يرحمه الله؟

* الإنسان بطبعه ميال إلى التجاوب مع أي طرح جديد. الطرح القومي الذي تقدم به عبدالناصر كان يتجاوز حدود المعلوم ورافقته حملة إعلامية ضخمة. سأروى لك حادثة حصلت في جازان ربما تلخص لك الإجابة. أحمد سعيد الذي أصبح مهرجاً إلى أن توفي، أذكر أن أحد البدو أتى إلى أحد المحال التي تباع فيها أجهزة الراديو وقال لصاحب المحل إنه يريد الراديو الذي به أحمد سعيد المصري الذي يتحدث، ولم يكن الوقت هو الذي يذاع فيه صوت أحمد سعيد فرفض البدوي أن يشتري الراديو. فطلب منه صاحب المحل أن يحضر في الساعة السابعة ولما حضر أدار له الموجة التي يتحدث فيها أحمد سعيد فوافق البدوي على شراء الراديو عندما سمع صوت أحمد سعيد. هكذا كان التأثير وهذا يدل على وجود أمية حقيقية واستعداد نفسي لتلقف الأفكار الجديدة دون أساس متين وقوي. قاعدة التوعية السياسية كانت ومازالت ضعيفة، لذلك أي مشروع أو فكر من هذا النوع سيروج ويتلقف بسهولة والسبب هو عدم وجود تحصين كافٍ ولا يوجد الأساس والقاعدة لتوعية سياسية تقوم على أساس قدرة الإنسان على التفكير والتحديد والاختيار. ومؤكد إذا حصل نوع من الطرح القوي يتم مباشرة نوع من الاستلاب للتفكير.

جازان.. الإقليم المنسي

أعود مرة أخرى ورابعة إلى جازان، وأتساءل عن سبب التكرار الموسمي للكوارث فيها، فمن حمى المتصدع إلى السيول الجارفة.. هل السبب برأيك أن منطقة جازان لم تأخذ حظها من التنمية مثلاً؟

* مثل هذا الأمر يحتاج إلى مراجعة، وهناك كثير من المناطق في الأطراف غير جازان تحتاج إلى مزيد من التنمية. وأذكر عندما كنت في الشؤون المحلية بجريدة "المدينة" وكان هناك الأستاذ عبدالحميد الدرهلي مسؤول وزارة التخطيط في جدة وكنت على صلة به، وأذكر أن في الخطة الأولى في عام ١٣٩٥هـ ظهرت خطط إقليمية ضمن خطة التنمية، ولو تم تطبيق تلك الخطط الإقليمية لكانت هناك خطة متوازنة أنعشت كل الأطراف البعيدة بما فيها مناطق الشمال والجنوب. وأنا أتساءل أين هذه الخطط ولماذا لم تترجم؟ لأن الواقع الموجود يؤكد ويشير إلى أن هذه المناطق لم تأخذ حظها تماماً من التنمية، وبالتالي من الطبيعي أن تحدث فيها مثل هذه المشكلات أو الحالات البيئية والصحية أو الزراعية أو التعليمية.

هنا دكتور بودي الإشارة إلى تباكي كثير ممن يسمون بالإصلاحيين أو من ذوي الانتماء الليبرالي على وضع إخوتنا الشيعة في الشرقية والمناداة بمنحهم حقوقهم. هناك من يصف هذا التباكي بأنه نوع من الانتهازية والميكافيلية السياسية ويقولون بالمقابل لماذا لا يتباكى هؤلاء على ساحل تهامة كله ومنطقة جازان بالذات التي لم تأخذ حقها من التنمية. كيف تعلق دكتور هاشم؟

* ذكرت لك أن غياب خطط التنمية الريفية أو تنمية الأقاليم هي التي أدت إلى وجود تباين كبير جداً في خطط التنمية بين تلك المناطق ومناطق المملكة الرئيسية مثل جدة والرياض والدمام، ونحن في حاجة فعلية للعودة إلى تطبيق برامج التنمية، القضية ليست قضية شيعة أو إسماعيلية أو جنوب أو شمال أو شرق أو غرب بل هي قضية رؤية تستوعب احتياجات حقيقية لمناطق مأهولة بالسكان لها احتياجات على المستوى الصحي والتعليمي وغيرهما، وأنا لا أتحدث فقط عن منطقة جازان بل هناك مناطق أخرى تحتاج إلى التنمية، وأنه آن الأوان فعلاً لذلك. وأذكر أنه تمت الإشارة بتركيز في الميزانية الحالية إلى خطط متوازنة للتنمية تركز على المناطق البعيدة.

✍ ***أيضاً بالنسبة لجازان، هناك أمر لافت دكتور هاشم فيها.. ألا وهو غنى المنطقة بالشعراء والأدباء والمواهب بشكل غير معهود في مناطق أخرى.. أنت ابن المنطقة هلا أجليت لي الأمر؟***

* هذه المسألة تحتاج إلى دراسة.. نعم هناك أدباء وفنانون ومثقفون وفي كل ضروب الثقافة وهي منطقة ثرية وغنية. وأعتقد أن التعليم وصل إلى المنطقة في وقت مبكر وساعدها في تنمية هذه المواهب. هناك رواد كالقرعاوي والحكمي صنعوا تاريخ المنطقة، لذلك لا أستغرب وجود هذا الزخم الثقافي لا سيما وأن الشعور بالعزلة أدى إلى التعويض.

جحود الأبناء

✍ ***سامحني على هذا السؤال الذي لا بدّ لي من طرحه دكتور.. هناك تهمة تطالكم.. وهي أن الإخوة الجازانيين الذين هاجروا من جازان وتسنموا مناصب عليا قد أعطوا ظهورهم لمدينتهم ولم يكونوا أوفياء أبداً لها.. إلى الدرجة التي يخجل بعضهم من الانتساب إليها، ربما بسبب الخلل الاجتماعي والفوقية التي تتعامل بها بعض المناطق وتلك النظرة الدونية التي ينظرون بها لمنطقة جازان.. أتوسم فيك تقبلك للسؤال وتعليقك.***

* يخجل!! هذا ليس مواطناً صادقاً. لا أعتقد أن هناك مواطناً صالحاً عاقلاً يخجل من المنطقة التي ينتمي إليها وولد فيها. وإذا كنت تلمح إلى أسماء معينة فلهؤلاء أسبابهم وربما لم يكونوا أصلاً من المنطقة. ولذلك ليس غريباً أن يتنكروا لها. الأصيل أصيل والعكس صحيح أيضاً. كوننا خرجنا بأعداد كبيرة من المنطقة إلى مناطق أخرى بالمملكة وأخذنا مواقع ولم نقدم شيئاً للمنطقة فهذا صحيح...

✍ ***جميل هذا الاعتراف منك دكتور..***

* نعم، حق المنطقة أكبر بكثير ولكن ليس شرطاً أن يكون الجهد معلناً. وأنا أتحدث عن نفسي وأقول إنني حاولت أن أستثمر علاقاتي سواء مع مسؤولين أو رجال أعمال في أوقات متفاوتة لتقديم خدمة أو تفكير في مشروع أو لفت النظر إلى أوجه قصور، وهذا الجهد في حدود ما أستطيع ولم يكن هناك داعٍ للإعلان عن ذلك الجهد أو التعريف به.

الجانب الآخر أنني حاولت أن أدعم وأبرز عناصر من أبناء المنطقة موجودين خارجها من خلال الوسيلة الإعلامية التي أعمل فيها والمواقع التي أعمل بها سواء في مجلس الشورى أوفي أي مكان كان. في بعض المناسبات كان لي جهد في أن أستقطب عدداً من الشخصيات لزيارة المنطقة من جدة والرياض وغيرهما. عندما جاء الأمير محمد بن ناصر كان هناك جهد مشترك بيني والدكتور مدني علاقي.

هذا هو جهدنا وربما يكون قليلاً. ولكنه لإثبات وتأكيد حسن المواطنة، ربما تسألني لماذا لم أعمل هناك وأضع يدي في يد الآخر...

سؤال مشروع وفي مكانه وأزيد لماذا لم تخدم جازان عبر إنشاء صحيفة خاصة بها، بمثل صحيفة " الوطن" التي خدمت منطقة عسير؟

* هذا ليس قراري كشخص. الصحيفة تحتاج إلى رأس مال وهناك دائماً تفكير رافض لمبدأ إيجاد صحيفة إقليمية في مناطق بعيدة من مناطق المملكة لا سيما بعد إغلاق صحف "الخليج" و"القصيم" وغيرهما من الصحف الفردية من أزمنة بعيدة. لم يُستأنف هذا التفكير إلا بعد صدور جريدة "الوطن" والتي رفضت مبدأ أن تصدر كصحيفة إقليمية وحتى اسم الوطن تم اختياره للتأكيد على أنها لا تعبر عن رأي إقليمي. لكن غدا إذا كانت هناك نية في إصدار صحيفة في جازان فأنا أول من سيوافق على العمل فيها، وأؤكد لك أن هناك العناصر الجاهزة لإصدار صحيفة قوية من منطقة جازان سواء من الفنيين والتحريريين

والإداريين من خلال انخراط عدد كبير منهم في مؤسسات صحفية. السؤال الأهم هو هل توجد الإمكانيات؟

من خلال تعليقك الأخير، سأنتزع جملة منه من باب (من فمك أدينك)، وأواجهك بها دكتور.. وهي أنك تعترف صراحة بممارستك نوعاً من (الجوزنة) لمؤسسة عكاظ. وهي تهمة يرددها الأخصام بأنك لطالما (جوزنت) الصحيفة ومارست نفوذك لأجل ذلك. ما هو تعليقك؟

* بالمناسبة، هذه التهمة كانت توجه للشيخ وزير المالية السابق محمد أبا الخيل بأنه (قَصيم) وزارة المالية وبالتالي فكل من يعمل في وزارة المالية فهو من القصيم. لا أعتقد أن كل من يعملون في مؤسسة عكاظ من أبناء جازان، هناك الحربي وهناك الغامدي والمكاوي ومن أبناء جدة. لا شك أن هناك عدداً كبيراً من أبناء جازان في عكاظ، وأنت بنفسك ذكرت أن هناك عددا كبيرا من أبناء جازان يعملون في المؤسسات الصحفية المختلفة ومنهم عدداً كبيراً في صحف "المدينة" و"الرياض" وهم موجودون كذلك في كثير من الأندية الرياضية، ثلاثة أرباع نادي النصر من أبناء منطقة جازان وكذلك في الأهلي والاتحاد لهم وجود كبير. المشكلة ليست في أن "عكاظ" استقطبتهم وإنما في أن أبناء جازان متحركون وموجودون في كل الساحة خارج نطاق منطقتهم. في النادي الرياضي وفي المؤسسة الصحفية وفي المؤسسات والشركات التجارية وكذلك في القوات المسلحة كذلك. حوالى ٨٠٪ من الجنود من منطقة جازان فهل نقول إنها تجوزنت؟ أبناء جازان لديهم طاقات وإمكانيات وعندما يجدون الوسيلة التي يمكنهم العمل فيها يظهرون. لا أعتقد أن هناك وظيفة تقدم لها جازاني أو قصيمي أوجداوي وتم استبعاد أحد لاختيار الجازاني. هناك إقبال من أبناء جازان على العمل في كل المجالات وهناك فرص استوعبتهم وأثبتوا وجودهم وأكدوا أنهم قادرون.

لا أعتقد أن صحيفة "عكاظ" أعلنت في يوم من الأيام أنها تحتاج إلى عاملين في الطباعة من منطقة جازان مثلاً. ربما بحكم وجودي هناك شباب من جازان يتوسمون في وجودي بالصحيفة لدعمهم ولكن هل المسألة تزكية أبدية؟ بالتأكيد لا وهناك من لم يثبت وجوده وخرج من "عكاظ".

✍ ***ولكن لو تمعنا في اختياراتك دكتور للإخوة الذين استقطبتهم من جازان، لكأن الاختيار من فئة فكرية ضيقة فقط مع أن المجتمع الجازاني أوسع من ذلك؟***

* كيف؟

✍ ***أسماء الزملاء العاملين معك لو استعرضناها، لوجدناها تميل إلى الانفتاح والليبرالية. مع أن جازان تضم شريحة محافظة وإسلامية عريضة، فلماذا هذه الانتقائية؟***

* عبدالمحسن اليوسف وأحمد عائل فقيهي وبقية الزملاء لديهم أدوات التفكير المهنية، وهم فرضوا أنفسهم واستمروا حتى الآن في "عكاظ". لا أعتقد أن المسألة تعتمد على جازاني أو قصيمي أو ما شابه ذلك. مسألة إمكانات تفرض نفسها تستمر أو لا تستمر.

د. هاشم عبده هاشم في ثاني مكاشفاته:

من الوهم والخيال تصديق أن الصحافة لدينا سلطة محاسبة أو قوة مؤثرة لأن ذلك نظرة استعلائية غير واقعية

- الصحيفة ينبغي أن تفكر في المستقبل.. والمستقبل إذا كان ليبرالياً فعكاظ كذلك.
- سيكون من الظلم لقينان الغامدي أن أحكم عليه كرئيس تحرير لأن لها شروطاً عديدة.
- علاقاتنا بالمسؤولين ومنهجنا بالدفاع عن البلد أعطيانا الانطباع بأن صحيفة "عكاظ" رسمية.
- إذا نصَّب الكاتب نفسه في خانة الولي والوصي والحاكم وبدأ يشرِّع ويصدر فتاوى ويجرّم هنا أختلف معه.
- لا أعتقد أن هناك حاجة لأن نسمي أنفسنا ليبراليين، فأنا مع الانفتاح وضد الانغلاق ومحاصرة الإنسان في اختياراته ورغباته وتفكيره.
- كنا نحاول عبر تبنّينا الحداثة أن نضيء مناطق معتمة ولم تكن عيباً أو جريرة بل ثبت الآن أننا كنا بحاجة إليها.
- الرأي المضاد للحداثة هو المسيطر في المجتمع تفكيراً وممارسة وإعلاماً، وكان هو الذي لا يسمح للآخر بأن يأخذ حقه في التعبير.
- سعيد السريحي لم يفتح الصنبور للحداثة لأنها رغبته ولكنها قناعة كلية بأن هذا أفق ينبغي أن يُفتح ولكن ليس على حساب الآخر.
- لم نقم بفبركة أحداث حرب الخليج بل أثبتت الأحداث أن ما قلناه هو الذي تحقق.
- ليست لدينا خصومة مع التيار الإسلامي وإنما هي حالة نفسية وحكم مسبق منهم.
- السياسة الإعلامية لم تحدد بأنه يمنع منعاً باتاً نشر صور المرأة السعودية بل هي أطر عامة وأنت تجتهد.

_ _

_ _

* نشر الحوار في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٢/ ١ / ١٤٢٦ هـ الموافق ١١ فبراير ٢٠٠٥ م

بين يدي مكاشفات

- اعتبر مقربون من الدكتور هاشم عبده هاشم ما قرأوه في الحلقة الماضية من (مكاشفات) إنجازاً صحافياً كبيراً، وفسروا موقفهم ذاك بالقول إن مجرد موافقته على إجراء هكذا حوار واستماعه وتقبله، وهو رئيس التحرير الأشهر في المملكة، لمثل تلك الأسئلة التي طالعوا هو إنجاز بحد ذاته... ليت شعري ما الذي سيقولونه بعد مطالعة هذه الحلقة!!.
- ولأن قراءً من محبي الدكتور أو مناوئيه على حدّ سواء يطالعون ربما لأول مرة (مكاشفات)، كان لزاماً على معدّها أن يمهّد لهذه الحلقة بشرح طريقتها كي لا يلتبس الأمر عليهم وهم يطالعون سجالاً ساخناً أو معركة أسئلة وأجوبة يمكن أن تبث الوهم بأن الأيديولوجيا هي أرضيتها وليست المهنة وما تتطلبه من تشويق وإثارة.
- انبثقت (مكاشفات) من أزمنة صحيفة (البلاد) إبان إشرافي على عددها الأسبوعي، وارتكزت فكرتها على حشد جملة من الاتهامات التي تطال الضيف، سواء في جوانبها المتعلقة بالفكر أو الأداء العام بكل جوانبه، وتدور حوله بمنحنيات تنتظم كل خصومه من مواقعهم المختلفة، ولا تنحشر أبداً في فئة واحدة، بما تنصرف إليه أذهان البعض بسبب الرؤية الفكرية لصاحب المكاشفات. ولعل في (المكاشفات) التي بين أيديكم مثالاً لذلك، فقد جوبه الضيف بتهم أبناء المنطقة التي ينتمي فضلاً عن العاملين معه وأولئك الذين شرّدهم من محرريه ومآخذ أعضاء مجلس الإدارة في صحيفته، إضافة لموقف التيار الإسلامي منه وآخراً وليس أخيراً موقف أولئك الإصلاحيين منه ومما يفعل.
- يستغرق الإعداد لأية حلقة من (مكاشفات) مدة لا تقل عن ثلاثة شهور. يقرأ معدها أكبر قدر ممكن من نتاجات الضيف الفكرية وسجله المهني وإنجازاته إن كان ثمت، ويجدّ في البحث عن كل ما كتب من نقد موجه لضيفه، ويحاول الاتصال بكل الشخصيات القريبة والمحبة له وكذلك العاملين معه فضلاً عن تلك التي لها مواقف خصومة ضده، وهؤلاء الأخيرون هم الفئة التي نفيد منها بشكل

كبير. وفي هذه المكاشفة التي بين أيديكم اتصل المعدّ بأكثر من ٢٥ شخصية من تلك الفئات التي ذكرت.

- يسوق معدّ المكاشفات أثناء لقائه بالضيف جملة المآخذ والاتهامات التي حشدها بعد سبر تاريخي هو جدّ مهم لمن يتابع ويرصد فكر الضيف، فظروف التنشئة الاجتماعية ومراحل الطفولة التي تعتبر فعلاً عاصمة العمر، فضلاً عن القراءات التي تكوّن منها فكره، هي ولا شك عوامل مهمة في رسم صورة واضحة وربما مكتملة لضيف (مكاشفات).

- يتبنى المحاور كل تلك المواقف ضد ضيفه ويساجل عنها بكل قتالية كما لو كانت قضيته الشخصية. وقد تلقيت بعد الحلقة الأولى شكر كثيرين من العاملين في "عكاظ" ممن قالوا بأنك بحت بما في نفوسنا وأوصلت ما يعتمل في صدورنا ودعونا والله لك. في تصوري فإن السجالية في الحوار هي ما يعطي (المكاشفات) روحها، وإلا لكان الحوار مجرد مادة دعائية باردة من ذلك اللون الذي كنا نطالعه في تلك الأزمنة الكالحة لنفر المرتزقة من الكتّاب والمحررين.

- أنتهي بأهم أركان (المكاشفات) والتي من خلال تجربتي لمست أنها الركن المتين وزاوية النجاح الرئيسة فيها، وقصدت تلك التعقيبات التي تنهال على الصحيفة من لدن معارضي الضيف الذين يعطون الحوار أهمية وعمقاً، والصحيفة شهادة مهمة بالموضوعية والمصداقية تكسبها قراء يحرصون عليها مهما اختلفت رؤاهم معها، وما يؤكد هذا البعد هو المصداقية المحدودة في صحافتنا مع الأسف الشديد، زاعماً بأن غياب صوت الرأي الآخر ثلمة كبيرة لكل الحوارات الصحافية، وحتى ذلك البرنامج الفضائي الذي استنسخ فكرة (المكاشفات) لم يكتمل نجاحه بسبب هذا الركن الأساسي الذي لا يبلّ شوق القراء إلا به.

• **ختاماً**، أتمنى ومعي محبي (مكاشفات) أن تحظى هذه الحلقات مع الدكتور هاشم عبده هاشم بمداخلات راقية وعميقة. إلى الحلقة الثانية.

* **عبدالعزيز قاسم**

أستأذنك دكتور بأن نبقى في البيئة الصحفية، ونستكمل لاحقًا مسيرتك في المرحلة المتوسطة وما بعدها. بودي ابتداء استشراف رأيك عن أبرز رؤساء التحرير الذين مروا عليك.. لو حددت لك من حقبة الثمانينيات الهجرية؟

* كان حسن قزاز هو العلم الذي يحلم الإنسان أن يلتقي به، هؤلاء رموز نحلم أن نجلس معهم. محمد حسين زيدان والقزاز وأحمد السباعي. لكن كممارسة استفدت من عزيز ضياء ومن عبدالعزيز عنبر ومحمد علاقي وعبدالله القصبي برغم أن الأخير كان مديراً عاماً، إلا أنه كان يتدخل في التحرير. كل الذين مروا على الصحف وعملت معهم لهم طرقهم الخاصة. كذلك عملت في "البلاد" وكان محمد حسن فقي مدير عام المؤسسة إذّاك، وأتذكر الشيخ علي شبكشي الذي لم يتحمس لعملي معه في البداية نظراً لصغر سني، لكنه فيما بعد أصبح بمثابة الأب الروحي لي.

لا أنسى أبداً الأستاذ محمد صلاح الدين والذي كان الحالة المهنية التي اكتسبت منها الممارسة، وهناك آخرون أسهموا في إكسابي مهارات عديدة، فعزيز ضياء كان خيالياً في الطرح وشاعرياً. محمد علاقي كانت اهتماماته السياسية طاغية على حسّه الصحافي، وأذكر بأنني وبدر كريم كنا السبب في إحراجه في رئاسة التحرير، وأيضاً..

عفواً دكتور للمقاطعة، ولكن بودي أن تسرد لنا هذه القصة التاريخية وألا تضيعها علينا..

* (ضاحكاً) أنت لا تفوّت شيئاً وتحبّ هذه الحكايات. أذكر أن كريم كان محرر الصفحة الفنية في جريدة "المدينة". وكانت أم كلثوم تقيم حفلات شهرية، وعادة ما يبدأ حفلها بعد الثانية عشرة مساء ولا نستطيع اللحاق بها على الطبعة. فتخيل أخونا السيناريو كاملاً وشرح بدقة الحفل في فبركة صحافية. الطامة تجلت في أنه ولأول مرة في كل حفلات أم كلثوم يُلغى الحفل. وكان ذلك

سبباً في إشكالية كبيرة لحقت بمصداقية الصحيفة. كذلك قمنا بنشر صورة لأوناسيس المليونير اليوناني في إحدى زياراته للمملكة وكانت حوله تحفظات كثيرة وكانت هناك مادة أو صفحة ضد الرجل وصادفت زيارته للمملكة وحصلت مشكلة كبيرة بسبب ذلك.

✍ ***من كان وزير الإعلام في المملكة وقتها؟***

* والله لا أذكر على وجه الدقة، وربما كان الشيخ جميل حجيلان.

رؤساء التحرير الأبرز

✍ ***سأدير الحديث إلى راهن الآن.. من هو أبرز رئيس تحرير حالي؟ وسأبادئك بأنني أسلّم بأن لكل منهم ميزته قطعاً لجوابك العام.. أنا أريد أن أعرف نظرة هاشم عبده هاشم بمعاييره الخاصة لرئيس التحرير هذا؟***

* كما ذكرت فإن لكل واحد ميزته، الأخ تركي السديري مثلاً قيمة وعمق وثقافة، خالد المالك حسّ مهني عال وملمح جيد. أشعر أن عبدالوهاب الفايز الآن يعيش الحدث ويغطيه بروح المتخصص. كل واحد لديه ميزة. هؤلاء الذين تعاملت معهم بشكل أو بآخر وقطعاً هناك آخرون ولكني لا أستطيع أن أحكم عليهم.

✍ ***أما وقد عوّمت الإجابة، فلعلي أسألك على امتداد تاريخ الصحافة السعودية.. من الأبرز كرئيس تحرير في نظرك دكتور؟***

* لكل شيخ طريقة، حسن قزاز كان يلتقط الحدث الاجتماعي والرسمي ويحدث ضجيجاً ويثير الدهشة بمقاييس عصره. كان صحفياً مهنياً جيداً في تلك الأزمنة وربما لو كان الآن معنا لكان شيئاً آخر. بنفس القدر لو كان هاشم عبده هاشم في ذلك الزمن لكان شيئاً آخر.

كما ذكرت لك فإن تركي السديري لديه كل مقومات رئيس التحرير، وهي بالمناسبة ليست مسألة كتابة أو قراءة أو إصدار قرار ولكنها مجموعة صفات يجب توفرها...

✍ ***سألفت نظرك هنا دكتور هاشم إلى أنك تجاوزت بالحديث أو حتى الإشارة لقينان الغامدي، أين موقعه في خارطة أو سلم رؤساء التحرير من وجهة نظرك؟***

* أنا لم أتجاهله أو أتجاوزه، ولكننا نتحدث عن تقييم قائم على كمّ من الخبرة وسنوات عمل متصلة. قينان شاب جيد ومجتهد ولديه حسّ مهني عالٍ، ولكن رئاسة التحرير لها شروط عديدة. يمكن القول إن (قينان) رقم واحد إذا أخذنا المسألة من الناحية الفلانية مثلاً.. ولكن كرئيس تحرير لديه القدرة على الربط والإحاطة بالأبعاد الأخرى وكمّ الثقافة السياسية والمهنية والحس الوطني والقدرة على اتخاذ الرأي الصائب تجاه قضايا معينة... يا سيدي من السهل على أي رئيس التحرير أن ينشر وأن يحدث فرقعة صحافية تحدث صوتاً عالياً ولكن عليه أن يراعي العديد من الأبعاد الأخرى.. أنا لم أتجاهل قينان صاحب الحس المهني الجيد والحماس الكبير وهذا واضح وملموس ولكن تجربته في رئاسة التحرير في مدة سنة أو اثنتين سيكون من الظلم له أن نحكم عليه كرئيس تحرير.

وظيفة الصحافة الغائبة في "عكاظ"

✍ ***نرجع إلى "عكاظ" الصحيفة، أذكر لك في نادي مكة الأدبي بأنك قلت ذات أمسية إن الصحيفة هي مؤسسة خدمات إعلامية أكثر منها مؤسسة توجيه تقدم توجها للمجتمع، أودّ هنا أن أسمع منك في استفاضة حول ما عنيت بقولك؟***

* العمل الصحفي له عدة وظائف، وظيفة توعوية وثقافية وإخبارية واجتماعية. رأيي الذي ذكرته في النادي الأدبي كان يركز على الجانب المهني، الصحيفة

صحيفة خدمة فأنا لست سلطة ولست مؤسسة تربية وتعليم، كصحيفة لست مطالباً أن أنشئ جيلا وأربي. كان تركيزي - ولا زلت على هذا الرأي - على أن الأولويات للصحيفة هي كالتالي: أولاً الخدمة وثانياً الثقافة وثالثاً التوعية.

التوعية مطلوبة لكن ليس بطريقة الوصاية أو أن أوجه المجتمع وأمارس عليه نوعاً من الوصاية وأطالبه بهذا وأمنعه من ذاك. ينبغي أن يكون ذلك ضمناً.

✍ ***عفواً يا دكتور.. لكأن الأدوار معكوسة لديكم في "عكاظ" حيث يشعر العديدون بأن الرسالة تأتي في الدرجة الأولى بالنسبة لصحيفتكم؟***

* لا بد من التفصيل هنا. كانت لدينا ثلاث مراحل في عكاظ، في المرحلة الأولى بنت الصحيفة سياستها على تقديم خدمة من القارئ وإلى عكاظ، انتقلت بعد ذلك إلى المرحلة الثانية وهي من عكاظ وإلى القارئ وهي بثّ كمّ من المعرفة والتوجيه واستمرت حوالى ثماني إلى عشر سنوات كما هو مخطط لها وهذه هي المرحلة التي تتحدث أنت عليها. المرحلة الثالثة التي نحن بصددها هي من وإلى القارئ حيث بدأنا نزاوج بين المرحلتين. خذ من القارئ وأعطه، بمعنى ألا نكون صدى للقارئ ولا نكون أوصياء عليه بالكامل، بل نعطيه رسالتنا ونتركه يحدد بحيث نصل مع القارئ إلى قيم معينة وليس رفع معدلات التوزيع فقط.

✍ ***دكتور هاشم.. ائذن لي هنا.. فأساتذة الصحافة علمونا بأنها سلطة رابعة وسلطة مراقبة، ولكن قيمة المحاسبة في "عكاظ" غائبة، بل هي أقرب إلى الصحيفة الرسمية إذا ما قارنتها بـ"الوطن" أو "المدينة" في بعض أحاييناها. بل حتى "الرياض" التي بها جانب بروتوكولي وخصوصاً في الخبر الرسمي ولكن في المقابل بها نوع من المحاسبة التي هي ضامرة في "عكاظ" إلى حد بعيد.***

* لا أعتقد أن ذلك صحيح، بدليل التوزيع الضخم للصحيفة، ولا يمكن لأي صحيفة أن تصل بهذه المعدلات إلى القارئ إلا إذا أسست قاعدة جماهيرية معينة، والقاعدة الجماهيرية تعني القبول، تعني أن يجد القارئ نفسه في هذه الصحيفة، ويشعر أنها تعبر عما يريد وتتبنى قضاياه وهمومه.

نحن في "عكاظ" دخلنا في ثلاث مراحل لبناء هذه العلاقة مع القارئ، المرحلة الأولى بناء الثقة مع المسؤول. وفي المرحلة الثانية المزاوجة ما بين هذه الثقة وكسب القارئ. وأسسنا علاقة مع المسؤول وعندما بدأنا في كسب القارئ كان لدينا رصيد من الثقة مع المسؤول. هذا هو ما عزز الانطباع لبعض السفارات الأجنبية بأن "عكاظ" معززة بموقف رسمي.

علاقاتنا بالمسؤولين ومنهجنا في وقت من الأوقات بالدفاع عن البلد في قضايا معينة، كما في موقفنا في قضايا إيران واليمن والأردن، أعطت الانطباع بأن...

✍ ***دكتور.. دعني أجمل الإجابة بأنك تنفي هنا أن صحيفة "عكاظ" هي لسان الدولة أو الصحيفة الرسمية الناطقة باسم الدولة؟***

* نعم.

✍ ***ولكن يادكتور كيف تبرر إذن تلك الانفرادات الرسمية التي تحققها "عكاظ"؟ ألا يحتمل أن يسرب لكم المسؤول الإعلامي الرسمي؟***

* على الإطلاق. عندما جئت إلى رئاسة تحرير"عكاظ" كانت النظرة السياسية حاضرة والنظرة القومية كانت طاغية. التفكير القومي كان ميزة في ذلك الوقت، لكن كنت أشعر بأن القارئ يريد أن يشعر بنفسه أكثر. لذلك كان علي أن أتجه لذلك. ولكي تمضي وتقدم معلومة صحيحة وجيدة لا بد أن تكون لك علاقة طيبة مع المسؤولين، لذلك كان من مهامي الأساسية أن تكون لي علاقات أبنيها على أساس إعطاء وضع القارئ في الصورة الصحيحة، فتكونت عندنا شبكة مصادر قوية في كل المجالات. من هنا كانت البداية للعلاقة مع القارئ.

هذه المصادر إذا وثقت بك يمكنها أن تمدك وتستجيب لطلبك في الوصول للمعلومة، وأعتقد أن الصحافة هي البحث عن المعلومات. ثق بأن أية جهة لا يمكن لها أن تخصك بمعلومة من عندها هكذا.. أنا استثمرت كل العلاقات في الوقت والمكان المناسبين والقارئ هو الذي استفاد ووجد نفسه متابعاً للحقائق

من مصادرها الصحيحة، ألم نتعلم يا عبدالعزيز أن الصحافة مصداقية وموثوقية؟

✍ ***صحيح دكتور. ولكن كسلطة محاسبة وسلطة رابعة...***

* هذا وهم. اسمح لي أن أقف معك هنا. نحن في دول العالم الثالث ما زلنا نعيش في عصور الشعارات ولا زلنا نتحدث عن السلطة الرابعة والقوة المؤثرة وما إلى ذلك من شعارات. هذه النظرة الاستعلائية ضارة مهنياً في نظري وغير واقعية، ومحاولة لتلبس دور لا تسمح به الظروف. أرني في أي دولة من دول العالم الثالث تستطيع الصحيفة أن تتحدث بما تريد وما تشاء وما تراه؟

✍ ***دكتور أقول بالنسبة لنا على قدر الممكن والمتاح.. ودعني أحاججك هنا تدليلاً على دور الصحافة في حادثة مدرسة البنات في مكة المكرمة التي احترقت، حيث استطاعت الصحافة أن تخلع مسؤولاً من موقعه؟***

* هناك فرق بين ادعاء التغيير وممارسة دوري في الأمانة والمسؤولية. "عكاظ" كانت أكثر صحيفة تعاطت مع هذه القضية وأسهمت إسهاماً فعالاً فيها وكشفت وقدمت بالصورة والخبر. إذن سلطة المحاسبة ليست ضامرة لدينا. النقد موجود.

✍ ***دعني أحسم المسألة بشكل نهائي. أنت تنفي أن "عكاظ" هي صحيفة الدولة الرسمية...***

* "عكاظ" جزء من هذه الدولة وهذا البلد ومن التفكير السائد فيها، لكنها مؤسسة صحفية يملكها مستثمرون وتسيّرها سياسات تبدأ من المؤسسة نفسها، ولا تُعامل من الدولة بشكل خاص بأكثر مما تُعامل به "الندوة" أو "البلاد" أو "المدينة" أو غيرها وليس هناك من سطوة لأي جهة حكومية عليها بأكثر مما هو لدى الصحف الأخرى، لكن هناك نوع من العلاقة بين جهازها التحريري مع أجهزة الدولة يمكنها من الحصول على معلومات تعطي انطباعاً بأنها صحيفة شبه رسمية.

اليوم على سبيل المثال (وقت إجراء اللقاء) قال وزير الخارجية السعودي إن الدولة اتخذت قراراً بمطالبة السفير الليبي بمغادرة المملكة واستدعاء السفير السعودي في ليبيا وإن الاكتفاء بذلك كان تقديراً للشعب الليبي كنوع من الدبلوماسية. نحن ذكرنا في ردنا أن هذا الطرد لا يكفي. نحن هنا لا نتفق حتى مع مسؤولي الدولة. وقلنا إننا تأخرنا يا وزير الخارجية كثيراً في ذلك وبعد ٢١ سنة من المعاناة مع هذا الرجل نكتفي بطرد السفير؟ إذا كنا صحيفة رسمية ينبغي أن نتبنى نفس الموقف ونستخدم نفس اللغة... ولكننا لم نفعل.

✍ ***اسمح لي دكتور هاشم.. أنت تدلّ علينا بالمزايدة في الموقف الرسمي، وأنا أقول لك بأنك هنا تعرف مسبقاً الخطوط الحمراء لك في هذا الاتجاه، لذلك اقتحمت وطالبت بما طالبت به لأن الأجواء تسمح بذلك؟***

* ومن الذي يحدد لنا أن الأجواء تسمح أو لا تسمح؟

✍ ***بالذات في موضوع ليبيا.. فعلى امتداد عقود من العلاقة المتوترة مع ليبيا طالما كانت مثالاً لما نحن فيه من حديث.. دخل الديني بجانب السياسي والإعلامي في هذا الموضوع الشائك، وارتهنت الفتوى للسياسي وتتذكر تكفير القذافي.. وعندما صفت الأجواء سكت ذلك الحديث كله مرة واحدة؟***

* هذا شيء لا يخصني، ربما يخص التيار الديني والدولة، أنا كمؤسسة إعلامية أعتقد أن هذه القضية عُولجت حسب الظرف وحسب الاعتبارات السائدة في كل فترة زمنية معينة، لا شك أنه لم يكن بالإمكان في الماضي أن تعكس وجهة النظر التي تريدها لأن نظام المطبوعات يمنع ذلك ونحن محكومون بالنظام. لذلك من ينادي بالسلطة الرابعة أقول له إن هذا خيال ووهم. نحن نحاول أن نجتهد ونحترم القارئ ونقدم له الخدمة وفق المتاح والمستطاع.

✍ ***يا دكتور والله أنا محتار.. حتى في هذه الأجواء الانفتاحية التي حدثت بعد ١١ سبتمبر؟***

* لا نستطيع أن نقول كل شيء، لكننا نستطيع أن نقول أشياء كثيرة سواء في الشأن الداخلي أو الشأن السياسي.

سياسة منع الكتّاب من النقد

✍ ***دعنا نعد لقضية المحاسبة. يُقال إن هاشم عبده هاشم يمنع كُتَّابه الأبرز ويرد عليهم مقالاتهم إذا ما كتبوا نقداً لأجهزة الدولة من فرط حرصه، إلى أي مدى ترى صحة هذه التهمة؟***

* غير صحيح، وأنا أقدِّر كل كاتب وكل اجتهاد، ولدينا نظام معين في "عكاظ" فليس رئيس التحرير هو الذي يطلع على المقالات، بل هناك قسم للرأي وزملاء مختصون يقرأون ويمحصون ويجيزون وأنا لا أتدخل في أي من هذه المقالات. عندما يختلف الكاتب والزميل يُرجع إلي وأنا في ٩٠٪ من الحالات أجيز ما منعه الزميل. لي قاعدة دوما أرددها وهي ليس هناك ما لا يُنشر، ولكن كيف يُكتب. إذا طرح أي كاتب قضية ما طرحاً موضوعياً مقنعاً ومبرراً وموثَّقاً لا يستطيع أحد أن يمنعه ويعترض عليه، لكن إذا نصَّب الكاتب نفسه في خانة الولي والوصي والحاكم وبدأ يشرِّع ويصدر فتاوى ويجرّم ولا يقدم دليلاً ويبني رأيه على مجرد رسالة من قارئ مجهول، هنا أختلف معه. هل أنا صحيفة ناقل أو وسيلة بريد أم صحيفة تعطي معلومة وتجيب عن سؤال يهم القارئ؟ أنا صحيفة لا تكرر ما يتحدث به الشارع. لأن الشارع أصلاً لا يملك الإجابة عن الأسئلة. وظيفتنا أن نساعد القارئ في توصيل أسئلته للمسؤول ونعطيه الإجابة. لا نختلف مع الكُتَّاب إلا في قضية المعالجة وكيفية النقد.

✍ ***دعنا نأخذ المسألة بشكل أوسع ثم ندخل في التفاصيل فربما يسهل ذلك من محاصرتك. كل صحيفة ينتظمها خيط فكري. "المدينة" مثلاً تتجه منذ إنشائها للشريحة المحافظة وهكذا، صحيفة "عكاظ" إلى أي خيط فكري تنتمي؟***

* "عكاظ" تنتمي للمستقبل.. للغد...

هذا من ناحية عملية.. أنا أريد هنا منهجها الفكري الذي ينتظمها؟

* أنا ضد التصنيفات والتقسيمات. أدلجة العمل الصحفي خطأ. صحيح أنه لا بد أن تكون للصحيفة هوية ونحن ننحاز للمستقبل. عندما نتبنى قضية المرأة مثلاً فإن معاييرنا تختلف عن الآخرين. هناك من يراها عارية ومكشوفة أو تبحث عن وظيفة أو وزارة ولكننا نراها بشكل مختلف. فلدينا منهج تجاهها ونتحمل تبعات هذا المنهج.

عفواً دكتور.. ولو كان هذا المنهج الذي تقول به مخالفاً للسائد والمألوف وقيم المجتمع؟

* سندخل هنا في تفسير مفهوم القيم السائدة، وربما تكون القيم السائدة خطأ. ثم ما هي هذه القيمة ومن هو الذي جعلها قيمة؟ هناك خلط وهناك أشياء عرفية أصبحت ثوابت. من قال إن هذا الأعراف يمكنها أن تتحكم فينا؟ هوية "عكاظ" هي المستقبل والانفتاح نحو الآخر ونحو احتياجات المجتمع والعلاقة السوية بين المواطن والمسؤول.

هل "عكاظ" تتبنى التحررية الليبرالية؟

إذن أنت ترفض بحديثك هذا اتهام كثيرين من أن صحيفة "عكاظ" تتبنى وجهة النظر التحررية الليبرالية.

* أنا لا أؤمن بهذه التصنيفات، ولكني أؤمن بأن لي هدفاً وهو أن الصحيفة ينبغي أن تفكر في المستقبل. إذا كان التفكير في المستقبل ليبرالياً فأنا كذلك. الهاجس هو المستقبل والأحسن والأجود والأصلح. هل هذا عيب؟ هناك فرق بين اعتناق فكر أو إيديولوجيا وبين تحقيق هدف يؤدي إلى الربط بين الإنسان والأفكار المطروحة.

لا أعتقد أن هناك حاجة لأن نسمي أنفسنا ليبراليين، وإذا نظرت لي تجد أن لي رؤية مستقبلية. أنا مع الانفتاح وضد الانغلاق ومحاصرة الإنسان في

اختياراته وفي رغباته وفي تفكيره. هناك حدود فاصلة وواضحة بين مسؤوليات الدولة ومسؤوليات المواطن، فلماذا الخلط؟

✍ ***ولكن يادكتور هل يجوز عقلاً أن تنحاز الصحيفة لصالح قلة بينما المفترض أن تكون هي ضمير المجتمع والمعبرة عنه والمتساوقة معه، وهذا المجتمع الذي نتحدث هو في غالبه محافظ، بدلاً من الإصرار على أن تكون الصحيفة معبرة عن تيار تحرري لا يمثله؟***

* مشكلة التصنيفات في المجتمع مشكلة كبيرة، ولا بد أن نبحث ونفحص هل هذه القلة على صواب أم على خطأ؟ أسئلة كثيرة تحتاج إلى أن نجلس وننقح وننظّر. ورثنا أشياء خاطئة وأتصور أن المضي فيها على اعتبار أنها السائد والموجود والقيمة المتوارثة خطأ، ويعني ذلك أننا صدى لواقع مختل. ألم نكتشف أننا كنا على خطأ؟ أليس من الضروري أن نراجع أنفسنا؟ بعد أن تبين لنا بعد هذه السنوات بأن منهجيتنا في التفكير تحتاج إلى مراجعة.. هل نمضي فيما نحن فيه بحجة أن الأكثرية تفكر بهذه الطريقة؟ ليست المسألة في نظري أقلية أو أكثرية بل أين هي المصلحة والصالح العام؟ إذا أنا ارتهنت إلى جانب الأغلبية ولو كانت على خطأ فذلك يعني أنني لا أقوم بدوري على الوجه الصحيح.

✍ ***لا أدري دكتور، ولكن الانحياز إلى هذا المنهج بدأ مبكراً في "عكاظ".. لو عدنا إلى تاريخها سنجد أن من أسسها هو أحمد عبدالغفور عطار وهو رجل محافظ ولكن جاء بعده عزيز ضياء وقد حمل ذات الخط والتوجه الذي أنت فيه دكتور هاشم. أدلل هنا بما سمي معركة المرأة الجديدة بين "عكاظ" و"المدينة" في عام ٩٥ - ٩٦ هـ وكان أحمد جمال وآل حافظ يمثلان الرأي المحافظ في صحيفة المدينة بينما كان يمثل رضا لاري وعلي شبكشي وعبداللطيف ميمني الرأي الآخر؟***

- إذن من غرس هذا التفكير المستقبلي في "عكاظ" ليس هو هاشم عبده هاشم، "عكاظ" صحيفة مستقبل منذ بدايتها. عزيز ضياء رجل منفتح، جاءت فترة

عثمان حافظ وهو رجل له نمط معين من التفكير لكن كان إلى جانبه عبدالله القصبي وهو رجل منفتح جداً، جاء علي شبكشي ورضا لاري أيضاً مثلاً وجاء....

✍ ***دعني أنا من يكمل هنا دكتور.. وجاء هاشم عبده هاشم وكانت على يديه الانفتاحة الكبرى لهذا التيار في الثمانينيات.. ومن خلال تبنيه الكامل لتيار الحداثة؟***

* لا أتصور أنه تبنٍّ، بل هي مرحلة زمنية تأكد الآن أنها كانت ضرورية وأفادت وأصبحت رؤية كنا في حاجة لها من وقت مبكر. الحداثة كفكرة وليست كمصطلح ولكن كممارسة وفكر كنا نحاول أن نضيء مناطق معتمة وكانت بداية طيبة ولم تكن عيباً أو جريرة بل ثبت الآن أننا كنا بحاجة اليها...

✍ ***اسمح لي دكتور.. العيب والجريرة هنا ليسا في تبني الحداثة، إنما في الإخلال بالمهنية والموضوعية.. كان تبنيكم بشكل كامل لهذا التيار متوازياً مع إلغاء كامل للرأي الآخر المختلف معه؟***

* ليس إلغاء، بالعكس كان الرأي الآخر هو المسيطر دائماً...

✍ ***أين سيطرته دكتور.. في "عكاظ"؟***

* لا، في المجتمع.

✍ ***دعنا نحصر الحديث في "عكاظ".***

* عفواً دعني أكمل، كان الرأي المضاد هو المسيطر في المجتمع تفكيراً وممارسة وإعلاماً وكان هو الذي لا يسمح للآخر بأن يأخذ حقه في التعبير. إذا كانت "عكاظ" فتحت هذا الأفق وأعطت شيئاً من الحق لهذا التيار فهذا شيء جيد لأنه حق للجميع. لماذا كان يصنف هؤلاء على أنهم مخربون ومدمرون لثوابت وثقافات ومنهجية سائدة. نحن نتحدث عن أن الحق للجميع في التفكير والتعبير..

✍ ***والله دكتور أشعر أن ثمة مغالطة هنا .... "عكاظ" وسيلة إعلامية، أليس من الموضوعية المهنية أن تتاح الفرصة للجميع للتعبير فيها عن آرائهم؟***

* المفترض أن يكون كذلك.

✍ ***أجزم لك أن هذا لم يحدث في "عكاظ".***

* نحن لم نمنع أحداً.

✍ ***أنا شاهد على هذه الحقبة، وأسوق لك تأكيد رئيس القسم الثقافي لديكم وهو الدكتور سعيد السريحي الذي اعترف في مكاشفاته معي بأنهم كانوا يصادرون الآراء.. والمسألة لدي هنا بأنك إن كنت تعرف فتلك مصيبة وإن كنت لا تدري فنحن إزاء كارثة.***

* لا أعتقد أن السريحي يعبر عن سياسة الجريدة عندما كان يمنع. هل تلقى تعليمات من رئيس التحرير بقفل الصنبور هنا وفتحه هناك؟ بالنسبة لسؤالك إن كنت أعلم ما يدور أو لا أعلم فأجيبك بأنني أعلم ما يدور في جريدتي، وأعلم أيضا أن سعيد السريحي لم يفتح الصنبور للحداثة لأنها رغبته أو لتيار هو الوحيد المؤمن به، ولكن كانت هناك قناعة كلية بأن هذا أفق ينبغي أن يُفتح ولكن ليس على حساب الآخر. لم تكن هناك مصادرة ولم يكن هناك منع، وإذا كان هو قد مارس ذلك فهو أخطأ في حق وظيفته ومهنته. لكن التعليمات واضحة وهناك قضايا وطروحات وموضوعات تمثل جميع المواقف لأنه لم يكن بإمكان أحد أن يحرم الرأي الآخر أو يمنعه.

✍ ***أضرب لك بشخصيتين حجبت آراؤهما وهما من كانا يمثلان رأس الحربة في التيار المضاد للفكر الحداثي وهما الدكتور سعيد الغامدي والدكتور عوض القرني، وبالمناسبة فإن غيرهما كثر.. وقد بعثوا بمشاركاتهم وردودهم إلى "عكاظ" ولم تُنشر بل تهكم الإخوة المشرفون بها؟***

* هل خاطبوا رئيس التحرير وتلقوا منه إجابة بأن الباب مغلق أمامهم؟ هناك سياسات عامة يتحمل مسؤولياتها رئيس التحرير، وإذا قبل بمنهج معين تحمله مجموعة في الصحيفة فمعنى ذلك أنه توجه معين ولم يكن هناك منع حقيقي.

طموح وزراة الإعلام

دعني لا أستغرق في الأمر، وأدخل مباشرة لصلب الموضوع بلعب مكشوف. يُقال إن من دهاء هاشم عبده هاشم توجيهه من خلف الستار وكان هو اللاعب الحقيقي في مسألة الحداثة في "عكاظ" وإنه دفع بسعيد السريحي وبقية الحداثيين للصفحة الثقافية وتوارى هو عن الأنظار لتوازناته وحساباته الخاصة وطموحه الوظيفي والتي ربما يكون من بينها تطلعه لوزارة الإعلام مثلاً؟

* اسمح لي هنا تناقض في ما طرحت. إذا كانت الحكومة انعكاساً للواقع القائم الذي يغاير توجهات "عكاظ" لأنه يحترم ثوابت معينة ويريد منهجية معينة في التفكير. إذا جاءت "عكاظ" بشيء آخر فهذا يعني أنها خرجت عن الخط الذي تتبناه الدولة. ما دامت هي قد خرجت فإن فرص العاملين فيها في الوصول إلى المنصب مستحيلة وليس العكس. الإنسان الطموح الذي يطمح إلى الوصول إلى مواقع قيادية رسمية هو الذي يتعامل مع منهج وسياسة الدولة.

إذا كانت الصحيفة تجسد منهجاً أو تفكيراً آخر فهذا يعني أنها تغرد خارج السرب، ومن ثم فإن فرصها في الترقي معدومة. قبل قليل نقول إن "عكاظ" تعبر عن رأي الحكومة والآن نقول إنها تعبر عن (الليبرل) أي عن الصوت الضعيف في المجتمع. دعنا نرسو على جانب، هل نحن نعبر عن الصوت الرسمي؟ إذا كان كذلك فنحن سنصل الوزارة أما إذا كنا نعبر عن (الليبرل) فنحن خارج المعادلة، وفي كلتا الحالتين فإن الحسابات مهنية تحكمها مصلحة المجتمع، وأنا دائماً أقول: (وطني قبل المهني) وذلك منهج يعرفه زملائي في الصحيفة. وجدت في هؤلاء الشباب نمطاً من التفكير يحتاجه بلدي فأعطيتهم الفرصة وثبت الآن أننا كنا على حق.

✍ ***جميل يا دكتور، ولكن هذا الشعار (وطني قبل المهنة) هل تؤمن به إلى الحدّ الذي يدفعك إلى فبركة صحفية فاقعة.. بمثل ما فعلت في قصة حرب الخليج الأولى؟***

* ثبت أن ما قلته في "عكاظ" هو الذي تحقق. عندما طرحنا كل السيناريوهات ما الذي حدث؟ ما هو الدور اليمني وما هو الدور الفلسطيني والأردني وأثبتت الأحداث صحة كل ما أوردته "عكاظ"؟.

✍ ***أنت هنا تنفي أنك فبركت كل ذلك.. وهذا للتاريخ دكتور.***

* هذه مسائل تعتمد على وقائع وقدرة على استثمار المعلومات وتحليلها وتقديمها للناس بكثير من الموضوعية. الآن.. ما الذي رأيت من كل الدول التي خرجت واتخذت مواقف من غزو الكويت؟ ما الذي حدث؟ وما الذي ثبت؟ ما أوردناه في "عكاظ" من سيناريوهات تحقق بالكامل.

✍ ***وماذا عن أحداث الإيرانيين.. يقال إن "عكاظ" فبركت كثيراً من الحقائق والأخبار لمجرد إرضاء الماكينة الدعائية الرسمية؟***

* نحن نقدم معلومات وصوراً ووثائق، وليست مجرد..

✍ ***ما زلت يادكتور أذكرك بأن التاريخ سيسجل كل ما تقوله؟***

* نحن لا نتحدث عن أشياء في الهواء بل عن حقائق موجودة، إذا تحدثنا عن حقائق كانت ترد وعن صور موجودة وأتحدث عن صورة لياسر عرفات يكاد يقبل حذاء صدام حسين. هذا الذي عزز وربط "عكاظ" بالوطن وهو دفاعها عنه وتقديمها لحقائق عبر مصادر حقيقية.

✍ ***تقول دكتور مصادر، ولكني ذاهل حقيقة عن كيفية أخذكم تصريحاً من برويز مشرف وطائرته لا تزال تحلق في الجو وهو للتو متعرض للاغتيال؟***

* لماذا؟ إذا كانت لك علاقة مع المسؤول فتستطيع أن تأخذ الخبر. الزميل فهيم الحامد بنى علاقة مع برويز مشرف وغيره يستطيع أن يفتح خطاً مباشراً مع ذلك المسؤول. العريفج إذا طلب الآن الرئيس المصري أو اليمني أو ملك

البحرين. أنت بنيت علاقة وطيدة مع مسؤولين كبار، وهؤلاء لا يمكن أن يعطوك المعلومة مبادرة منهم بل نتيجة لسعيك المهني. لا أحد يبادر لأنه ليس موظفاً عندك. حسي المهني هو الذي يحركني تجاه هذا أو ذاك بعد أن أبني علاقة مع المصدر وبعد توفر الثقة يمكنه أن يعطيك الثقة. هناك قبول مبني على ثقة متبادلة، هل هذا ميزة أم عيب؟

"عكاظ" والخصومة مع التيار الإسلامي

✍ ***أعود معك الآن إلى خصومة "عكاظ" مع التيار الإسلامي...***

* أصحح لك.. ليست هناك خصومة.

✍ ***لكن دكتور هؤلاء يتحسسون من موقف "عكاظ" من تيارهم الإسلامي والمحافظ بكل أشكاله ما عدا الرسمي الموجود، نريد أن توضح علاقة عكاظ مع هذا التيار.***

* ليس هناك موقف مسبق من تيار أو أيدلوجيا أو مذهب أو سياسات تخدم هذا وتمنع ذاك. هناك اجتهادات ونظرة مستقبلية. هذه النظرة تصل إلى حد التناقض مع النظرة الأخرى في بعض الأحيان، فيُنظر لنا وكأننا ضد ما هو ثابت. نحن لسنا ضد الثابت بل ضد ما هو تقليدي. لا يوجد في "عكاظ" من له موقف من ثابت. المشكلة أننا أصلاً لم نتفق على ما هو الثابت وما هو المتغير، ما هو الأصل وما هو الفرع. ليس هناك موقف أو سياسة أو ضدية.

أنت الآن قسَّمت المؤسسة الدينية إلى رسمية ومستقلة. من الذي حدد هذه التقسيمات؟ إذا أخذنا ذلك بمقاييس الشريعة فإن الجميع يجب أن يخضع لمبادئ وقواعد محددة. كون هذا ينخرط في سلك التدريس أو القضاء فتلك وظيفة وهذا ليس ثابتاً أو قناعة أو فكراً.

نحن لسنا مع المؤسسة الدينية الرسمية وضد ما سواها، نحن صحيفة همها وهاجسها الأول هو المستقبل. من يتفق معنا في هذا التفكير المستقبلي وينظر لنا على أساس أننا صحيفة تنويرية، ومن يرى أن هذا المنهج ضده فهذا حكمه ورؤيته.

✍ ***لكن دكتور.. "عكاظ" كمنبر إعلامي من المفترض أن يكون محايداً وغير منحاز، بل يتيح لكل التيارات الموجودة أن تعبِّر عن نفسها بآرائها وبمواقفها، لا يوجد في "عكاظ" كُتَّاب إسلاميون مميزون يعبِّرون عن تياراتهم؟***

* عايض القرني له زاوية يومية.

✍ ***الرجل لم تتقبلوه إلا منذ فترة قصيرة؟***

* لكننا أيضاً لم نرفضه كما لم نرفض غيره.

✍ ***بل منعتم الكثيرين على امتداد ٢٠ سنة من رئاستكم لتحرير الجريدة، حتى إن بعضهم يرسل مشاركاته إلى "عكاظ" ولا يتم نشر هذه المشاركات، وخصوصاً التي تعقب على كتّاب كأبي السمح، إلا في النادر الذي يتوسل وساطات.***

* هذا أمر آخر. دعني أقل هنا بأن هناك قناعات مسبقة لدى هؤلاء بأن "عكاظ" لن تنشر لهم، ولكنهم لم يعرضوا علينا كي نقول لهم: لا.. لن ننشر لكم. أنا لست مسؤولاً عن قناعات ذاتية. هل طرق باب "عكاظ" وقيل له لا ننشر لك لأنك تمثل تياراً معيناً؟ أنا غير مقتنع به.. عندها ربما يقيم الحجة على الصحيفة.

✍ ***دكتور.. محرروك يفعلون هذا في أقسامهم؟***

* الجريدة بها ٧٠٠ شخص، من هم المحررون الذين يفعلون ذلك؟ المحررون ليسوا كلهم سعيد السريحي أو هاشم الجحدلي، وليس هذان الصحيفة كلها.

✍ ***وكي لا أبقى في العموميات دكتور هاشم، سأضرب لك مثالاً.. في منتديات الحوار الوطني وبالتحديد المنتدى الثاني بمكة، حضرت التيارات الإسلامية وبكافة أطيافها ولم تفسحوا لهم إلا مساحات خجولة لمجرد سدّ المساحة أو اللوم في مقابل فرد مساحات أوسع للتيار الآخر. رغم أن المهنية تفرض عليكم أن تكونوا محايدين؟***

* نتفق أولاً على ثابت مهم وهو أن الحق للجميع، ولكن هناك حالة نفسية لدى هؤلاء الناس وحكم مسبق أن "عكاظ" على النقيض مما يفكرون أو يتوجهون.

هذا الشعور هو الذي يجعلهم يمتنعون أو يتوقفون عن التعامل معها ويصدرون أحكامهم على أننا صحيفة (ليبرل) وعلى أنها مفتوحة لغيرهم. أكرر لك نحن صحيفة مفتوحة للجميع.

✍ ***كي لا يبقى اتهامي إنشائيا حول موقفك وخصومتك.. عملت استقصاء خلال شهر شوال الماضي ١٤٢٥هـ. لم تظهر الصفحة الإسلامية لديكم إلا ثلاث مرات وغابت بقية الشهر، أليس هذا دليلاً على عدم اهتمامكم؟***

* هل يمكن حصر الإسلام عقيدة وتعاملاً في صفحة واحدة؟!. الإسلام هو موجود في كل الصفحات، إلا إذا أصدرنا حكماً مغايراً على "عكاظ" بأنها ليست من الإسلام في شيء فهذا أمر آخر، لنفترض أنه لا توجد لدينا صفحة دينية فما هو العيب في ذلك طالما أن بقية الصفحات لا تخالف الدين؟ لماذا لا ينتظم الدين في كل الصفحات طالما أننا في بلد إسلامي؟

ولكن عن أي إسلام تتحدث؟ إذا كان الإسلام الذي نعرفه فيجب أن يكون في كل الصفحات، أنا لست مع تخصيص صفحة إسلامية لأن الإسلام ليس فناً أو طباً أو بيئة أو رياضة حتى نخصص له صفحة بل هو فكر ينبغي أن يوجد في كل الصفحات ولا يحاصر في صفحة محددة.

✍ ***أنت تناقض نفسك هنا دكتور مع الواقع الموجود. إذا اتخذنا ما تحدثت عنه كقاعدة، لماذا تفرد أصلاً صفحة مخصصة للفكر الإسلامي وهو موجود الآن، بل سبق لك قبل سنوات أن أصدرت ملحقاً إسلامياً كاملاً؟***

* أنت الآن تتحدث بشكل مهني وجيد. أنت تخصص للحدث صفحة، والحدث ليس يومياً وعندما يحدث نفرد له المساحات.

✍ ***دكتور.. أيعقل أن يكون للشعبي حدث والفني له حدث والأدبي له حدث وينشر ذلك يومياً، وعندما نأتي للفكر الديني تختفي الأحداث، وهؤلاء العلماء والدعاة يملؤون الوطن طولاً وعرضاً بمحاضرات ومادة أخبار..***

* لمعلوماتك يا أخ عبدالعزيز. عندنا برنامج اسمه برنامج التغيير في الصفحات، وكنت أتمنى أن توسِّع دراستك لتشمل الصفحات التي تغيب في "عكاظ" على مدى

الحقبة نفسها، ستجد أنه بالتناوب تغيب صفحات إذا كان هناك زخم إعلامي. الإعلام في "عكاظ" ينمو، لدينا برنامج لتغيير الصفحات، اليوم اقتصاد وغداً ثقافة وهكذا. كنت أتمنى أن تشمل دراستك هذه السياسة بشكل مهني...

حالتا النمور والحمائم

✍ ***سأنتقل من هذا المحور، وأوجّه لكم اتهاما يقول بأنكم تنتقدون بشكل حادّ إذا تعلق الأمر بمحاسبة مؤسسات يكون على رأسها المنتمون للتيار الديني، مثلما حدث في حريق مدرسة البنات بمكة المكرمة حيث انقلبتم إلى نمور في قضية المحاسبة وأسرد لك أنموذجاً للجمل التي كتبت لديكم " يتلذذون برائحة شواء لحم البنات" " بل هيئة الأمر بالمنكر والأمر بالمعروف" .. أنتم لا تفعلون الشيء نفسه عندما يتعلق الأمر بإدارات أو مؤسسات أخرى؟***

* هل تقصد أن تلك الهجمة كانت لأن رئيس الرئاسة العامة لتعليم البنات من المؤسسة الدينية؟

✍ ***نعم.***

* أعتقد أننا إذن نتهم الدولة في هذه الحالة. الحملة التي قامت بها وسائل الإعلام لم تكن كذلك، والقرار الذي تم بدمج تعليم البنين مع تعليم البنات في منهج واحد أتصور أنه بناءً على سلسلة من التجارب أثبتت بأن هناك خللاً في تباعد تعليم البنين عن البنات وليس لشخص مدير رئاسة تعليم البنات وليس ضد المؤسسة الدينية. أنا أرى أن هناك محاولة للاعتساف عندما نقول إن الدولة أو "عكاظ" أو الصحف شنت حملتها لمحاربة المؤسسة الدينية وانتزعت منها الرئاسة. لا يوجد بلد في الدنيا به تعليم للبنين وتعليم للبنات، إذن ما تم هو تصحيح لوضع خاطئ.

✍ ***أنا معك في التصحيح، ولكن ما أحوجنا إلى تصحيح أوضاع أخرى في وزارات أخرى، لم لا تفعل "عكاظ" ذلك بمثل ما هاجمت رئاسة البنات؟***

* ما المانع؟ أنت قبل قليل كنت تقول إن صوتنا في المحاسبة منخفض والآن تقول إن صوتنا عالٍ وكل هذا وفقاً لاستنتاجاتك.

✍ ***دكتور هو منخفض إلا في اتجاه التيار الديني، وأسوق لك دليلاً آخر.. مصادمتكم للمجتمع بالصورة الكبيرة التي وضعتموها في المؤتمر الاقتصادي وبها نساء سعوديات ينتمين لعائلات كبيرة؟***

* هل أنا أتحدث مع صحفي مهني أم مع محامٍ لتلك الفئة؟

✍ ***عفواً دكتور.. أنا صحافي أنقل وجهات النظر فقط، وهذا منهجكم في "عكاظ" وأنا أمتثله هنا معك.. ألست القائل بأن مبدأكم في الصحيفة "من القارئ إلى عكاظ".. أنا ناقل لوجهة نظر قراء كثيرين.***

* لكنك تطرح الأمر وكأنك تمثل فئة. ماذا تعني بمصادمة المجتمع؟

✍ ***مجتمعنا السعودي وقيمه.***

* أيضاً في المقابل هناك من رحب بذلك وما قمنا به من نشر الصورة.

✍ ***عفواً دكتور، ولكن تختلف النسب تماماً هنا بين المؤيدين والمعارضين، ولماذا إذن قمتم بحجب الصور في الطبعة الثالثة؟***

* هذه إجراءات تحكمها ظروفها واعتباراتها، هؤلاء النساء ألم يشاركن بالفعل؟

✍ ***بلى.***

* هل كانت الصور مزيفة؟

✍ ***لا.***

* كيف شاركن؟

✍ ***بالصورة التي ظهرت. ولكن جرت العادة في الصحافة السعودية على عدم نشر مثل هذه الصور بل ليس هناك نص في وزارة الإعلام أو شيء من هذا يمنع ذلك.***

* نحن نتحدث عن صحيفة مستقبل وتتحدث عن تعامل مواكب وليس تعاملاً موروثاً ومغرقاً في التقليد. كيف نوفق بين صحيفة تقدم الحقيقة والواقع وأن نقول هذا حرام وهذا لا يجوز؟ هذه المجموعة الفاضلة من السيدات اللائي

ينتمين إلى أسر محترمة وشاركن في ذلك الملتقى وحاورن وأسهمن، أليس ذلك واقعاً؟

✍ *بلى.*

* هل هي جريمة أن تنقل الواقع؟
* لا، ولكن هناك سياسة عامة لوزارة الإعلام تمنع ظهور صور النساء سافرات هكذا وبالذات السعوديات؟
* هذا يحدث الآن.

✍ ***ولكن هذا تجاوز للسياسة الإعلامية العامة للمملكة؟***

* السياسة لم تحدد لك بأنه يمنع منعاً باتاً نشر صور المرأة. بل هي أطر عامة وأنت تجتهد.

هاشم عبده هاشم في ثالث مكاشفاته:

أضحك من تلك الأوهام التي تتردد بأنني سوف أعين وزيراً للإعلام لأن همي الشاغل صحيفتي فقط

- مجلس الشورى يستطيع أن ينهض بمهام تخدم الدولة والوطن بشرط توسيع المادة (١٥) أمامه لتصبح وظائف المجلس رقابية.
- لماذا الاستغراب من دعوتنا بأن تكون المرأة جزءاً من مجلس الشورى؟ أليست هي الأكاديمية والمتخصصة والمؤهلة؟
- التاريخ سيتوقف كثيراً عند الشيخ محمد بن جبير وسيذكر لهذا الرجل علمه وفكره وشخصيته ووعيه.
- الباب مفتوح للكل وليتفضلوا وإذا لم نكن كذلك فلسنا صحيفة جديرة بأن تكون للجميع.
- أنا وأحمد محمود تخرجنا من مدرسة صلاح الدين واتجه هو للنخبة فيما اتجهت للقارئ البسيط.
- لم أسعَ على الإطلاق للجمع بين منصبي الإدارة والتحرير وكل المنجزات لم تتحقق إلا بعد فترة الجمع.
- ثبت للكل بأن هاشماً ضحى بمجلس الشورى لأنه يحب صحيفته ومهنته.
- لم أتخلص من أيمن حبيب بل هو الذي استقال في ضوء خيارات كانت أمامه.

---

* نشر الحوار في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ٩/ ١ / ١٤٢٦ هـ الموافق ١٨ فبراير ٢٠٠٥ م

بين يدي مكاشفات:

- لم أتوقع أبداً أن تحدث الحلقة الثانية من مكاشفات الدكتور هاشم عبده هاشم هذا الصدى العريض لدى قطاعات فكرية وإعلامية عديدة، فقد أكرمني ثلة من الدعاة والمثقفين بمهاتفات تهنئة وشكر على هذا الإنجاز الصحافي الذي تابعوا جزءاً منه، إلى درجة أن إعلامياً مخضرماً من جيل الدكتور هاشم قد ذهب إلى أن هذه المكاشفات هي درّة ما قرأه من حوارات، حيث شعر أنه أمام مناظرة فضائية لا حوار صحافي.
- كنت أجيب الجميع بأن البطل الحقيقي، وبعيداً عن أي شبهة تزلف أو مظنة وصولية، هو ضيفي الذي منحني ثقته ابتداء، وتحمّل بكل أدب مشاكسات الأسئلة، ولم يحتدّ سوى مرة واحدة، والخلاصة أنه كان قمة في النبل والخلق والأستاذية. أسجل هذا من باب العدل والإنصاف الذي أمرنا به ديننا الحنيف، فقد كان الدكتور هاشم طوال المكاشفة مبتسماً رغم عبوس بعض الأسئلة، وهادئا رغم صخبها، فيما كان يطلق بين الفينة والفينة ضحكته الشهيرة التي يعرفها المقربون منه.
- ما أثارني أكثر، ولربما يتعجب قارئي الكريم، أن رئيس التحرير الأشهر ودّعني عند باب مكتبه وهو يقول بأن أسئلتك يا أخ عبدالعزيز لم تكن بالجرأة التي توقعتها، فقد انتظرت منك أسئلة أكثر جرأة. ولعل قارئي يساعدني في فهم هذه الأحجية، أهي من باب الاستفزاز لصحافي محنك كرد محترف، أم أن الدكتور هاشم وبسبب استغراقه في المكاشفة التي امتدت لأكثر من سبع ساعات على فترتين، وتفاعله غير العادي مع جو السجال والمواجهة، لم ينتبه إلى بعض الأسئلة الحساسة.. لا أدري، لكني على يقين من أن الذين خالطوه لفترات طويلة يعرفون.

- كان من فرط تشوّق الكثيرين من محبي الدكتور القلة ومناوئيه الكثر أن جاء بعضهم إلى الصحيفة مساء يوم الخميس من أجل اقتناء الصحيفة في طبعتها الأولى، وبرغم أن المكاشفة لم تكن فكرية مثلا أو حتى سياسية، أي إنها لم تكن من اللونين اللذين عادة ما يلقيان رواجاً كبيراً بين النخب والقراء، إلا أن ضيفي أثبت أن له من النجومية القدر الكبير، فضلاً عن امتلاكه لناصية الإثارة الصحافية التي تجذب إليه الأعين أينما حلّ.
- تلقى معدّ المكاشفات اتصالات من بعض المثقفين والدعاة من منطقة جازان الغالية، يشكرون له تلك الإشارة إلى منطقتهم عبر المكاشفات التي نوهت بشكل جريء إلى معاناة المنطقة، وشخّصت بعض الأوضاع السلبية التي يعيشها إخوتنا هناك وبخاصة القرويين ومن يقطنون الساحل، وألحّوا علينا بأريحيتهم الشهيرة وأخلاقهم المثلى من أجل زيارة المنطقة والالتقاء بعلمائها وأدبائها، وأخبرني الأحبة هناك بأن "المدينة" باتت والحمد لله إحدى أكثر الصحف التي يحرص عليها أبناء المنطقة وخصوصاً يوم الجمعة.
- بقي أن كثيرين من الدعاة قد أكرموني ببعض رضاهم بعد سخط، وقد صالحتهم بمكاشفات الدكتور هاشم عبده هاشم بعد أن عتبوا كثيراً على مكاشفات سابقة، ورضاهم بالنسبة إليّ مهم إلى حد كبير، لا سيما في ظل مقولة الشاعر الشهيرة!!

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

كما أن عين السخط تبدي المساويا

لكنني أتمنى دائماً أن يفهم أحبتي هؤلاء وسواهم بأنني صحافي يمارس مهنته على أصولها ولست خطيب جمعة أو داعية وفق النمط المباشر المعروف. ومن الضروري تبعاً لذلك أن ألمّ وأمارس الصحافة بكل حرفيتها واستقلاليتها وموضوعيتها، وإلا فستكون بضاعتي على غرار برنامج "نور على الدرب" أو"

موعظة الجمعة". غفر الله لكل من أساء بي الظن وولغ فيّ وبهتني حبي لديني.. وإلى الحلقة الثالثة من مكاشفات الدكتور هاشم.

عبدالعزيز قاسم

بودي أن أنتقل معك إلى محور جديد دكتور هاشم وتحديداً في رصد تجربتك بمجلس الشورى. أطمع هنا أن تسرد لنا هذه التجربة من منظور شخصي صرف، لاسيما أنك واكبت بدايات المجلس وفي دورتين متتاليتين.. متوسماً تناولك لها بصراحة وشفافية وقد خرجت منها وأنت في حلّ الآن..

* في مجلس الشورى اكتشف الإنسان أنه أمام تجربة جديدة، يتداخل فيها السياسي بالاقتصادي بالاجتماعي بالثقافي، لأن الإنسان هناك يتعامل مع ٩٠ شخصاً، تسمع من أطياف متعددة وترى ألواناً من التفكير. أؤكد لك بأن ما تعلمته خلال تلك السنوات الثماني في مجلس الشورى لم أتعلمه طوال حياتي كلها.

مستوى المناقشات كان راقياً، والسبب يرجع إلى أن الحدود كانت واضحة للجميع منذ البداية. الشيخ ابن جبير رحمه الله كان واضحاً وقال لنا بالحرف الواحد: أنتم تحملون أفكاراً مختلفة، وتعود انتماءاتكم القبلية والعائلية إلى أعراق ومناطق مختلفة. ولكن كلنا هنا ينبغي أن نفكر للوطن أولاً وأخيراً، وأرجو ألا أسمع أحدا يؤثر أو يخص منطقة أو قبيلة أو مدينة. فأصبح هناك مسار واحد فقط وهو مسار الوطن والوطن فقط. ويبقى أن شيئاً من المثالية تكمن في هذا الخطاب، لأن الإنسان يظل يفكر في الخاص للوصول إلى العام، بيد أن روح المسؤولية كان يغلف المداولات والحوار..

باستمرار العمل في مجلس الشورى اتضح لنا بإمكانية الوصول إلى مجلس أفضل وأكثر فعالية فيما لو أن المادة (١٥) التي تتحدث عن وظائف المجلس اتسعت لتستوعب الجانب الرقابي بما يحقق للمجلس جانباً مهماً وهو المسؤولية التشريعية. ما يعني انتقاله من الدور الاستشاري إلى الدور التشريعي. نعلم أن السلطات في أي نظام بالعالم هي تشريعية وتنفيذية وقضائية. في بلادنا السلطة الأساسية والمرجعية هي الملك وهذا لا جدال فيه والتسليم به قائم. لكن آلية تفعيل العمل في الدولة تتبنى وتتولى هذه

السلطات. بعد سنتين من العمل في مجلس الشورى لاحظنا أن هناك بعض التداخل في المهام، كمثال لذلك التداخل بين مهمة السلطة التنفيذية وهي تتبع مجلس الوزراء وبين السلطة التشريعية وهي التي تتبع من مجلس الشورى.. ثمة تداخل وأحياناً تكرار للمهام بين المجلسين مما يؤدي إلى بعض الخلط في المسؤوليات..

عفواً دكتور.. من فحوى كلامك.. لكأني أفهم بأنك هنا تطالب بتوسيع المادة (١٥)؟

* أنا هنا أشير إلى نقطتين هما إعادة نظام مجلس الوزراء ونظام مجلس الشورى للحيلولة دون حدوث أي تداخل في المسؤوليات، بحيث يصبح مجلس الوزراء أداة تنفيذية كما هو الحال في كل العالم وكما تريده الدولة ويصبح مجلس الشورى سلطة تشريعية لها حدود وتراتبية معينة، لو حدث ذلك فسيؤدي إلى إعادة التفكير في المادة (١٥) والتي توسع مهام المجلس بحيث يصبح سلطة تشريعية كاملة تؤدي وظائفها بشكل مستقل كما هو حال مجلس الوزراء وأعتقد أن هذا في ذهن المسؤولين بالفعل.

يبقى أنني أنقل أمنيات كثير من المهتمين بالشأن العام في أن يصل مجلس الشورى السعودي في أدائه وفاعليته إلى ما وصل إليه مجلس الأمة الكويتي الذي تجاوز الدور التشريعي إلى الدور الرقابي والمحاسبي.. سؤالي هنا دكتور هاشم: هل تتوقع تحقق ذلك في المستقبل القريب اتكاء إلى خبرتك وقربك من المسؤولين؟

* أعتقد أن مجلس الشورى أدى الكثير في هذه الحقبة بصرف النظر عن المثال، سواء مجلس الأمة الكويتي أو البرلمان المصري أو البريطاني أو اليمني. أعتقد أن أكثر من عضو في مجلس الشورى السعودي التقى بالمسؤولين أمثال سمو الأمير سلطان وسمو الأمير نايف وكبار المسؤولين وسمعوا منهم ما يؤكد هذا التوجه. وأنا أعتقد أن كبار المسؤولين يفكرون في هذه المسائل التي طرحت وجادون في ذلك لأن مجلس الشورى يستطيع أن ينهض بمهام تخدم الدولة

والوطن بشرط توسيع المادة (١٥) أمامه لتصبح وظائف المجلس رقابية، وتصبح أيضاً تنظيمية ويصبح الجانب التشريعي والقانوني من مسؤوليات صناعة القرار فيه. في تصوري سيتحقق الكثير.

✍ ***دعني أطرح هنا دكتور المأخذ الثاني بالنسبة لمجلس الشورى السعودي والمتمثل في مسألة انتخاب أعضائه.. هناك همس وإشكال، وسؤالي: هل تؤيد قضية انتخاب الأعضاء؟***

* كعضو سابق في المجلس ومن خلال التجربة التي خضتها واستفدت من الأخوة الأعضاء كما ذكرت لك بما لم أستفد في حياتي كلها، أؤكد لك أن هذا لم يحصل إلا لأن أعضاءه منتقون بعناية وفق قواعد اختيار محكمة، كان الهدف منها استثمار هذه العقول. قد يبدو هذا الكلام وكأنني ضد انتخاب الأعضاء وأنا أنفي هذا وأقول: لنجرب.. بيد أنني أشك حقيقة في أن هذه وسيلة الانتخاب ستعطينا نتاجا عقليا تكامليا كالذي نراه.

لذلك الصيغة الأوفى والأمثل في رأيي أن يكون هنا انتخاب وتعيين في نفس الوقت لتتلاقح الأفكار التي تأتي من الانتخاب الذي ارتضاه المجتمع والناس مع العناصر التي تُختار لكفاءتها الذهنية والمهنية أو لقدراتها الخاصة.

✍ ***عفواً دكتور.. لكن ما استشففته من ميل نفسي لك حيال التعيين هو نوع..***

* من مصادرة حقك وحق الناس..

✍ ***صحيح.. هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى فالأعضاء لن يكونوا سوى عناصر موافقة تبصم لمن عينهم وينفذون له ما يريد؟***

* لو دخل أي ممن يقولون هذا القول مجلس الشورى وتابع مناقشاته لاستغرب كيف يكون هذا العنصر معيناً ويتحدث بهذه اللغة عن النظام السياسي والاجتماعي وعن المؤسسة الدينية وعن التربية والتخطيط، كلٌ أعطى نفسه الحق في أن يتحدث كمواطن وليس كأجير، وبالتالي سوف تسمع صوت هذا

المواطن حاضراً وقوياً. المسألة ليست لأنني عُينت فإنني مدين لمن عينني. لا بدّ أن نقرّ بأنه لا يوجد مسؤول إلا ويرغب في الإصلاح وأن ينهض بلده ويرتقي به، وسيسرّ بأن تكون مؤسسات الدولة قائمة بأعمالها على الوجه الأكمل. هل هناك مسؤول يرغب في أن يجلس على كرسي المسؤولية ويرى الفوضى والخراب من حوله؟ الإجابة قطعاً: لا، وإذن فالرغبة في الإصلاح والتطوير موجودة عند المسؤولين، وثق بأنهم إذا سمعوا بهذه الرغبة سواء من أعضاء معينين أو منتخبين فسوف تترك أثراً طيباً في نفوسهم. أعتقد وأجزم لك بأن المسؤول يريد مصلحة البلد لأنه يعلم أن هذا الإصلاح يخدمه هو في المقام الأول ويعمم الرخاء للناس.

الشورى.. مُلزمة أم مُعلمة

✍ ***دكتور.. دعني أعدْ إلى الجزء الأول من حديثك وثنائك على ما يدور في المجلس وما مارستموه من حرية في النقاش، ولكني كأي مواطن عادي ما الذي أفيد من هذا النقاش الذي تدلّ به علينا.. وما يقدمه المجلس ليس سوى استشارة دون أن يكون إلزامياً لصاحب القرار.. دخلنا هنا في إشكالية: هل الشورى مُلزمة أم مُعلمة؟***

* أولا، جواباً على ما ذكرت، مجلس الشورى يتخذ قرارات وليس توصيات. والنقطة الثانية أن المرجعية للملك وبالتالي تُرفع هذه القرارات للملك. وبالتالي عندما يحيلها الملك إلى مجلس الوزراء ليس من أجل أن يناقش أو يعترض، بل يكون التوجيه بشكل يوحي بأن تدرس.. يا أخي ما هو مجلس الوزراء؟ هم عبارة عن وزراء القطاعات والأجهزة المختصة وهذه القرارات تخصهم، ولا بد أن يطلعوا ويبدوا آراءهم، ولكن القرار النهائي بيد الملك و٩٠٪ من القرارات يؤخذ فيها رأي مجلس الشورى. وفي النظامين ما يشير إلى أنه في حال اختلاف مجلس الوزراء ومجلس الشورى في أي أمر يتم اجتماع مشترك

بينهما، وهذا لم يتم حتى الآن لأن نقاط الاختلاف محدودة وبسيطة وليست جوهرية تستوجب اجتماع المجلسين، ولكني أتمنى أن يتم الاجتماع حتى لو كانت حول هذه النقاط البسيطة.

الدولة تلافت هذه الفجوة مؤخراً وعيَّنت مؤخراً وزير دولة لشؤون مجلس الشورى لكي ينقل فكر مجلس الشورى ويوضح بعض القرارات لمجلس الوزراء أو ينقل الاتجاهات السائدة وسط مجلس الوزراء إلى مجلس الشورى ويبلغه وبالتالي يتحقق التقارب بين الموقفين. هذه الخطوة جيدة والزميل الذي تم اختياره لهذه المهمة أيضاً ولدورتين كاملتين...

✍ ***من هو يا دكتور؟***

* (ضاحكاً) هل تختبر ذاكرتي؟

✍ ***أبداً والله فأنت سقطت بامتياز في امتحان الذاكرة هذا. أسألك هنا كصحفي يريد الحصول على معلومة؟***

* هو من منطقة أبها وشاب ذو عقلية علمية جيدة وله دور في المجلس.

✍ ***آتي هنا لمسألة توسيع عدد أعضاء المجلس، أتؤيد ذلك أم أنت ضد التوسع؟***

* ليست المسألة مع أو ضد. أرى أن الزيادة خير، وكلما زاد العدد تمّ استيعاب كل الأطياف والكفاءات التي في البلد، .ولكن أتمنى بجانب التفكير في زيادة العدد توسيع أغراض المجلس من خلال إعادة النظر في المادة (١٥) وإذا تحقق الهدفان في الدورة المقبلة أو ما بعدها أعتقد أن في ذلك خيراً للبلد.

✍ ***آتي للمرأة، وسأتجاوز سؤالاً سيكون ساذجاً لو وجهته لك حيال شأن مشاركتها، وأسألك عن تلك المبررات التي ترى ضرورة مشاركتها كعضو كامل في المجلس؟***

* لا أرى مبرراً في أن نتحدث عن امرأة ورجل. هذا مجال يتطارح فيه الجميع وجهات النظر المتعددة التي تخدم الوطن. ما الذي يستدعي طرح السؤال أو

الاستغراب في أن تكون المرأة جزءاً من المجلس؟ أليست أكاديمية ومتخصصة ومؤهلة؟ أليست جزءاً من المجتمع؟ أليست أُمّا وزوجة وابنة؟.

دكتور.. هل طُرحت مسألة مشاركتها في المجلس بتينك الدورتين التي كنت فيهما؟

* كثير من الناس يتساءلون عن كيفية طرح مثل هذه الموضوعات داخل مجلس الشورى، ونحن لم نطرح ذلك، لأن المجلس لا ينظر إلا فيما يأتيه. والمادة (٢٣) من النظام هي التي تعطي المجلس الحق في أن يطرح أفكاراً أو أنظمة أو قوانين. مجلس الشورى في الدورة الأولى كانت دورة تأسيسية والدورة الثانية كانت مرحلة بناء وكان مشغولاً بأنظمة ٣٠ إلى ٤٠ سنة ليعدل فيها. في الدورتين الأولى والثانية لم تكن هذه القضية لها أولوية. بعد ذلك بدأ الحديث عن مشاركة المرأة ولماذا وكيف وهكذا ولكن ليس داخل جلسات المجلس. في رأيي هذه القضية تحتاج إلى قرار سياسي يحسمها، والمجلس ليس هو من يقترح بل التفكير العام، وعموما ينبغي على الدولة أن تكون جاهزة لاستيعاب دور حقيقي للمرأة.

بصفتك أحد المتابعين للموضوع، وأنا لا أحدثك هنا كأحد أعضاء المجلس السابقين وإنما كمثقف، ما هي وجهات نظر الإخوة الذين يقفون ضد مشاركة المرأة في مجلس الشورى؟

* أولاً ينبغي أن نتفاءل لأن هذا الأمر مسألة زمن، ولعلنا نتذكر كيف كان الموقف من مدارس البنات وكيف أصبح الحال منها. نفس الحال سيكون في المستقبل والمسألة لا تعدو أن تكون مسألة زمن ليس أكثر من ذلك، ثق بهذا..

سأنتقل إلى ذاكرتك الباهتة دكتور.. علك تخفف هنا على قرائي بشيء من ذكريات ومواقف علقت بذاكرتك عبر مشاركتك في مجلس الشورى ورئيسه الشيخ محمد بن جبير رحمه الله؟

* الشيخ محمد بن جبير شخصية غير عادية، وأتصور أن التاريخ سيتوقف عند هذا الرجل كثيراً وسيذكر لهذا الرجل علمه وفكره وشخصيته ووعيه بكل قضايا البلد. كانت لدي مشكلة دائمة في المجلس وكنت دائم الحديث مع الشيخ ابن جبير حولها وهي الجمع بين المجلس والصحيفة، وهو تفهم منذ البداية دوري كرئيس تحرير وبالتالي كنت أسجل غياباً كبيراً بحكم تواجدي في الرياض ليوم واحد وأحياناً قليلة ليومين فكان يتفهم ذلك تفهماً كاملاً، ولم أشعر في يوم بأنه تضايق من ذلك وعموماً كانت مشاركاتي في المجلس جيدة. وقد أتيته من الدورة الأولى وشرحت له ظروفي وأوضحت له أنني لا أستطيع الاستقالة من "عكاظ" وقلت له إذا رأيت في الدورة التالية أنني قد شرفت بهذا العمل لدورة واحدة فقط فأنا سأتقبل ذلك بصدر رحب، وفوجئت باختياري في الدورة الثانية وسألته عن ذلك فقال لي هناك مقاييس أخرى للاختيار غير مسألة الانتظام، وإنه وأصحاب القرار يرون أنني وبعض الإخوة الزملاء كالأطباء لهم دور ومسؤولية وتخصص ويستفيد منهم البلد. تفضل الشيخ ابن جبير وتكرم وتفهم بعد ذلك وقبل إعفائي لأنني كنت أحس إحساساً داخلياً بالقصور وكان يعذبني جداً من الناحية النفسية.

الشيخ ابن جبير كان حاسماً في إدارة الجلسات ولا يسمح بالتداخل والحديث خارج نطاق الموضوع وكان يعطي الحرية للناس في أن يتحدثوا في كل الاتجاهات والأفكار دون أن يقاطع أو يمنع أو يتدخل أو يقرع، عقلية راقية جداً تعجب منه، ونصل معه إلى درجة أننا كنا نطالبه نحن الأعضاء أحياناً بإيقاف النقاش عندما يتسع ويطول.

والله دكتور، من الجميل أن أسمع منك هذا الثناء عن الشيخ ابن جبير، على الأقل أستشهد به أمامك كواجهة مشرقة لعلمائنا في هذا البلد والذين لطالما وصموا من بعض كتّاب "عكاظ" وأنت منهم بالتجهم والشدة والانغلاق؟

* من البداية قلت لك يا عبدالعزيز بأن الرجل نموذج فريد وعالم غير عادي وأعتقد بأنه سيخلد بالفعل لو تُوبعت آثاره ومواقفه وأفكاره وأنماط التفكير التي كان يمارسها. كان حازماً وإلا بالله كيف كان يمكن أن يُدار ٩٠ أو ١٢٠ عقلاً، وأنت تدرك أن عقول الأكاديميين بها نوع من الاعتداد والأنا. الشعور العام لدينا جميعاً أعضاء المجلس هو احترام هذا الرجل رغم تدخله الصارم في بعض الأحيان لإيقاف النقاش إذا خرج عن إطار الموضوعية وليس للحد من الحرية وإبداء الرأي. كان الجميع برغم صرامته يحترمونه ويخشونه. مثل هذه الشخصية يحتاجها المجلس كي تتعامل مع ١٥٠ عقلا كل منهم يمثل نسيجاً مختلفاً وحده.

السؤال البدهي الذي يتبع هذه الإجابة الإخوانية.. وماذا عن الشيخ صالح بن حميد؟ هل تكرمني بمقارنة عاجلة له مع الشيخ محمد بن جبير؟

* أولاً.. ليس هناك إنسان مستنسخ. ولكل إنسان شخصية وطريقة وقدرات. أنا شرُفت بالعمل إلى جانب الشيخ صالح بن حميد، وكنت أتابع طروحاته وأعرفه قبل التحاقه بالمجلس، وأعرف مواقفه وتوجهاته سواء في جانبها الديني أو الوطني أو السياسي كخطيب في المسجد الحرام وكصاحب رأي له شخصية تجمع بين الدماثة والخلق والإدارة بمعانيها المختلفة من حزم وطيبة.

الرجل حازم وطيب وسمح، ولذلك يمكن التمييز بينه وبين الشيخ ابن جبير في أن ابن جبير كان يُحترم بينما كان ابن حميد يُحب. الاحترام له ثمن والحب له ثمن والشخصيتان أتقنت القيادة الرسمية اختيارهما. كلٌ جاء في وقته وأدى ما كان مطلوباً منه. ابن جبير أتى في مرحلة تأسيسية كان يُحتاج فيها إلى قوة وصرامة.

ميزة القوة والصرامة هذه تروقك كثيراً يا دكتور..

* أنا مع الأسلوب العسكري في أكثر الأوقات وإن كان لي رأي في موضوع الإدارة بالحب هي مفيدة وجيدة وتثمر ولكن المشكلة فيمن تديرهم، لأنه إذا فُهم الحب

على أنه الضعف فتلك مصيبة. في الحقيقة فإن الشيخ صالح بن حميد شخصية قوية تتمتع بحب الناس لها لأنه قريب من الجميع.

سألفت نظرك هنا دكتور.. ألا تلاحظ أن اختيار الشيخ محمد ابن جبير رئيساً للمجلس ثم الشيخ صالح بن حميد وهما ينتميان للمؤسسة الدينية.. ألا يعطيك هذا الاختيار رسالة ما أو دلالة ما.. كيف تقرأ ذلك دكتور هاشم؟

* قد يتبادر إلى الذهن أن رئاسة مجلس الشورى محصورة في المؤسسة الدينية وهذا التفكير قد يكون طبيعيا، ولكن ما الذي يمنع؟ ليست المسألة مؤسسة دينية أو اقتصادية أو أمنية.. أنت تريد مجموعة من المواصفات. أنت في بلد إسلامي وتريد العقل والاستقامة والدين والإدارة. وسواء كان من يتسنم هذا الموقع رجل إدارة أم اقتصاد إلا أن الاختيار يتم على من تتوفر فيه هذه الصفات.

كون الصدفة أتت بالأول من المؤسسة الدينية والثاني كذلك من نفس المؤسسة فأنا لا أعتقد أن ذلك كان شرطاً أساسياً وإنما لتوفر مجموعة من الخصائص. ثم إنك تدير مؤسسة تشريعية لا بد فيها من المرجعية وهي عقيدة وفكر ديني، إذا كيف يمكن أن يدير هذه المؤسسة من ليس له عمق ديني وعقدي؟...

عفواً للمقاطعة.. أنت بذلك تناقض نفسك. نهاية حديثك يناقض أوله. ولو سلمنا بما تقول فسوف تنحصر قيادة المجلس في داخل تلك المؤسسة؟

* أنا أعتقد أن كل الناس له من الدين ما يسمح له بأن يتسنم مواقع مسؤولية، ولكن هناك فرق في أن أكون متديناً أو أن أكون ضليعاً في هذا الجانب. صحيح يفضل ذلك، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا الأصل والقاعدة وأن يتم اختياره لمجرد أنه عالم دين. يجب أن تتوفر العناصر الأربعة في الشخص ليأتي إلى هذا المكان. لكن أكرر أنه في المستقبل قد تطرأ ظروف جديدة وأميل بأنه ظروف اقتصادية تتطلب اختيار عناصر اقتصادية مثلاً. لا أتصور أنه شرط أساسي إنما أحد الشروط الأربعة.

ذكريات من مجلس الشورى

✍ ***بعيداً عن مشاكسات الأسئلة، ما الذي علق في ذاكرتك دكتور هاشم من تلك المواقف التي تحدث دائماً مع زملاء في المجلس؟***

* اسمي هاشم، وحرف الهاء من آخر الحروف من حيث الترتيب الهجائي، وكذلك جاء في السلم والترتيب وحتى في المكان وتوزيع الغرف، كنت الوحيد الذي خصصت لي غرفة واحدة وسكرتير لأن كل اثنين في المجلس يخصص لهما مكتب وسكرتير، وانتهوا إليّ ولم يجدوا لي زميلاً لأنني الأخير في السلم. وأيضاً لأنني الأخير، كان بجواري الدكتور نزار مدني. ولطالما استمتعت بتعليقاته الطريفة على طروحات الزملاء. وحتى الآن يتذكر دكتور نزار تلك المواقف والتعليقات الساخرة والناقدة، وقد رجع إلى وزارة الخارجية بمرتبة وزير دولة مساعد لوزير الخارجية. عندما نلتقي نتذكر بعض المواقف والتعليقات الساخرة. وبعد أن ذهب شعرت بفراغ كبير رغم وجود زملاء آخرين، لكن كان بيني وبين الدكتور نزار تقارب نفسي وثقافي، وكان يتمتع بروح النكتة والدعابة وكان شخصية مميزة.

✍ ***للشارع السعودي أمنيات في دور أكبر لمجلس الشورى يواكب التغييرات التي تشهدها المنطقة. أشعر أنني لم أحظ كثيراً برؤيتك لتفعيل أداء المجلس، وأود أن أسمع منك حديثاً إضافياً بشأن ذلك دكتور بعد مطالبتك بتفعيل المادة (١٥) وعدم وقوفك ضد انتخاب الأعضاء وميلك واستحسانك للتعيين؟***

* كان حديثي مع معالي الشيخ ابن جبير أثناء الدورتين ملحّاً ودائماً في فكرة وجود وزير دولة لشؤون مجلس الشورى، ولا أدعي بأنني أول من طرح ذلك فتنباه الرجل. لربما كان هناك توافق في التفكير بيننا، ورأى معاليه أنها فكرة صائبة وجيدة، وقد تحققت ولله الحمد وأفادت.

تظل هناك فكرة أخرى كنت أطرحها عليه ولم تتحقق. كنت أرى أن تقسّم أعمال المجلس إلى شؤون داخلية وشؤون خارجية أو شؤون سياسية وشؤون

محلية، لأن مجلس الشورى الآن ليس وحيداً، فلديه اتصالات ببرلمانات العالم، واستشراف أدائها والإفادة من تجاربها، وهناك زيارات خارجية للمجلس في ما تحدثت للتو فيه. رؤيتي كانت على أساس أن يقسم عمل المجلس إلى شأن داخلي وشأن خارجي ولا بد أن يكون للرئيس نائبان أحدهما للشؤون الخارجية والآخر للشؤون الداخلية وأتصور أن ذلك لو تحقق في الدورة المقبلة أو التي تليها فسوف يتحقق التكامل لأعمال المجلس.

إذن ما تحقق هو وزارة الدولة لشؤون المجلس، وإذا تحقق ما طرحته فسوف تكتمل وستصبح آلية العمل داخل المجلس إذا ما أضيف لها توسيع المادة (١٥) وسوف تكون لدينا مؤسسة تشريعية قوية تستطيع أن تخاطب العالم وأن تفهم وتستوعب ما يدور فيه، وتخاطب في الآن نفسه المواطن، وسيبادر المجلس في طرح الأفكار ولا يكتفي بمناقشة ما يطرح عليه...

ما ذكرته هنا مهم جداً دكتور.. وهي من المآخذ التي تؤخذ على مجلس الشورى السعودي والمتمثلة في عدم مبادأته ومبادرته..

* المبادرة موجودة ومنصوص عليها في المادة (٢٣) والتي عُدِّلت تعديلاً جيداً وكانت تنص المادة على أن يقترح المجلس ويرفع اقتراحه للملك ليوافق عليه. في التعديل أصبح المجلس يقترح وينفذ، ولكن المجلس في الفترة السابقة وحتى الآن مشغول بالانغماس في قراءة أنظمة خمسين سنة. المادة (٢٣) أو تعديلها لم يفعّلا بما فيه الكفاية. لو تمّ تفعيلها أو وسِّعت أغراض المجلس في المادة (١٥) فسوف يعطي ذلك للمجلس قوة حقيقية؛ لأنه سيبدأ في التقاط ما يدور في أذهان الناس ويتبناه ويطرحه.

دعني أشاكسك بهذا السؤال: لا يستطيع فهمي القاصر أن يدرك ويحيط في الذي يستطيع أن يقدمه د. هاشم عبده هاشم لمجلس الشورى وهو رئيس تحرير ومدير عام وعضو في لجنة الحدود اليمنية السعودية.. ساعدني دكتور..

* (مبتسماً) وعضو جمعية المعاقين وعضو في رعاية الشباب وجمعية التدخين وعضو هيئة تدريس في جامعة الملك عبدالعزيز..

هذه مسؤوليات عديدة وكبيرة، لا أفهم ما الذي تستطيع تقديمه للمجلس؟ ألست معي في وجاهة سؤالي دكتور؟

* هو سؤال مشروع على أي حال، والبلد فيها خير كبير وكفاءات وأناس متفرغون يستطيعون المشاركة برأي نافذ وقوي أكثر من هاشم عبده هاشم. ولكن القياس ليس بأن فلاناً من الناس منشغل وفلاناً متفرغ ويجب اختيار المتفرغ. ليس الاختيار على أساس التفرغ أو الوقت بقدر ما هو البحث عن مجموعة من العوامل تتوفر في هؤلاء الناس الذين تم اختيارهم. لا أريد أن أفكر نيابة عن الدولة، ولكني أفكر في أسباب اختياري، هل لأنني أمثل منطقة جنوبية؟ هل لأنني عنصر إعلامي مع الزميل فهد العرابي الحارثي العنصر الإعلامي الآخر؟ هل لأن عندي تجربة متنوعة بحكم السن؟ هل تمّ اختياري لأني في وسيلة إعلامية تلتقي في طروحاتها مع توجهات الدولة؟ قد يكون أحد هذه العوامل وقد يكون لها كلها وقد يكون الاختيار خطأ وقد يكون صحيحاً. لكني في النهاية لست أنا من اخترت نفسي.

لكني أستطيع القول إن مجلس الشورى يحتاج إلى التجمّع، ويحتاج إلى القدرة العقلية التي تعمل على التحليل والتفسير وإلى الشخص الذي لديه القدرة على التجرد من رؤاه الخاصة وخياراته ويفكر بشكل أو بآخر للوطن. هل توفر في هاشم أو في سعيد أو أحمد؟ هذا ما يحدده صاحب القرار. ولكني أعتقد أن هناك شروطا واضحة ينبغي أن تتوفر في العضو، وأتمنى حتى في ظل الانتخاب مستقبلا ألا تسقط هذه الاعتبارات لأننا مجتمع يتكون من نسيج متعدد. لو أحسنا الاختيار بناءً على قواعد التمثيل الكلي للوطن والقدرة والكفاءة الذهنية والخبرة. أعتقد أن الناخب هو الذي سيحدد مستقبلاً.

✍ ***كأنني أتلمس في حديثك عن الانتخابات بأن لك موقفًا نفسياً سلبياً نوعاً ما ترجمته في مقالة لك في الأسبوع الماضي عن الانتخابات البلدية وأبديت عدم رضاك من السلبية التي تبدت في عدم الإقبال؟***

* لكي تكون الأمور واضحة، أقول ابتداء إنني مع الانتخابات، وأنا مع التوجه المستقبلي، وأن يكون الانتخاب مبنياً على أُسُس محددة وهو الاختيار للأنسب وليس للأقرب للنفس أو المصلحة الشخصية...

✍ ***هل أنت هنا تخاطب المسؤول أم الناخب؟***

* أخاطب الناخب وأقول له إنك أنت الذي ستجنى نتائج هذا الانتخاب سلباً أو إيجاباً. بعض الناس يؤمنون بأن رجال القبائل هم الذين ستأتي بهم الانتخابات أو المتنفذين أو رجال الأعمال. أردت أم لم ترد سيأتون. ولكن ما الذي يمنع أن يكون هذا الذي يأتي مواطناً صالحاً ومحباً للخير ومفكراً جيداً أو رجل قبيلة يعرف حقوق وطنه؟ ولكن إذا تم اختياره لمجرد اعتبارات شخصية فهو رئيس قبيلتي أو صديقي القريب للنفس أو لنفوذه أو لماله أو ما شابه ذلك فإنني هنا اسقط الهدف الأساس من الاختيار وهو مصلحة الوطن.

✍ ***دعوتك هنا دكتور اسمح لي أن أصفها بأنها تتسربل اليوتوبيا أو المثالية. ليست لنا تجربة انتخابية سابقة على مدى أربعة أو خمسة عقود. كيف تفترض في هذه الأجيال أن تتوفر فيها ثقافة الانتخابات التي تتوسم؟***

* لا بد أن نبدأ لكي تتكون عندنا هذه الخبرة. نحن في "عكاظ" لدينا صفحة يومية هدفها التوعية وأعتقد أن هذه هي وظيفة وسائل الإعلام. وأوجه رجاء لوسائل الإعلام أن تقوم بواجبها وتهيئ المجتمع وتثقفهم في هذا المجال.

حصانة كتّاب "عكاظ"

✍ ***أكتفي هنا بما قلت وأنتقل إلى نقطة أخرى عن حصانة الكُتَّاب في "عكاظ" وأضرب أنموذجاً بعبدالله أبو السمح وهو في مصادماته اليومية مع التيار المحافظ وليس الديني فقط. يُقال إنك تتبناه وترفض نشر الردود على ما يكتبه، إلى الدرجة التي تأخذ هذه الردود وتعرضها على كاتبك الأثير لينتقي ما يريد. هل هذا صحيح؟***

* من سياستنا في الجريدة أن نُطلع أي كاتب على ما يُكتب عنه، وهذا حق له، ولا ينبغي أن يفاجأ كاتب في الصحيفة أن تنشر شيئاً يتعلق به دون علمه، أليس هذا منطقياً؟ عندما تأتيني رسالة عن كاتب فإني أطلعه عليها ولكن هذا لا يعني أنني أطلب منه أن يوجهني أو أن يتخذ القرار بنشرها. لكني أطلع أي كاتب على كل ما يُكتب عنه وليس عبدالله أبو السمح فقط.

✍ ***ولكن لماذا لا تكون لديكم السماحة في عرض الرأي الآخر؟***

* ننشر ما يصلح منها للنشر، خذ مثالاً الأستاذ عبدالرزاق حمزة الذي يرد على أبوالسمح بكل قوة وننشر له. ولكن هناك انطباع، والظاهر أنه انتقل إليك يا أخ عبدالعزيز، تصل إلى حد القناعة الكاملة لدى البعض بأن "عكاظ" مع وضد، هذه ليست صحيفة من تنتهج هذه القاعدة. نحن لسنا مع وضد ولكن الحالة النفسية التي تتلبس التيار الآخر تجعله يقتنع بما يعتقده من "عكاظ" ضده.

✍ ***والله أنا سعيد جداً بجملتك هذه دكتور من أن القضية حالة نفسية فقط.***

* أقولها بصوت عالٍ.. الباب مفتوح للكل وتفضلوا، وإذا لم يكن كذلك فلسنا صحيفة جديرة بأن تكون للجميع.

✍ ***سآخذ هذا مانشيتاً يا دكتور لان الأخوة المحتجين سيلزمونك بتحقيق ما قلت..***

* (مبتسماً).. افعل ما تريد وأنا عند كلمتي من أن الأمر نفسي فقط.

معجزة "عكاظ" ونجاح هاشم

✍ ***نعود إلى معجزة "عكاظ" رغم تحفظ كثيرين على مفردة معجزة ولكني أصر على أن ما فعله هاشم عبده هاشم في "عكاظ" يعتبر معجزة. أريد أن تحدثنا كيف صنعت هذه الإنجاز وقفزت بالصحيفة إلى الصف الأول بين الصحف السعودية؟***

* سأبسط لك الأمور. هناك سياسات وُضعت ومُرحلت، عندما بدأت في عكاظ كانت الصحيفة تأخذ منحى معيناً وكان توزيعها في ذلك الوقت ١٢ ألف نسخة. هذا الرقم البسيط تمت دراسته بسرعة متناهية، وكان القرار الأول هو أن تصبح "عكاظ" صحيفة مدينة جدة وتتغلغل في مجتمعها المحلي.

بعد ذلك اتسعت الدائرة وبدأنا نخطط لأن تكون "عكاظ" هي صحيفة الغربية، وترتب على ذلك إنشاء شبكة من المراسلين، لان أي سياسة يتبعها تكلفة.

بعد ذلك اتجهنا لأن تكون "عكاظ" هي صحيفة الوطن كله وقبل أن تخلق "الوطن". كان الترتيب على ذلك النحو: المدينة، ثم المنطقة، ثم الدولة. كل مرحلة من هذه المراحل استغرقت ما بين خمس إلى ثماني سنوات وارتبطت بمنهجية وخطة معينة لكل مرحلة.

إذن بدأنا برفع التوزيع في المدينة، ثم اتجهنا للأقاليم والتي بدأنا نمثلها منذ بضع سنوات بصفحات محددة، الشرقية وجازان وتبوك وغيرها، مما يثبت أن "عكاظ" ليست لجازان (ضاحكاً).. أردنا أن نتغلغل في المجتمع، ركزنا على الجانب الاجتماعي والإنساني وعلى هموم الناس وعلى صوتها واحتياجاتها وإيصال صوت الأقاليم وصورتها. ما حدث ليس معجزة لأنه ارتبط بالتخطيط السليم.

✍ ***تبقى هناك عوامل لوجستية ومساندة ساعدتك؟ بمعنى آخر، ما قلته دكتور هو إطار عام موجود في كل صحيفة ولم تضف جديداً.. لكن أين كمنت لمسات هاشم عبده هاشم من خارج هذا الاطار؟***

* لا بد أن تعرف ماذا يريد القارئ. القارئ ينحاز للصحيفة التي يجد نفسه فيها. الإعلام اختلف الآن والقنوات الفضائية صارت تنافس في كل شيء وهي تنقل الحدث في نفس لحظته وننقله نحن في اليوم التالي. لدينا اجتماع تحرير صباحي يومي تسبقه قراءة لأهم الأحداث الواردة في الصحف. في العاشرة يبدأ اجتماع التحرير. كل البرامج اليومية تقوم على سؤال هو ماذا يريد القارئ مني غداً؟ ماذا في صفحة الاقتصاد مثلاً وننبه محرر الصفحة إلى التفكير نيابة عن الاقتصادي أو الفني او الرياضي. كونك أن تعرف ماذا يريد القارئ وتسبقه إليه فهو الذي يميز صحيفتك.

اسأل عن الفريق الذي كونته لتحقيق هذا الهدف عبر المنهج الذي شرحت، ما هي الأدوات التي استخدمها هاشم عبده هاشم لتحقيق رؤيته؟

* الوظيفة الأساسية لرئيس التحرير هي التفكير في الغد ومن ثم التخطيط. ينبغي أن يكون رئيس التحرير متقدماً على زملائه في طرح الأفكار لا أن يسمع منهم ويؤيد أو يعترض فقط، ينبغي على رئيس التحرير أن يكون لديه شيء ليضيفه، لا بد أن يكون فوق زملائه في كل التخصصات بالنسبة للأفكار. هنا يكتسب احترامهم ويفتح أمامهم آفاقاً جديدة، وحتى عندما يطرح المحرر فكرة على رئيس التحرير أن يوجه بتوسيعها لاكتساب جميع الجوانب المتعلقة بها وأن يتم الذهاب إلى المصدر الفلاني وكذا. رئاسة التحرير هي التنبؤ والتخطيط والمتابعة وحسن الأداء والتنفيذ. صحيح أن رئاسة التحرير في الصحف الخارجية تقوم على كتابة مقال وتحديد السياسات العامة، ولكنها هنا مسؤولية كلية وليست مجرد وظيفة، هي استشفاف لما يريده القراء وهذا هو الفرق بين رئيس التحرير ورؤساء أقسام الصحف. الاقتصادي يفكر في الاقتصاد والثقافي يفكر في الثقافة. رئيس التحرير ينبغي أن يفكر نيابة عن الجميع. هذا التفكير المشترك يخلق روح تفكير للجميع. ينبغي أن تكون حالة الانبهار متوفرة عند المحررين. الفكرة الأساسية هي استقراء ما يريده القارئ.

✍ ***ثمة جوانب أخرى دكتور لم تذكرها .. دعني أبادرك هنا وأشير إلى سياسة الصرامة الشديدة والمتابعة اللصيقة، إلى درجة الضجر، التي تمتد حتى بيوت محرريك المساكين؟***

* (ضاحكاً بصوت عالٍ) هذه المتابعة، أميزة هي أم عيب؟

✍ ***والله نعم هي ميزة، ولكن..***

* متابعتي للمحررين في بيوتهم ومكاتبهم لمصلحة من؟ أليست لمصلحة الصحيفة والبلد والقارئ ولمصلحة المحرر نفسه، لأن الصفحة تحمل اسمه. نحن نطالب من يعمل معنا بالحد الأعلى من الأداء. كوننا نتابع الدوام لا يعني متابعة متى دخل هذا أو متى خرج فقط بل أيضاً وأنتج ماذا؟ هناك تقرير يومي لرئيس القسم إلى رئيس التحرير. عندنا اجتماعات قطاعية كما ذكرت لك. من الساعة التاسعة إلى الساعة التاسعة والنصف هذا وقت قراءة الصحف. من التاسعة والنصف إلى العاشرة اجتماع كل قسم على حدة لتقديم المواد التي ستُعرض على رئيس التحرير. نلزم الجميع بالحضور في التاسعة لحضور اجتماعهم ثم يبدأون الانتشار من التاسعة والنصف وحتى الحادية عشرة ظهراً ثم يعودون لإعداد موادهم بحد أقصى عند الثانية عشرة. هذا النظام العسكري الدقيق يتطلب بعض القسوة أحياناً.

قراءات في نجاح هاشم

✍ ***لأسرد ما لدي بشأن نجاحك في "عكاظ". بعضهم يقول إن هاشماً لم ينجح إلا بعد غياب خصمه القوي أحمد محمود وتراجع صحيفة "المدينة" التي كانت هي الأولى، بمعنى أن نجاحك لم يحدث إلا بعد أن ضعُفت المنافسة وابتعد رئيس التحرير القوي عن الساحة؟***

* أنا وأحمد محمود بدأنا سوياً. وهناك احترام كلي متبادل بيننا، وكلانا من تلاميذ الأستاذ محمد صلاح الدين. منذ البداية كان منهج أحمد محمود

وتركيزه على الجانب السياسي، في ما كنت أنا أركز على الجانب المحلي والرياضي وما إلى ذلك. هو يعرف من هو هاشم وأنا أعرف من هو أحمد محمود. هناك احترام وتقدير متبادل بيننا. أحمد مهني ورئيس تحرير جيد ويمكن أن نختلف في المنهج الفكري. مهنياً نتفق في أشياء كثيرة ونختلف فكرياً. أحمد نهض بـ"المدينة"، لكن "عكاظ" كانت تفكر دوماً في الناس. أحمد يفكر في الآخر والخارج والثقافي وهذا ليس صراعاً بين منهجين مختلفين. واحد يفكر في القارئ المحلي البسيط والآخر يفكر في الصفوة والنخبة.

✍ ***ألخص إجابتك في أن ما ذُكر ليس له نسبة من الصحة؟***

* على الإطلاق، بل إن نجاح "عكاظ" كان مبنياً على وجود منافس قوي و"عكاظ" لم تظهر ولم تتقدم إلا في وجود منافس قوي هو جريدة "المدينة " ولولا ذلك لما كانت "عكاظ" بهذا التميز.

✍ ***إذن لأسرد عليك تحليلاً آخر. هاشم عبده هاشم أتى إلى "عكاظ" ووجد الطريق ممهداً أمامه، وكل ما فعله هو أنه قطف ثمرة من عمل قبله سواء في مجلس الإدارة أو هيئة التحرير ولم يصنع هذا النجاح بقدر ما قطف ثمرته؟***

* كل مرحلة من مراحل "عكاظ" كان لها منهج مختلف، تفكيراً وتخطيطاً، "عكاظ" في أيام الخياط كانت ذات منهج معين، وفي عهد رضا لاري اختلفت وهي مختلفة أيضاً في عهد هاشم عبده هاشم، ليس هناك استغلال لتجربة لأن طريقة كل منا كانت مختلفة، لأننا أشخاص مختلفون تماماً.

لو حللنا كل شخص ودرسناه بدءاً بعزيز ضياء وانتهاءً بهاشم عبده هاشم وماذا قدموا لـ"عكاظ" سنجد أن كلاً منهم قدم لها أفضل ما لديه ولكن بطريقته الخاصة. إذن لا يوجد شيء تراكمي إلا في الإطار العام وإبقاء الصحيفة تنويرية. إنما كيف تحقق ذلك وبأي وسائل؟ كان ذلك عبر توثيق العلاقة بالمصادر الداخلية والخارجية والرسمية والعامة، كلٌ منا أعطى "عكاظ" أفضل

ما لديه وأنا أحترمهم جميعاً، وأعتقد جازماً أنهم أسهموا في بناء "عكاظ" مساهمة كبيرة وأعطوا وقدموا ولكن تظل لكل منهم بصمته.

ضريبة النجاح.. توقف المسيرة

✍ ***سامحني في تحليلي دكتور، ولكن أشعر أن نجاحك في "عكاظ" قد جنى عليك، فلقد توقفت مسيرتك نحو مناصب أعلى كوزارة الإعلام مثلاً التي كنت تطمح دوماً. منطقي جداً أن تبقى، فلو كنت صاحب قرار، فلن أفكر إطلاقاً في أن أنزع هاشماً من مكانه وأضعه في وزارة أو سفارة لأنه لن يخدمني أحد في "عكاظ" بمثل ما يفعل هاشم عبده هاشم؟***

* أسألك: ما هي العبقرية التي أتى بها هاشم عبده هاشم؟

✍ ***"عكاظ" قامت بأدوار وطنية، ولا زلت أقول - رغم نفيك - أنها صحيفة الدولة الرسمية بل هي اقتعدت كرسي صحيفة "أم القرى"؟***

* عيب أن نقول بأن "عكاظ" هي صحيفة الدولة، وعلينا ألا نخلط في الأمور، "عكاظ" هي صحيفة الوطن منذ أن وُجد فيها هاشم عبده هاشم والدولة والوطن مكملان لبعضهما.

ليس عيباً أن تكون "عكاظ" هي صحيفة الوطن، أنا لم آت بالمعجزات ولم أكن ضامناً. هناك أوهام وشائعات كثيرة تتردد بأن هاشم عبده هاشم سوف يعين وزيراً للاعلام أو سفيراً. أنا لا أشغل نفسي بهذه الأمور أبداً، وكل همي الشاغل هو كيفية تحقيق أهداف الصحيفة التي أريد لها أن تُعبِّر عن القارئ.

هذا هو همي على مدى التاريخ الذي عملت فيه، وأشعر دائماً بالراحة التامة لذلك. وأجلس واسمع وأبتسم وأضحك مما أسمعه من هذه الشائعات فيما أنا مستمتع بعملي. أنا أؤمن دائماً بأن النجاح يقود الإنسان إلى النجاح الأكبر. إذا فرضنا أنني ناجح في هذا المكان فلماذا أحرم نفسي من الاستمتاع بهذا النجاح؟

عندما تم اختياري في مجلس الشورى قيل إن هاشماً يراد له الابتعاد عن الصحيفة وإن هذا تكريم لكنه حرمان في نفس الوقت، لكن ثبت أن هاشم ضحى بمجلس الشورى لأنه يحب صحيفته ومهنته ولكن لو عُرض علي أي عرض آخر...

✍ ***أعتذر عن مقاطعتك لأن هنا سؤالي التالي: إلى متى يادكتور؟.. أما آن الأوان لتستريح؟.. متى ستنتهي علاقتك بـ"عكاظ"؟***

* أنا أديت واجبي وأشعر بارتياح تام وأشعر دائماً بأني لست أبدياً. لكن ما دمت أستطيع تقديم شيء آخر فلن أتأخر، لو وُجد من يريحني من هذا الموقع فأنا مستعد اليوم قبل الغد. وعلى يديك يا أخ عبدالعزيز، هات من يريحني من هذه المسؤولية الكبيرة وسأكون سعيداً اليوم قبل غد..

✍ ***اسمح لي دكتور هنا، لكأنك توحي بأمنيتك أن تتقاعد من "عكاظ". كيف يستقيم الأمر وأنت ما فتئت باحاطة نفسك بالضعفاء فقط، وفرقت الأقوياء من محرريك شذر مذر وشردتهم أيدي سبأ؟***

* من هم الأقوياء ومن هم الضعفاء؟

✍ ***أعيد لك صياغة سؤالي طالما أنا أمام أستاذ الصحافة السعودية: إحدى سياسات هاشم عبده هاشم في صحيفة "عكاظ" أنه يحيط نفسه بالضعفاء فقط خوفاً على منصبه...***

* مثل من؟

✍ ***علي مدهش، سعيد السريحي كل من لا يمثلون عليك أي خطر.. بل ربما كان أيمن حبيب هو المهني المميز وأنت من أبعدته؟***

* من المهم أن نتفق على من هو القوي ومن هو الضعيف؟ ما هو مفهوم القوة والضعف في العمل الصحفي.. أنا أسألك هنا؟

مما تعلمناه في مهنيات اللقاء الصحفي، إذا قام الضيف بتحويل الإجابة إلى سؤال للصحافي فهذه محاولة منه لاستلام دفة الحوار والهروب تالياً من السؤال ومحاولة منه لنقلة شعورية.. لذلك أتمنى دكتور أن تجيب؟

* (مبتسماً) القوة والضعف تحسبان بمدى توفر معايير معينة في الجانب المهني والأخلاقي والثقافي المعرفي. هذه الأسس الثلاثة هي التي تحدد القوي من الضعيف. العنصر القوي هو الذي تتوفر فيه المهنية العالية والثقافة الجيدة وقيم معينة يحافظ من خلالها على شرف المهنة. إذا كان هناك أي خلل في أي من هذه الجوانب الثلاثة تبدأ المقارنة بين قوي وضعيف.

النقطة الثانية هي أن "عكاظ" قوية بهؤلاء الكوادر. في "عكاظ" غير سعيد السريحي وعبدالعزيز النهاري وهاشم الجحدلي هناك ٧٠٠ شخص أو ٣٠٠ مهني عالٍ، كلهم يسهمون في هذه الجريدة وإذا تصور أحدهم أن هاشماً هو الذي يصنع هذه الجريدة فهذا خطأ ولبس لا داعي له.

الذين هم في "عكاظ" ليسوا ضعفاء، وهاشم لا يملي سياساته ونحن نتناقش ونختلف وتعلو أصواتنا يومياً ونعترض ويتراجع رئيس التحرير في أحايين كثيرة عند ظهور الصواب، ويمتثل لآراء المجموعة أو تمضي آراؤه وقراراته إذا كانت هي الصحيحة. أجزم لك بأن "عكاظ" هي الجريدة الوحيدة التي لا ينقطع فيها النقاش يومياً. القوي هو الذي تتوفر فيه الصفات التي ذكرتها.

أما بالنسبة لأيمن حبيب، فأنا لم أتخلص منه. بل هو الذي استقال في ضوء خيارات كانت أمامه وهي أنه يريد مواصلة الدراسة وهو الذي اختار...

دكتور.. ألم تضايقه أنت وتدفعه لهذا الخيار؟

* لماذا أفعل؟

ربما في شعورك بالخطر على منصبك الذي أكدت لنا للتو أنه متاح لمن أراد أن يأتي؟

* ليأتِ من يأتي، والى الغد وبعد الغد. أولاً المؤسسة ليست ملكاً لهاشم عبده هاشم. أؤكد لك أن الخطر الذي تتحدث عنه لا يصنعه إنسان. العمل الصحفي عمل جماعي وإذا كان هاشم عبده هاشم يتوهم أنه قوة خارقة ولا يمكن أن يأتي مثله فهو على خطأ. إذا كان أيمن حبيب يعتقد أنه قوة خارقة يخشاها فلان أو علان فهو على خطأ.

"عكاظ" قوية بمجموعتها، ولا أعتقد أن هناك خلافاً بيني وبين الأخ أيمن. يمكن أن يكون هناك اختلاف في وجهات النظر كما يحدث يومياً بيني وبين بقية الزملاء، وهناك اختلاف بيني وبين الزملاء أكبر بكثير مما اختلفت فيه مع أيمن حبيب الذي أعتبره أحد أبنائي، وأعتقد أنه يعلم هذا جيداً ويعرف أنه تربى في مؤسسة اسمها "عكاظ" على يد هذا الإنسان ومن قبلها في "المدينة" و"البلاد".

✍ ***هنا دكتور.. يتساءل الكثيرون عن السبب الحقيقي في استقالة أيمن حبيب من "عكاظ"، وأنت بالتأكيد من موقعك كرئيس التحرير ملمّ بتفاصيلها؟***

* لا بد أنك سألته.

✍ ***لم أسأله أبداً. بل كان مجرد اتصال هاتفي سريع، بيد أن المشاع في الوسط الصحافي أن استقالته بسبب حوار أحمد زكي يماني. هلا أكدت لنا هذا أو نفيت؟***

* ليس صحيحاً أن يكون هذا الحوار هو السبب، إذا كان هناك مائة اختلاف بين الصحيفة وبين الأخ أيمن فليست هي في الجوانب المهنية على أي حال.

العلاقة مع إياد مدني

✍ ***دكتور.. سأفتح معك موضوعاً حساساً أرجو أن تتقبل الحوار حوله بصدر رحب، وقد لمست أريحيتك في تقبلك إلى الآن أسئلتي المشاكسة.. الموضوع يتعلق***

بالأستاذ إياد مدني وقتما كان مديراً عاماً لـ"عكاظ"، يقال إن هاشَما شعر بأن الرجل حجر عثرة أمام تقدمه.. فكان هذا سبب خلافه معه وشكواه..

* أنا أحتقر أي إنسان سواء على المستوى الشخصي أو الرسمي أو المهني أن يعمل في الخفاء ويلجأ إلى أساليب وضيعة أو أن يعمل في الخفاء للتخلص أو التأثير على خصومه، هذه ليست أخلاقي ومبادئي وأنا أنظر بالازدراء إلى هذه النوعية من البشر ممن يستخدمون هذه الوسائل للوصول إلى غاياتهم بوسائل رديئة وباستخدام أدوات غير أخلاقية.

الشيء الآخر ليس هناك من أعتقد أنه وقف أمامي. بل بالعكس كل من عملت معهم أو عملوا معي كانوا وسائل دعم لي. أبداً لم يقف أحد أمامي، الدكتور محمد عبده يماني جاء بي في أحد الأيام، وبعد تكليفي برئاسة تحرير "عكاظ" وقال لي: سنختار الأستاذ إياد مدني مديراً عاماً للمؤسسة، ما رأيك في ذلك؟ فأجبته بأن الرجل صاحب وعي وثقافة وخلق. كوننا نختلف منهجيًا في أشياء أخرى إلا أن ذلك لا يمنع أن أسجل بأنه كان نعم الرجل في إدارته وعمله. حتى مع اختلافنا الفكري إلا أننا كنا نعمل كفريق عمل متجانس داخل المؤسسة وتحقق كثير من النجاح نتيجة لهذا الانسجام والتعاون بيننا. الاختلاف المحدود بيننا كان اختلافاً تحكمه الرجولة. كان الاختلاف بين رجال يجلسون ويتفاهمون وكان هناك نوع من التعاون اليومي الدائم. وهو الذي اتخذ قراره وترك المؤسسة نتيجة اختلاف وجهات نظر بينه وبين الشيخ صالح كامل.

ألخص إجابتك دكتور بأن ذهابه ليس نتيجة لخلافه معك كما أشيع في الوسط الصحافي؟

* لا. ويمكنكم أن تسألوا الشيخ صالح كامل. كان هناك اختلاف راقٍ في وجهات النظر داخل مجلس الإدارة وفضل هو الانسحاب. أما على المستوى العملي أعترف أننا كنا نختلف في بعض الأمور، لكننا متفقون مهنياً وبنينا هذه

المؤسسة سوياً. وله فضل كبير جداً في الجوانب المالية والإدارية والتنظيمية وحتى المهنية له فيها دور بتكامل جهودنا معه أصبحت "عكاظ" التي تراها الآن.

✍ ***ولكن في حديثك هذا تنسف مسلّمة وشائعة مسلَّم بها في الوسط الصحفي بأن هاشم عبده هاشم كاد للأستاذ إياد مدني حتى ضجر وذهب؟***

* إياد مدني من الرجال الذين أعتز بفكرهم الإداري والمهني، وكان تفاهمنا كبيراً ولم يكد أحدنا للآخر..

✍ ***يدللون على ما يقولون بمحاولتك الجمع بين منصبي رئيس التحرير والمدير العام والذي أفلحت فيه لا حقاً؟***

* لم أسعَ لذلك على الإطلاق وقرار الجمع بين المنصبين جاء بعد خروج الأخ إياد بمدة طويلة، وعندما تنظر إلى المؤسسة الآن تجد أن هذه المنجزات لم تتحقق إلا خلال مدة الجمع وبالتعاون الكبير بيني وبين معالي رئيس مجلس الإدارة السابق الشيخ عبدالوهاب عبدالواسع وبدعم مميز وحقيقي من مجلس الإدارة آنذاك.

هاشم عبده هاشم في ختام مكاشفاته:

كيف يمكن أن أكون إصلاحياً إذا كنت ألتقي مع دولة تحاول أن تدوسنا؟ أو مع نظام يريد أن يقضي علينا؟

- إذا كانت المنجزات التي تحققت إبان رئاستي تتم بالتسلط والفردية فلتكن كذلك إلى يوم الدين.
- هناك ناس ليسوا إصلاحيين ومن الضروري أن لا نؤخذ بالغوغائية أو الشعاراتية.
- محمد عبدالواحد ليس مختلفاً معي لكنه يحب أن يسجل وجوده دائماً حتى وإن بدا أنه مختلف مع الشيطان.
- انظر كم توزع صحيفة"الوطن" الآن وكم نوزع نحن؟
- أنا مع التوسع في قنوات النشر والإعلام وعدم وضع حدود وموانع أمام قيام المزيد من المؤسسات الصحفية.
- الوطن يُخدم بالتوازن فلا ينبغي أن نكون (ليبرل) بشكل مطلق أو متشددين بشكل مطلق.
- دكتور عثمان لم يتم تعيينه نائباً لرئيس التحرير إلا بعد أن تركت منصب المدير العام.
- هناك فرق كبير بين الفرقعات والحقائق على الواقع.
- على الصحف السعودية أن تعيد النظر في أنماط التفكير السائدة فيها إذا أرادت أن تصبح قوة مؤثرة وفاعلة في المجتمع.
- الصحافة السعودية المهاجرة عادت إلى أرض الوطن بأقوى ما يكون الحال.
- الوزير إياد مدني لا يحتاج لمن يقول له كلمة.. إنه بحاجة إلى الدعاء.

* نشر الحوار في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٦/ ١ / ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٥ فبراير ٢٠٠٥ م

بين يدي مكاشفات

● في هذه الحلقة الأخيرة التي بين أيديكم من مكاشفات د. هاشم عبده هاشم، حاولت جاهداً أن أظفر برؤيته أو لنقل تقييمه لوزراء الإعلام الذين عاصرهم، أكان من زاوية نظر محرر شق طريقه في دنيا الصحافة، أم من زاوية نظر رئيس تحرير عمل طوال ما يقرب من عقدين ونصف عقد من السنوات تعامل خلالها مع جملة من ممن حملوا حقيبة الإعلام، بيد أن ضيفي كعادته التي يعرفها المقربون والوسط الصحافي عموماً آثر أن يبقى صامتاً، ولم أشعر بالتحسر طيلة المكاشفات سوى في هذه الجزئية التي كنت سأعتبرها وثيقة تاريخية تبقى للأجيال القادمة. وعلى كل حال فإن صمت الدكتور هاشم لا يعني أن آخرين لن يدلوا بشهاداتهم حيال تاريخ إعلامنا المحلي ووزرائه وما أنجزوه وقدموه للوطن، إلى جانب رصد تلك المشاريع التي أخفقوا في تحقيقها.

● ترجم الدكتور علي سعد الموسى شيئا من التفاعل والصدى لما ذكره الدكتور هاشم في المكاشفات عبر مقالة نارية يوم الخميس قبل الماضي عنونها بـ" رؤساء التمرير" صبّ فيها حنقه على المكاشِف والمكاشَف، وقد أخذته الحمية انتصاراً لأستاذه قينان الغامدي. لا شك أن من حق الدكتور علي أن يدلي بدلوه، بل إنني أحب أن أسجل له جزيل الشكر على المداخلة والتعليق، إلى جانب إعجابي بهذا الوفاء الأصيل منه لأستاذه، وقد تقبلت منه ما يخصني بكل أريحية، وأنا متأكد من أنه سيقبل مني رأيي.. فقد كنت أتمنى ألا تجرف هذه الحمية والنصرة التي تغشت كاتبنا المتميز صاحبها نحو تجاوز الموضوعية التي طالما تمثلها في كتاباته، فمدرستي التي عرّض وتهكم بها في مقالته الغاضبة هي ذات المدرسة التي ارتضاها هذا الوطن بكل سماحته وحبه ورحابته ومواكبته للعصر وانفتاحه وعدم

وجله من الأفكار والآراء الأخرى. أما محاولة الإسقاط التي ربما سيتوهمها قارئ مقالة الدكتور الموسى عندما حشرني قسراً في فئة متخيلة لديه وضعها نصب عينه مبكتاً عليها، فهي غير مجدية ألبتة، لأن مقالاتي التي تعبّر عن فكري مشرعة وبين يديه. ولست موافقا بالتأكيد على بعض من تأويلاته وإسقاطاته حيال آراء ضيفي، لكنني مضطر للتوقف هنا فللدكتور هاشم أن يرد أو ينبري أحد تلامذته ومحبيه للدفاع عن تلك التهم التي وجهت إليه.

- بقي أن أعترف بأن هذه المكاشفات قد تسببت لي في قلق غير عادي على مدى الأسابيع الماضية، وأورثتني صداعاً فلق رأسي كما لم يحدث مع أية مكاشفة سابقة، اللهم سوى مكاشفة طيب الذكر الدكتور محسن العواجي أيام صحيفة "البلاد" العزيزة، وهي جزء من مكاشفات نشرت في الصحيفة لكنها لم ترَ النور في كتاب بعد، وربما لا تراه بسبب حسن طالع صاحبها البديع!! جميع المعنيين بمكاشفات الدكتور هاشم التي نختمها في هذا العدد ومعهم تلك الأطراف غير المباشرة تمنوا انتهاء حلقاتها والتخلص من صداعها خلا القارئ العزيز وربما معدها المسكين الدي تنفس الصعداء والحمد لله.
- نتوسم في أحبتنا الذين يودون التعقيب أن يكرمونا بما تعودنا منهم من موضوعية في الحوار ورقي في الكتابة وعمق في الطرح، ومهما اختلفنا مع الدكتور هاشم فسيبقى رمزاً إعلامياً خدم وطنه بكل ما استطاع من جهد وفكر وقدرت له القيادة مواقفه واسهاماته، والرجل في النهاية مجتهد وإن لم يكرمني بكامل الحقائق التي احتفظ بها وفي ظني أنها لن تظهر أبداً، على الأقل من خلاله.
- أنهي مقدمتي بالإشارة إلى أن ضيفي قد اقتص مني جزاه الله خيراً جراء مشاكستي له عبر سخط زوجتي وأبنائي في ضياع إجازتهم في الحج والتي

ألحقت إجازاتي الأسبوعية بها حين ارتبكت هي الأخرى بسبب التغيير الوزاري المفاجئ الذي دهمنا ونحن ننشر حلقات المكاشفات. وأكرمني الدكتور هاشم ثانية برسالة أستاذ مهنة ستقرأونها في ختام اللقاء.. والى ختام المكاشفات:

عبدالعزيز قاسم

سأعود بك دكتور بعد كل السجال والعراك السابق إلى جازان، وأفتتح هذه الحلقة الأخيرة بما توقفنا عنده في تلك البدايات الشخصية الشائقة. انتهيت معك بالمرحلة المتوسطة وقد حصلت على شهادتها من مدرسة معاذ بن جبل. أين أكملت المرحلة الثانوية؟ هل في جازان نفسها؟

* لا، بل في جدة.

متى كان ذلك لأننا نحتاج للتواريخ لغرض التوثيق؟

* والله لا أذكر، وسبق أن أخبرتك بأن لدي مشكلة في التواريخ. ويبدو لي بأنني سأراجع لك شهاداتي الدراسية وملفاتي لأحصل لك على كل التواريخ التي سألت عنها.

لا حول ولا قوة إلا بالله.. في أي مدرسة أكملت الثانوية؟

* في مدرسة الشاطئ الليلية بجدة.. وكنت أعمل بالنهار في الجمارك، وأعدّ برنامجاً يومياً في الإذاعة وأدرس في المساء.

دكتور أستوقفك هنا وأسأل عن السبب الذي حدا بك لترك جازان والانتقال إلى جدة؟

* هناك جانبان جواباً على سؤالك. جانب يتعلق بالنشر، فقد كنت أراسل مجلة (المنهل) وكتبت عن قصة زواج تمت في جازان حيث استطاع أحد الأثرياء أن يستقطب فتاة ويتزوج بها وكانت مخطوبة لأحد أقاربها من أسرة كبيرة ولكن إغراء المادة كان أقوى. عندما نشرت القصة لم يرق الأمر لأهل العريس، ونُصحت بأن أغادر المنطقة لأنني هُددت بالقتل وكان الأمر جدياً.. وهذه أولى مشكلاتي مع الصحافة التي طردتني من جازان. الجانب الآخر كانت طموحاتي أكبر من أن أظل طالباً أو موظف جمارك وكان من الطبيعي أن أنتقل إلى جدة حيث الفرص الحياتية أكبر.

ذكرت للتو بأنك كنت تدرس وتعمل، سأتجه للصحافة في سؤالي: كيف بدأت في جدة؟

* عندما حضرت إلى جدة تمّ نقلي إلى وظيفة سكرتير بالمفتشية العامة للجمارك في جدة، وكنت قبل مجيئي أراسل مجلة "الرائد" التي كانت تصدر في تلك المدة ويرأسها الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين، وكان لها مدير تحرير نشط هو عبدالعزيز فرشوطي وبدأت أزورهم في مكتبهم بباب مكة في عمائر البنك الأهلي، وكنت أكتب عندهم في الأدب والرياضة والفن، أبحث عن هوية، وأعجبني الأمر حتى أنني وحمدان صدقة رحمه الله أصدرنا صفحات فنية بعنوان (أفانين) لفترة طويلة. بعدها انتقلت إلى صحيفة "المدينة" التي كان يرأس تحريرها آنذاك الأستاذ محمد علي حافظ. بدأت أتدرب عندهم وعملت بها بشكل رسمي واكتسبت أشياء كثيرة من أستاذنا الكبير محمد صلاح الدين، كنا نعمل معه ثلاثة من الشباب.. أنا وعبدالله القنيعير وهو يكتب حالياً في صحيفة "الاقتصادية" وشاب آخر اسمه عبدالله القرعاوي وقد توفي في حادث رحمه الله. شجعنا كثيراً الأستاذ محمد صلاح الدين وبدأنا العمل في الصحيفة. بعد محمد علي حافظ جاء رؤساء تحرير آخرون منهم عزيز ضياء ومحمد عبدالقادر علاقي وعثمان حافظ. لكن بودي أن أسجل هنا أنه إذا كان هناك من علمنا الجدية والاهتمام في العمل وغرس فينا شعوراً إيجابياً فهو محمد صلاح الدين الذي كان صارماً وتعلمنا منه الصرامة فقد أعجبتني شخصيته وربما تأثرت به، وأنتم تلومونني (ضاحكاً) على صرامتي، وربما كان هو أحد أسباب ذلك. ظللت في "المدينة" وأصدرت أول ملحق رياضي مستقل في صحيفة سعودية. وكان الزميل أحمد محمود آنذاك مسؤولاً عن الشؤون الدولية وكان معنا الزميل الأستاذ سباعي عثمان رحمه الله وكان مسؤولاً عن الشؤون الثقافية وكنا نعمل كأسرة واحدة.

والله لا بدّ من مقاطعتك.. أنت تتكلم عن التسعينيات الهجرية دكتور؟

* لست متأكداً..

لا حول ولا قوة الا بالله.. حديثك الأخوي عن الأستاذ محمد صلاح الدين أوحى لي بأنك تعتبره أستاذك في الصحافة؟

* في الممارسة المهنية المباشرة نعم.. لكنني تلقيت الكثير من التشجيع من الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري وأحمد السباعي والأستاذ عبدالفتاح أبو مدين والأستاذ حسن قزاز. وكنت أراسل صحيفة "الأضواء" ورد علي الأستاذ أمين سالم رويحي رداً قاسياً عندما كنت أرسل له المقالات وكانت حالة من التحدي أن استمر. لاسيما وأنه رد علي بالصحيفة رداً محبطاً وقاسياً..

أتمنى هنا دكتور أن تسرد لنا سريعاً محطاتك الصحافية وأبرز ما تتذكر فيها حتى مجيئك إلى "عكاظ".

* عملت في المدينة إلى أن وصلت إلى مرتبة المسؤول عن الشؤون المحلية وكانت بالنسبة لي هي البداية الحقيقية والمنطلق الذي تعلمت منه الكثير.. ثم غادرتها إلى مجلة (اقرأ) بعد عددين أو ثلاثة من صدورها.. مروراً بمحطة أخرى هي مجلة (الرياضي) لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ عبدالله المنيعي يرحمه الله. ومن ثم انتقلت إلى جريدة (البلاد) كنائب لرئيس التحرير وعملت مع استاذي الشيخ عبدالمجيد شبكشي يرحمه الله ووجدت فيه نعم الداعم والمعين واستمررت فيها إلى أن تم اختياري لرئاسة تحرير عكاظ.

وفي كل محطة من هذه المحطات أحتفظ بالكثير من الذكريات والمفارقات وأعتبرها تجربة مفيدة.. أضافت لي الكثير وأسعدتني بالتعرف على أنماط مختلفة من الناس أكن لهم كل المحبة وأدين لهم جميعاً بالفضل.. سواء من ذكرت أو من نسيت.

"عكاظ" والجمع بين المنصبين

أما وقد وصلنا إلى "عكاظ" فسأبحث معك استفهاما يدور حول الجمع بين منصبي رئيس التحرير والمدير العام.. هل تؤيد ذلك و تراه مجدياً وأنت قد مررت بتجربتها دكتور؟

* كل التأييد. وقد نجحت في "عكاظ" نجاحاً كبيراً.

✍ ***عفواً دكتور.. وطالما تقول بنجاحها فلماذا ألغتها وزارة الإعلام؟. أيضاً دعني أقدم لك نموذجاً فاشلاً رداً على حكمك المتفائل: صحيفة "الندوة" مع رئيس تحريرها ومديرها العام السابق د. عبدالرحمن العرابي؟***

* "الندوة" لها ظروفها وتراكماتها بينما "عكاظ" صحيفة ناجحة ولها مصادر عدة للقوة والنجاح.

✍ ***وما السبب إذن دكتور في أن وزارة الإعلام أصرت على الفصل بين المنصبين؟***

* أولاً يجب أن نصحح بعض المفاهيم. هاشم عبده هاشم ليس هو مصدر النجاح الوحيد في "عكاظ". الذين ينسبون لي النجاح فقط هم واهمون وينبغي تصحيح هذا الوهم. الذي نجح في تلك التجربة هو تعاون معالي الشيخ عبدالوهاب عبدالواسع وهاشم عبده هاشم مع مجلس الإدارة الذي أدار المؤسسة ورأى أن تستثمر التجربة، وهذه المنشآت والتجهيزات التي تراها تحققت دون أن تستدين المؤسسة ريالاً واحداً، لا في شكل تسهيلات ولا قروض. كل هذه الانجازات حدثت نتيجة التعاون بين مجلس الإدارة ورئيس التحرير وجهازه.

✍ ***دكتور سؤالي ما زال قائما: لماذا ألغت وزارة الإعلام الجمع بين المنصبين طالما كان أمامها أنموذج ناجح بتعبيرك؟***

* وزارة الإعلام لم تفصل بين المنصبين أو تجمعهما.. المنصبان موجودان في النظام القديم وفي النظام الجديد لكن الوزارة والمؤسسة رأيا اختياري لهما معاً في مرحلة من المراحل. أنا شخصياً أشعر أن المؤسسة استفادت لكنني كشخص تضررت من الاستنزاف في العمل. كنت عضواً بمجلس الشورى ورئيساً للتحرير ومديراً عاماً وعضو هيئة تدريس في الجامعة. لكنني أرى أن رئاسة التحرير والمدير العام إذا جُمعا في رجل واحد في أي مؤسسة صحفية، وخطط لها بشكل سليم وأديرت المؤسسة بشكل صحيح وتم تمويلها بشكل جيد، ففرص

نجاحها سيكون كبيراً وهو أفضل كثيراً وجربوا ذلك في أي مؤسسة وستتأكدون من كلامي. وأوجّه نصيحتي لصحيفة "المطاف" القادمة وأقول لهم جربوا الجمع بين المنصبين وسترون بأنفسكم كيف أنها ستبدأ بداية صحيحة، لأن أي اختلاف في وجهات النظر سوف يذوب وسيتفرغ رئيس التحرير والمدير العام الواحد لعمل واحد. وعموما أنا والأخ وليد قطان نعمل بتجانس غير محدود ولكن هذا في حكم النادر. لأن الحالة الطبيعية هي الاختلاف الدائم بين رئيس التحرير والمدير العام.

✍ ***سأواجهك هنا دكتور باتهام. الجمع بين المنصبين أطلق يد د. هاشم في مؤسسة "عكاظ"، إلى الدرجة التي لا يوجد أحد في مجلس الإدارة أو التحرير يعارضه، وكان هاشم يتمترس خلف عبدالوهاب عبدالواسع في مجلس الإدارة فيفعل ما شاء بما يشاء في المؤسسة إلى درجة أن الشيخ صالح كامل ضجّ ورفع خطابه الشهير إلى الجهات المختصة؟***

* (متعجباً) أي خطاب؟

✍ ***الخطاب الذي وصف فيه مجلس إدارة "عكاظ" بأنهم أضحوا مجموعة من الطراطير.***

* اسألوا صالح كامل؟

✍ ***عفواً دكتور.. هذا الخطاب بين يدي.. وقد نشرته مجلة (اقرأ) وسأقرأ لك نصه حرفياً: أتقدم باستقالتي لأني لا أقبل أن أكون طرطوراً في مجلس يمرر كل ما يريده الدكتور هاشم عبده هاشم. ما تعليقك؟***

* (ضاحكاً بشدة) على أي حال بعد هذا الكلام استمر هاشم عبده هاشم ثلاث سنوات وصالح كامل موجود حتى الآن في مجلس الإدارة ولم يخرج منه. الإنسان في بعض الحالات تمر به قناعات معينة ثم يتراجع عنها. صالح كامل استمر لسنوات أخرى في ظل وجود الجمع بين الإدارة ورئاسة التحرير. هذا

يعني أن هناك فهماً تمّ تصحيحه، إذا كان هاشم هو المستبد الذي يتخذ كل القرارات بمعزل عن الإدارة، لكأننا هنا نتهم مجلس الإدارة كله. لا يمكن أن يمرر هاشم قراراته في ظل وجود أسماء أمثال عبدالوهاب عبدالواسع وعمر فقيه وصالح كامل وساعد العرابي الحارثي وعبدالله خياط وعلي بن مسلم في مجلس الإدارة وكلهم من الشخصيات الكبيرة والبارزة في البلد.

هاشم عبده هاشم لم يكن لديه صلاحية الصرف لأكثر من ١٠٠ ألف ريال في ذلك الوقت. قرارات المنشآت والتجهيزات كلها قرارات مجلس إدارة. إذا كانت لدى هاشم عبده هاشم القدرة على إقناع هؤلاء الناس وتفهموا هم ذلك فأين هي المشكلة. وبالمناسبة إذا كانت مثل هذه المنجزات التي تحققت تتم بالتسلط والفردية فلتكن كذلك إلى يوم الدين.. لا أعتقد أن مجلس الإدارة بمثل ما وصفت. وهناك أمر آخر، السبب في تطور المؤسسة أن هناك تعاوناً حقيقياً بين مجلس الإدارة ورئيس التحرير والمدير العام وكانت هذه المنجزات ثمرة من ثمار هذا التعاون وهذا يبرر استمرار المجلس لثلاث أو أربع دورات. لم يرغمهم أحد على الاستقالة، عموما كان هناك سوء فهم تمّ تصحيحه وكثير من المنجزات تمت بتعاون وتفاهم مع الشيخ صالح كامل وبعناصر وخبرات من مؤسساته وقد أسهموا معنا فتحقق النجاح.

كيف ترد إذن على من يدللون على مسألة إطلاق يدك عندما عينت د. عثمان عبده هاشم، في اتكالي على تفهم د. عثمان لطبيعة أسئلة مكاشفات، كيف مررت قرار تعيينه على مجلس الإدارة واستخدمت نفوذك؟

* دكتور عثمان لم يتم تعيينه نائباً لرئيس التحرير إلا بعد أن تركت الإدارة، عندما كنت مديراً عاماً كان هناك من يفوقه مرتبة وراتباً ولم يكن متفرغاً.

السؤال هنا دكتور هاشم، هل أتيت به لمهنيته أم لقرابته؟

* هذه مثل قضية (الجوزنة).. أتصور بأنه ليس عيباً أن آتي به، و د. عثمان ليس هو الوحيد الذي جئت به، فأنا أيضاً جئت بأيمن حبيب وبسعيد السريحي وهاشم الجحدلي وعبدالعزيز النهاري، هل أتيت بكل هؤلاء بسبب القرابة؟

✍ ***أحسم قضيته بما فهمته منك بأن مهنيته فرضت ترقيتك له؟***

* د. عثمان عمل قبل عكاظ في الجزيرة والرياض وذلك في مكاتبها في جدة لفترات طويلة. وتدرج في عدة أقسام بعكاظ كالقسم العلمي والقسم الاقتصادي.

مشروع المطبعة: هل هو خطأ تاريخي

✍ ***أنتقل لقضية شائكة لك مع الإدارة. مشروع المطبعة وهو أحد المآخذ التي أخذت عليك. في البداية ما هو رأيك في الطباعة المتزامنة؟***

* الطباعة المتزامنة من أكثر الأمور إلحاحاً.

✍ ***لماذا إذن أجهضت المشروع رغم حفاوتك بها بحضور الأمير سلمان شخصياً لافتتاح المشروع؟***

* مجلس الإدارة هو الذي نظر في الموضوع، ووجَّه بإجراء دراسات اقتصادية واستخدم في ذلك مكاتب استشارية أكدت لنا بعد الدراسة بأن الجدوى الاقتصادية للمشروع غير متحققة. وأكدت الدراسة أن طباعة خمسة أو عشرة آلاف نسخة من الجريدة لا يحقق فائدة اقتصادية وأن الحد الأدنى الذي تجب طباعته في أي مرفق هو خمسين ألف نسخة. لم نخضع الأمر لأي اجتهادات شخصية، بل جئنا بمؤسسة استشارية متخصصة أكدت عدم وجود الجدوى الاقتصادية. وهذه الدراسات موجودة. أنا أقول عكس سؤالك بأن خطأ قد صحّ في هذا المشروع. استثناء مطابع الرياض التي استمرت لجدواها وأهميتها..

✍ ***هنا دكتور دعني أعيدك إلى الرسالة. أنت تتكلم عن الجدوى الاقتصادية، ولكن أين هو البُعد الوطني والرسالة الوطنية؟***

* نحن مؤسسة صحفية...

ولكن "عكاظ" لها دور وطني ورسالة؟

* نعم، ولكن هذا رأيي ورأيك يا أخ عبدالعزيز من الناحية المهنية، لكن الصحيفة يملكها مستثمرون ورجال أعمال يريدون عوائد مادية، وحريصون على تحقيق الجدوى الاقتصادية.

ولكن ألا تدرك دكتور أن تفكيك المطابع في أبها وإيقافك للمشروع، أفسح المجال لظهور صحيفة منافسة أقلقتكم وما تزال وأقصد صحيفة "الوطن"؟

* صحيفة "الوطن" لا تطبع في أبها فقط ولا تستطيع أن تنجح هناك فقط. تملك مطابع في الرياض وهي مرتكزها الأساسي. انظر كم توزع هي الآن وكم نوزع نحن؟ هناك فرق كبير بين الفرقعات والحقائق على الواقع. مجلس الإدارة هو الذي نظر في المسألة ولست أنا. الدراسات هي التي حددت عدم وجود الجدوى الاقتصادية وأثبتت أنه من غير المنطقي أن يتم تركيب مطابع بمبلغ يفوق ٢٠ مليون ريال لطباعة خمس أو عشر آلاف نسخة. القرار ليس بيد هاشم عبده هاشم، ولكنه الربط التعسفي لتبرير أخطاء ارتكبت.. أنا مع الطباعة المتزامنة ولكنني في الوقت نفسه مع الجدوى الاقتصادية. رجال الأعمال هم الذين يديرون المؤسسة بحس وطني وبحس اقتصادي، ودعنا نسألهم هم لماذا يتقدم الاقتصادي على الوطني؟ الأمر ببساطة أن هذه المؤسسات في النهاية ربحية، والأهداف الوطنية تتحقق من خلال النجاح.

دكتور.. أحد أعضاء مجلس الإدارة السابقين أكد أن المشروع كان ناجحاً ولكن هاشم عبده هاشم من فرط إصراره على عدم تحقيق أي نجاح إلا عن طريقه قام بإجهاض المشروع في مهده. كيف ترد على ذلك؟

* ربما كان هو السبب في توريط المؤسسة في هذه القضية، ولكي يبرر هذه الورطة والخطأ يتحدث بهذه اللغة. وإذا كان هو مجرد عضو في المجلس فهو أيضاً شريك. وطالما هو عضو في المؤسسة واجتهد، وهو مشكور على اجتهاده،

ولكن جاء مجلس إدارة آخر وكرر في ثلاث أو أربع دورات عدم جدوى المشروع. والمشروع أصلاً لم يقم على أسس اقتصادية ولم تتم دراسته.

✍ ***أيضاً في ذات السياق، هناك بعض من أعضاء مجلس الإدارة انتقدوا البذخ في المبنى الجديد لـ"عكاظ" ويقولون إن المبنى السابق مناسب ولكن هاشم عبده هاشم هو الذي أصر على النقل؟***

* دعونا ألا نعطي هاشماً أكثر مما ينبغي وألا نضخم من شأنه، لأننا سنقلل من شأن وزراء ورجال أعمال ذوي خبرة وتاريخ. في مجلس الإدارة هناك ثلاثة وزراء، عبدالوهاب عبدالواسع وعمر فقيه وعلي بن مسلم، والدكتور ساعد العرابي الحارثي.. هل هم سلبيون إلى هذا الحد؟! إن من الأمانة أن أقول: لولاهم لما تحقق للمؤسسة ما تحقق..

✍ ***ربما يكون ذلك بسبب ما تملكه من كاريزما وما بيدك من كرت تشهره دوماً مكتوب عليه النجاح؟***

* إذا كان النجاح يؤدي إلى إقناع الناس فعلى الجميع أن يبحثوا عنه. و النجاح لا يحققه شخص واحد..

✍ ***كان يمكن للنجاح أن يتحقق في نفس المبنى السابق، لاسيما بعد عرض المبنى المجاور لكم للبيع بربع التكلفة التي تكبدتموها في المبنى الجديد؟***

* المبنى المجاور لا يمكن استغلاله لأنه يُمنع منعاً باتاً استثمار الأرض في غير غرضها الأساسي. حتى عندما أردنا التوسع والتمدد بجوار المطابع لم نتمكن من ذلك. عندما كنا في المبنى القديم كنا ٢٤ شخصاً في البداية، وعندما خرجنا منه كان العدد قد وصل إلى ٢٠٠ شخص. والمبنى قد تهالك جدا أصبح (زبالة). علي شبكشي كان بعيد النظر وقتذاك وأنجز مبنى دام لأكثر من عشرين سنة وبعدها استنفد أغراضه.. وعندما فكرنا من بعده في المستقبل كان هذا الصرح لعشرين سنة مقبلة أخرى.. للأسف حتى النجاح ينظر له

هؤلاء على أنه بذخ؟ من يحترم الحقيقة كان عليه أن يشيد بالإنجاز الذي تحقق. هل تعرف أن سهم "عكاظ" الآن اصبح أربعة آلاف ريال. ليأتيني أولئك بشركة أو مؤسسة مثل "عكاظ".. لسأل أولئك أنفسهم: كيف تحقق ذلك؟.. هل باستبداد هاشم عبده هاشم (ضاحكاً). من يحقق مثل هذا النجاح نعطيه كرتاً يفعل ما يشاء أو أن نحاسبه على ما تحقق من أصول ضخمة للمؤسسة.

المنافسون الجدد للصحافة

✍ ***لندع صحيفتك ومشاكلها الداخلية، وأنتقل بك إلى محور جديد. أستشرف هنا دكتور عن رؤيتك لمستقبل الصحف السعودية بعد هامش الحريات الذي يتسع يوماً بعد يوم وظهور الفضائيات والإنترنت، كيف ترى ذلك بعيون خبير وأستاذ للصحافة؟***

* تحدٍّ كبير ولا شك. على الصحف السعودية أن تعيد النظر في أنماط التفكير السائدة فيها إذا أرادت أن تصبح قوة مؤثرة وفاعلة في المجتمع، وأن تكون هناك نظرة أخرى مختلفة يتداخل فيها الاقتصاد في كل رؤية وتخطيط.

✍ ***ولكن دكتور ما هي رؤيتك لصحافة المؤسسات في الداخل المحلي، هل برأيك ستستمر، وهل هي مواكبة للمستجدات التي يمرّ بها المجتمع من انتخابات وآليات مشاركة مدنية وشعبية؟***

* هي تجربة ناجحة لكنها تحتاج للتنظيم والتقنين.

✍ ***كيف؟***

* مهنياً، يتساوى فيها المهني والاقتصادي كي تكون أكثر نجاحاً.

✍ ***ألا ترى أهمية السماح بإنشاء صحف أخرى بدلاً من الاكتفاء بسبع صحف فقط جثمت ولا تزال على صدر القارئ المحلي؟***

* أنا أؤيد هذا.. أنا مع التوسع في قنوات النشر والإعلام وعدم وضع حدود وموانع أمام قيام المزيد من المؤسسات الصحفية، لأن الفكر يؤدي إلى مزيد من التنوير ومن ثم إلى مستقبل أفضل.

✍ ***صحف إقليمية وفكرية وايديولوجية مفتوحة؟ وهل هي صيرورة حتمية سننتهي إليها؟***

* نعم. وهذا أمر طبيعي أن ننتهي لذلك.

✍ ***ولكن هل ناقشتم مسألة الترخيص لصحف جديدة في مجلس الشورى؟***

* لم تتم مناقشته على حد علمي..

وزراء الإعلام في الميزان

✍ ***دكتور هاشم.. أنت عاصرت الكثير من رؤساء الإعلام، أريد بصراحتك التي أكرمتنا بها في هذه المكاشفات أن تقيّم وزراء الإعلام الذين مروا علينا؟***

* لست في مكان يسمح لي بتقييم رجال كبار مثل هؤلاء. لكل منهم بصمته وله دور. أنا لم أعمل عن قرب لسوء الحظ مع كثير منهم. فقط عملت مع الدكتور محمد عبده يماني ثم الشيخ علي الشاعر والدكتور فؤاد الفارسي، لكن الشيخ إبراهيم العنقري والشيخ جميل الحجيلان هؤلاء سابقون لفترتي..

✍ ***والله أنا إزاء أستاذ محترف يتهرب بدبلوماسية، وعلى الرغم من ذلك دعني أوجه الأسئلة بشكل أكثر تحديداً. د. النهاري قال عن معالي الوزير علي الشاعر بأنه عسكر الإعلام في حقبته. هل تتفق معه؟***

* أنا أختلف مع من يفكرون ويعتقدون بذلك. الرجل له فكره ومنهجيته وطريقته وقدم الكثير من الاجتهادات في فترته. مما لا شك فيه أن الإعلام كمهنة شيء وكإدارة شيء آخر والإعلام بشكله المنهجي العلمي الذي نعرفه ليس شرطاً أن يترأسه أكاديمي. الإعلام يجمع بين الإداري والثقافي والسياسي...

✍ ***والعسكري!!***

* لكنه رجل مثقف وليس لمجرد أنه عسكري لا يجب أن يكون إعلامياً، الرجل له تجارب وكان عهده في مدة زمنية معينة. ولو وجد الآن لكان الأمر مختلفاً في رأيي.

✍ ***هل تقصد أن الظروف الدولية والسياسية في تلك الحقبة هي التي تطلبت أن يكون وزير الإعلام صارماً مثلاً؟***

* ليس بالضرورة أن يكون وزير الإعلام مهنياً. كثير من وزراء الدفاع في أمريكا وأوروبا ليسوا عسكريين. بمعنى أن العسكري لا يُشترط أن يكون وزيراً للدفاع وكذلك الإعلامي، أنت تبحث عن مواصفات معينة في الشخص تتلاءم والوظيفة في حقبة ما لها خصائصها.

✍ ***ننتقل إلى الدكتور محمد عبده يماني؟***

* رجل فكر وإعلام وصاحب قرار ومبادرات وخدم الإعلام كثيراً.

✍ ***وزير الإعلام السابق الدكتور فؤاد فارسي؟***

* رجل إداري منظم يجمع بين الفكر الإداري والحس الإعلامي والرغبة الحقيقية في تقديم شيء للإعلام.

✍ ***وإذا سألتك، ملتفاً، عن أزهى مدّة للإعلام يراها الدكتور هاشم في إعلامنا السعودي. في عهد من؟***

* أعيد لك نفس الإجابة السابقة. لست في وضع يؤهلني للحكم على ذلك، لأن لكل فترة.. رجالها.. ومواصفاتها..

✍ ***(مقاطعاً) لا حول ولا قوة إلا بالله.. لم أظفر منك بشيء هنا دكتور هاشم..***

* (ضاحكاً) "أيلزم أن أجرّح الناس يا عبدالعزيز". من أكون أنا حتى أقيّم من يكبروني خبرة وحنكة وعلماً.

✍ ***على الأقل تكرمني برؤيتك لما تستشرفه للوزير الجديد الدكتور إياد مدني.***

* الوزير الجديد الأستاذ مدني.. إعلامي يجمع بين الاحتراف والفكر.. وله طريقته في الإدارة.. وقدرته على استيعاب المتغيرات والتعامل معها.. وفي ظني أنه سيقدم الكثير للإعلام في هذه المرحلة بالذات لأنه يجمع بين بعد نظر الساسة وعمق المثقفين وحرفية المهنيين.. وفقه الله وأعانه.

وما هي الكلمة والرسالة التي تود أن تكرمنا بها في بعثها لمعاليه؟

* الوزير إياد مدني لا يحتاج لمن يقول له كلمة.. إنه بحاجة إلى الدعاء والعون، كل في مجاله.

وإذن من تختار لتوجه له رسالة خاصة؟

* هذه رسالة أولى أوجهها لأخي وصديقي وأستاذي بدر أحمد كريم (عضو مجلس الشورى) وأقول له: لقد أخذت منك الحياة الكثير وأعطتك القليل.. وأنا أحد الذين مددت لهم يدك وفتحت لهم أبواب الإذاعة ودفعتهم باتجاه التليفزيون وأسهمت في دخولهم الصحافة.. بدءاً بلقاء برنامج في الطريق وانتهاء ببرنامج (حدث وحديث) السياسي اليومي مروراً بالتعليق على أهم الأفلام العربية والإعلامية الذي سعدت بإعداده للتلفزيون لعدة سنوات وكان يقدمه المذيع الشهير آنذاك (سامي عودة).

لكن ما لا أنساه وأنا أتذكر (بوفاء) ما قدمت لغيرك وأنا أحدهم: تلك الليلة التي سهرنا فيها إلى الصباح لكي نقدم تغطية لأحداث اقتحام جماعة جهيمان للحرم المكي الشريف عبر التليفزيون.

مناسبة هذا الكلام اليوم هي التذكير بجهود الكبار وأنت أحدهم.. والوفاء لأصحاب الفضل وأنت في مقدمتهم رعاك الله.

الصحف المهاجرة تعود

أنا بإزاء إعلامي بارز ومخضرم، بودي سؤالك عن تقييمك للصحافة السعودية المهاجرة، وهل أدت دورها؟

* أرى أنها عادت إلى أرض الوطن بأقوى ما يكون الحال. بدأت تنطلق في الداخل وتصدر ملاحق. صحيفتا "الحياة" و"الشرق الأوسط" تصدران ملاحق محلية. نعم أدت هذه الصحف وظائفها في وقت معين.

✍ ***ولكن السؤال: ألا يشكل عودتها للداخل المحلي هاجساً لك؟***

* أي رئيس تحرير ينبغي أن يدرس الظروف المحيطة به دراسة جيدة ويشعر بأهمية الآخر كي ينجح، وإذا استهان الإنسان فقد يخطئ.

✍ ***أعيد السؤال بتحديد أكثر، ألا تشعر كرئيس تحرير صحيفة محلية بالغيرة مثلا من هامش الحرية الكبير والمزايا التي تتمتع بها هذه الصحف المهاجرة مقارنة بما تملكه الصحف المحلية من هامش وإن اتسع هو محدود، لاسيما وأن الصحف المهاجرة عادت كمنافس داخلي؟***

* من الذي منحها وحرمك منها؟ مسألة الحرية هي اجتهادات ومبادرات وقرارات قد تصادف الخطأ وقد تصادف الصواب. هذه الصحف المهاجرة أنشئت لحاجة، وكان ينبغي أن تكون كذلك في هامشها الكبير وهي ما زالت تؤدي وظيفتها ورسالتها ومن المناسب أن تكون لديها هذه الحرية حتى تستطيع الوصول بصوتها إلى ما تريد الوصول إليه. أما الآن فإنها تعمل من الداخل ومن أجل نفس القارئ ولا يمكن أن يختلف الهامش بيننا وبينهم.

هاشم والعلاقة مع الإصلاحيين

✍ ***اسمح لي أن ننتقل لمحور آخر، أحياناً يكون هاشم عبده هاشم بتعبير المثل (رسمياً أكثر من الرسميين)، وأضرب لذلك مثالاً في تناولكم لمحاكمة ما سمّوا بالإصلاحيين، فالأخبار التي نشرت لديكم لم تخلُ من توجيه يميزه المهني جيداً. ما هو تعليقك؟***

* هذه من الموضوعات التي بها لبس في فهم المصطلح.. إصلاحي وإصلاحيون. لا بد من الاتفاق على مفهوم الإصلاحي. هذا منهج في التفكير. علينا أن نتفق أولاً على مصطلح رسمي أكثر من الرسميين. إصلاح ومصلح. الإصلاح لا يختزل ولا يختصر في شخص أو شخصين.

ومع كل تقديري واحترامي فنحن نعرف هؤلاء ونعرف غيرهم، ونتعامل مع الناس انطلاقاً من منهجهم. ليس كل من وضع نفسه في خانة الإصلاحيين إصلاحيا. أكون قد أخطأت في حق الوطن إذا قمت بتنصيب فلان أو علان رمزاً، ما هو مفهوم الرمزية؟ من الذي يمكن أن نطلق عليه مفهوم إصلاحي.

إذا كان للدولة رأي في هؤلاء الأشخاص فهذا يهم رجالها، أما نحن، فمن الضروري ابتداء أن أحدد موقفي وأحدد من هو الإصلاحي الذي أحترمه وأدعمه وأضع رقبتي معه؟ هل مطلوب مني كصحيفة أن أتبنى كل ما يقال أو يذكر وإذا تجاهلته أكون غير إصلاحي وبالتالي حكومياً؟ هناك أناس ليسوا إصلاحيين، ومن الضروري أن لا نؤخذ بالغوغائية أو الشعاراتية أو إطلاق الألقاب والصفات عشوائياً.

عفواً دكتور، هل تصف هؤلاء الذين يقومون بمطالبات الإصلاح بالغوغائية؟

* لا بد أن ننظر لهم فرداً فرداً، وإذا كنا نعرف أياً منهم ونعرف دوافعه الحقيقية والظروف التي جعلت منه داعية في هذا الاتجاه وأن ندرك أن دعواه من أجل وطنه أو أنها تصفية حسابات، فأنا هنا لا أصدقه. أما إذا كان نقي التاريخ والسيرة والفكر والدافع فيدنا في يده ونحن معه.

دعني أتناول الأمر معك بشكل أكثر عمومية. في السنوات الثلاث الأخيرة كتبت عرائض وبيانات قدمت للمسؤول باسم الإصلاح، كيف تنظر أنت هاشم عبده هاشم إلى هذه الظاهرة والى أصحابها.. هل تراها صحية أم عكس ذلك؟

* ابتداء لا يمكن الفصل بين التاريخ والممارسة، وأنا أربط الفعل بصاحبه دائماً. وأيضاً لا أريد أن أحكم على الجميع. النقطة الثانية هي التوجه نفسه، إذا كانت فيها أفكار تخدم الوطن فلا نرفضها على إطلاقها ولا نقبلها على إطلاقها بل ننظر للأسباب والدوافع والوسيلة التي سربت بها ومن هم الداعمون والمستفيدون من ذلك..

أعتقد أن لا أحد يختلف مع التوجه الإصلاحي والدعوة للإصلاح والمطالبة به إلا إذا كان لا يريد الخير للبلد وأهله. ولكن من وممن ومتى وكيف طرح.. هنا القضية. عندما تطرح المسائل طرحاً غير منطقي تشعر أن الهدف ليس هو مصلحة الوطن. ربما كان لكل منهم دوافعه وظروفه وتفكيره ووسائله ولكن في رأيي أن هناك طرقاً ووسائل يمكن أن تحقق الإصلاح. فلا أتحدث عن جميع هؤلاء الناس لأنهم مختلفو التوجه والدوافع وهناك أفكار جيدة قدمت وأخذ بها المسؤولون كثمرة لما قدّم.

لعلي أتلمس من حديثك بأنك ضد الوسيلة التي استخدمها عرابو المطالب من التسريب الإعلامي والحديث لوكالات الأنباء العالمية وممارسة نوع من الانتهازية عبر الضغط على الرسمي في ظل هذه الظروف الدولية المعقدة؟

* نعم، كانت هناك إمكانية كبيرة لكي نخدم مبدأ الإصلاح ومعالجة همومنا وتصحيح الوضع. هناك إصلاحيون حقيقيون لم تظهر أسماؤهم ولهم رسالة يوصلونها بشكل يومي وبطرق مختلفة. من لم يظهروا ليس بالضرورة أن يكونوا غير إصلاحيين ومن كتبت أسماؤهم ليسوا بالضرورة هم الإصلاحيين.

وإذن ما الذي تستشرفه لموضوع الإصلاح في وطننا الذي نتفيأ ظلاله وننعم بخيره دكتور هاشم؟

* الإصلاح ضرورة ينبغي أن نتفق عليها. وهو أفق ينبغي أن نخلص له النية وأن تكون دوافعنا هي خدمة هذا الوطن لا أن تكون دعاوانا ووسائلنا معبرة عن تصفية حساباتنا. هذا لا يخدم ويجعلني أنا وعدو هذا البلد في خندق واحد. كيف يمكن أن أكون إصلاحياً إذا كنت ألتقي مع دولة تحاول أن تدوسنا؟ أو مع نظام أو توجه يريد أن يقضي علينا؟ هناك تناقضات في الساحة بين ما هو ديني وما هو سياسي. الدعوة الإصلاحية يلتقي فيها الديني مع السياسي مع الاقتصادي وتجمعهم الأهداف، والمهم هو كيفية العمل على تحقيق هذه الأهداف.

✍ ***كانت لك مقالة قبل أشهر شنَّعت فيها على بعض الليبراليين الذين يريدون تجاوز بعض قرارات المجتمع وأحدثت صدىً كبيراً في الوسط الفكري ووسط المهتمين؟***

* كنت أريد أن أقول: يا إخوان لا بد من التوازن. مشكلتنا الأساسية في هذا البلد أننا نفرط في الاتجاهين. لا ينبغي لنا أن نكون (ليبرل) بشكل مطلق أو متشددين بشكل مطلق. الوطن يُخدم بالتوازن وليس بالتطرف من كلا الجانبين.

المرأة الجديدة وسي السيد

✍ ***سأنتقل بك إلى محور جديد، واتجه هذه المرة إلى منزلك دكتور. يقال على حفاوتك وتبشيرك بالمرأة الجديدة إلا أنك قاسٍ ودكتاتور (وسي السيد) في بيتك أيضاً؟***

* أنا إنسان جادّ حتى في بيتي. هناك فرق بين الصرامة والجدية، أنا رجل جادّ سواء في بيتي أو في حياتي العملية أو في أي مكان.

✍ ***بالمناسبة، رحيل ابنك أمير رحمه الله، ما الذي خلفه في نفسيات وتوجه وفكر هاشم عبده هاشم؟***

* حزنت عليه بمشاعر الأب، و لكني سلمت بالأمر الواقع، لكن لا أظن أن رحيله أثر في فكري ومنهجي. أو دفعني للعدوانية.. أنتقم ممن؟

✍ ***بخصوص عملك في الجامعة؛ هل صحيح أن الجامعة هي التي سددت فاتورة الصحافة لعكاظ بالنسبة لهاشم عبده هاشم؟***

* كيف؟

✍ ***بمعنى أنك كرَّست كل وقتك لعكاظ على حساب الجامعة؟***

* عملي في الجامعة هو محاضرات أؤديها وما زلت حتى الآن أؤدي هذه المحاضرات تطوعاً لشدة حبي لهذا الانتماء الأكاديمي.

✍ ***ولكن هل تعتقد أنك قدمت للجامعة شيئاً مفيداً مع أن كل وقتك مكرس لعكاظ؟***

* أنا أعتز بطلابي الجامعيين وأسعد عندما يفاجئني أحدهم في الشارع أو في المطار ويذكر لي بأنه أحد طلابي. القسم الذي أعمل به قسم تخصصي بحت. ليس إعلاماً ولا نشراً إنما أكاديمي بحت ولذلك عندما أدخل للجامعة تجدني شخصية أخرى مختلفة تماماً. بالأمس القريب كان لدي امتحان وأديته وأنا أستمتع بعملي في الجامعة جداً وأشارك في الجامعة تطوعاً من شدة حبي للعمل بها.

الجامعة العربية ومجلس التعاون

على مدى ٢٥ أو ٣٠ سنة غطيت قمما عربية كثيرة سواء على مستوى الجامعة العربية أو دول مجلس التعاون الخليجي، ما الذي خرجت به من انطباع؟

* ما زالت في ذهني قمة بغداد... ولا تسألني عن التواريخ وهي آخر قمة تمت في بغداد وتحدث فيها صدام حسين ولوح ولمح بالكثير مما حدث في الكويت فيما بعد. ولفت انتباهنا أن الطرف العراقي طلب من المملكة التوقيع على اتفاقية حسن جوار، لماذا؟ في ذلك التاريخ تساءلت مع زملائي الإعلاميين ومنهم تركي السديري عن السبب في ذلك؟ بدأت الشكوك تساورنا في أن العراق يدبر أمراً للمملكة. بعد تلك القمة بدأت الشكوك تسود العمل السياسي في المنطقة وأعتقد أن بذرة الشك بين الدول العربية قد زُرعت من تلك الحقبة، وظهرت حاجة لإعادة تقييم المنظمات الإقليمية وانتزاع بذرة الشك وزراعة بذرة أخرى هي بذرة المصير المشترك والشعور بالارتباط الواحد. ما يحدث الآن للأسف هو العكس، أنا أولاً، ولتحرق روما من بعدي. أنا أتفق معك على اتفاقية ولا يتم تفعليها؟ هناك قواعد أساسية لم تتحقق وهذا ينذر بخطر كبير. هناك كثيرون ممن يستغلون الشارع العربي ويستثيرونه ويقدمونه في شكل تصادمي مع الأنظمة، هؤلاء يريدون لهذه الأمة التشتت والدمار النهائي والمشكلة أن وسائل الإعلام العربية تسعى في هذا الاتجاه تحت مظلة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان.

نعم نريد حرية وحقوق إنسان وإعلاماً قوياً ولكن إذا كانت كلها تلتقي مع أهداف وتوجهات تريد لهذه الأمة التفكك والضياع فماذا يتقدم على الآخر؟ دائماً أقول لزملائي وإخوتي في "عكاظ" إنه لا ينبغي أن يتقدم المهني على الوطني. أنا مع الاجتهادات المهنية لكن إذا اصطدمت مع الجانب الوطني والتقت مع خطط أجنبية خارجية فأنا أبدو حينها كعميل أو أداة. ينبغي هنا أن أسقط المهني من أجل وطني وألا أرضي المهنة على حساب الوطن.

✍ ***يبقى هذا الحديث ضمن المواعظ دكتور.. نريد حقائق على أرض الواقع، كيف تستطيع الجامعة العربية تفعيل دورها إزاء ٢٢ رأياً وعقلاً، كل واحد منهم له تفكيره الخاص وهمه الخاص؟***

* الجامعة العربية مسكينة وهي نتاج هذا الواقع. نعم القيادات حكيمة وتحرص على الصالح العام ولكن أوطاننا مخترقة.

✍ ***لا أدري دكتور هاشم، ونحن نتعاطى حول الجامعة العربية ووضعها البائس الذي تعيش. الصحافي الشهير محمد حسنين هيكل طرح قبل مدة فكرة تحويلها إلى مؤسسة ثقافية.. ويا دار ما دخلك شر. كيف تعلق؟***

* لا أعتقد أنه جادّ في ذلك لأن هيكل يحمل فكراً قومياً، ومن المفترض أن يتعارض مثل هذا التفكير مع الطرح القومي الذي يهدف في الأخير إلى الوحدة العربية والتكامل. لا بد من إعادة النظر في نظام الجامعة وإعادة تأسيسه على ضوء المتغيرات الحديثة...

✍ ***هنا دكتور.. أريدك أن تضع النقاط على الحروف وتوضح لنا رؤية هاشم عبده هاشم العملية بعيداً عن الإنشائية التي سمعنا حيال تفعيل دور الجامعة العربية؟***

* الجامعة هي قناة اتصال لمجموعة من الأنظمة والأنظمة العربية نفسها بحاجة إلى أن تعيد النظر في علاقاتها الثنائية. إذا آمنا بأن الهدف الأساسي هو

حماية المصير المشترك وفكرنا جدياً في صيغة جديدة وفي إعادة النظر في ميثاق الجامعة العربية. سمو الأمير نايف قال في اجتماع وزراء الداخلية العرب بتونس: إن كل الاتفاقيات لم تنفَّذ سواء على المستوى الأمني أو الاقتصادي أو الإعلامي. أنا لا أستطيع التفكير نيابة عن زعماء ودول ولكني أقول إن الوضع العربي مخترق وبالتالي فإن كل دولة تفكر في مصالحها الذاتية وتتعامل مع الآخر من هذه المصلحة.

✍ ***دكتور.. نترك همّ الجامعة العربية ونأتي إلى همّ مجلس التعاون لدول الخليج. التماس الذي حدث بين السعودية والبحرين مؤخراً، وقبلها خرجت قطر وغرَّدت خارج السرب سواء عن طريق قناة "الجزيرة" أو التطبيع الذي بدأته مع الكيان الصهيوني. هل السبب هو عقدة الشقيق الأكبر برأيك؟***

* أنت تركز على الجانب النفسي، ولكنني أركز هنا على الجانب السياسي ومن المعروف أن أقوى علاقة في دول مجلس التعاون هي بين السعودية والبحرين وعلى مدى التاريخ وبين القيادة والشعوب والثقافة. صحيح أن علاقاتنا مع الإمارات والكويت جيدة ومع عمان طيبة ومع قطر تشوبها شوائب لكنها مع البحرين مميزة. التفسير الوحيد لما يجري هو أن هذه المتانة في العلاقات تعرضت للاستهداف. تبقت هاتان القوتان ولا بد من شقهما، كان من الضروري أن نتنبه إلى وجود من يحرص على أن يفكك كيان مجلس التعاون ولكل دوافعه وأسبابه ومبرراته لدى الغير. لذلك أقول ان الأمر يحتاج إلى معالجة هادئة وحكيمة...

✍ ***هل لك أن تكرمنا عن المقصود بالمستهدِف؟ هل هي أمريكا؟***

* الواضح أمامنا أن أمريكا هي التي وقعت الاتفاق مع البحرين، لكن أمريكا تبحث عن مصالحها، وعندما أقول (مصالحها) فإنني أتعامل بمبدأ حسن النية، هل هي مصالح اقتصادية تؤدي إلى تحقيق تصور أمني للمنطقة يعمل

على أن يظل على انفراد بكل دولة على حدة؟ جائز، وأنا لا أتحرج في إن أقول إن أمريكا أو غيرها تريد ذلك.

لكن أنا كبحريني لماذا أستجيب؟ عندما أضع نفسي في مكان البحرين الدولة الصغيرة وسط هذا الخضم الكبير جداً وهي لا تستطيع أن تنفصل عن العالم. إذن فهي تحتاج إلى قوة مساندة كالولايات المتحدة أو بريطانيا أو غيرهما. هذا الهاجس والشعور بالحاجة إلى سند وقوة ربما كان وراء هذا التفكير.

بشكل أو بآخر فإن أقوى علاقة في الخليج قد تعرضت إلى هزة قوية ولذلك يحتاج الأمر إلى حكمة ومحاولة للاحتواء أياً كانت نتائجه السلبية. لا بد أن نعالج هذا الأمر. ليس فقط بين السعودية والبحرين ولكن بين كل دول المجلس. لا بد أن نجلس جلسة مصارحة ومفاتحة ونذكِّر بعضنا بأننا ينبغي أن نكمِّل بعضنا بعضاً، لا أن يخيف أحدنا الآخر.

عقدة الكبير هي حالة نفسية ينبغي معالجتها. هل مشكلتي أنني الأكبر جغرافياً وفي عدد السكان وتعاملاً اقتصادياً؟ هذه ظروف وجدت نفسي فيها. أن أكون صاحب أكبر احتياطي بترولي في العالم. هل أرادت السعودية لنفسها أن تكون فيها مكة المكرمة والمدينة المنورة وهذا البُعد الروحي والإسلامي. وجدنا أنفسنا أمام هذا البُعد الاقتصادي والسياسي. هذه الوضعية الثقافية والاقتصادية أدت إلى دور سياسي في المنطقة وبالتالي أصبح لي هذا الحجم. أنا الأكبر سكاناً في المنطقة. إذن هي مجموعة عوامل أرادت لهذه البلاد أن تكون.

لكن هل ذكرت السعودية للآخرين أنها تأتي أولاً وهم ثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً؟ هل تصرفات السعودية تشير إلى أنها تسعى للهيمنة على الآخرين؟ ولماذا تهيمن عليهم؟ ما الذي ينقصها؟ هل ينقصها شيء اقتصادياً أو روحياً؟ ليست هناك حاجة لفرض هذا النمط من التفكير.

✍ ***ولكن دكتور بماذا تفسر إذن حالة الانفلاتات من بعض الدول الصغيرة في الخروج عن الخط العام للمجلس؟***

* أنا فسرت الموقف السعودي ولا أستطيع أن أفسر كيف يفكر الآخرون. الحالة النفسية قد تفرض مثل هذه التساؤلات المشروعة. لكن لو سأل من يطرح مثل هذه الأسئلة نفسه: هل تدخلت السعودية في شؤونهم أو فرضت عليهم توجهات معينة أو أن يمتثلوا أو يمرروا أجندتها أو أن يتجاوبوا معها في كل شيء؟ سيجد أن الإجابة هي (لا). ولكن أن تشعر دولة ما بحاجتها إلى سند أو معين ومن يقف معه أقوى من المملكة فتلك حاجة نفسية موجودة لديها ولا نستطيع أن نمنعها من هذا النوع من التفكير.

أعتقد أننا بحاجة إلى التفكير في اتجاهين هما كيف نحافظ على الحد المناسب من الترابط وكيف تتصرف كل دولة بإرادتها المستقلة...

بعيداً عن إجاباتك دكتور. دعني أقرأ لك بعض القراءات الخليجية في هذا الموضوع ولتكرمني بتعليقك بعدئذ. يُقال بأن هذا الخروج المنفلت للدول الصغيرة هو نوع من الهروب من أجندة الشقيق الأكبر والذي أُحرج في قضايا عدة كالإصلاح والبرلمانات والديمقراطية التي خطتها البحرين وقطر، كيف ترى الأمر؟

* كما ذكرت لك فإنها حالة نفسية لدى تلك الدول والأنظمة والشعوب، من حقها أن تفكر بطريقتها، لكن لماذا لم تنزعج المملكة من التجربة الديمقراطية في الكويت وهي تجربة قديمة؟ البحرين مضت في هذا الاتجاه لكن الأمر مع قطر أكبر من ذلك وليس مسألة تجربة ديمقراطية بل مسألة تفكير كلي له حساباته الخاصة..

صحيح أن بعض الدول مثل اليمن أخذت المبادرة في هذا الجانب وسبقت المملكة لكن ظروفها الداخلية وأنماط التفكير السائدة فيها فرضت عليها أن تتخذ تلك الخطوة، ليس تمرداً على السعودية وإنما لأن مصلحتها تطلبت ذلك.

لعلّ وضعنا الروحي والاقتصادي والسياسي بقدر ما كان يمثل لنا مصادر قوة فإنه كان يمثل مصادر تأخر في اتخاذ القرار نحو مزيد من الانفتاح، لا يمكن أن نلوم

الآخرين على أنهم اتخذوا طريقاً مغايراً فهم ليس لديهم نفس المشكلات. ليس لديهم مكة المكرمة ولا المدينة المنورة ولا هذه الثروة النفطية الضخمة التي تمنعني من اتخاذ قرارات اقتصادية ربما تضر بالصين مثلاً أو بولندة أو الجزائر.

تفكيرنا يظل مرتبطاً بمصالح الكل، وضعنا مختلف ولا يدعو لأن يفكر الآخرون في أننا نريد الهيمنة عليهم. من يريد الهيمنة هو من تأسس في الأصل على احتواء الآخر نتيجة لحاجات ربما تكون اقتصادية أو أمنية أو غيرها. الدولة عندما تكون قوية فإنها تحتاج إلى التكامل وليس الهيمنة.

✍ ***بمناسبة ذكر اليمن دكتور، هل أنت مع توسيع عضوية مجلس التعاون بحيث يشمل اليمن والعراق وإيران؟***

* ما الفرق في أن تكون عضواً في الجامعة العربية أو في مجلس التعاون؟ مبدأ العضوية يقوم على مصالح مشتركة. الجامعة العربية وضعها معروف. لا أرى أي مانع في أن تدخل هذه الدول. كان هناك في السابق تخوّف من تفكير إيراني معين لدى دول مجلس التعاون. إذا تخلت كل دولة عن تفكيرها الاحتوائي والهيمنة. العالم كله يتجه للتكتل. تأشيرة واحدة وجواز سفر واحد وعملة مشتركة. هذا يحقق المصلحة وعندها يفكر في تغير ميثاق المجلس المتبع لغير دول الست.. لكن اتمام ذلك قبل التعديل لا يبدو ممكناً.

تاريخ من الخصومات

✍ ***أعود إلى موضوع خصوماتك مع بعض الرموز الصحفية والثقافية وأود أن توجز لنا اختلاف وجهات النظر بعد أن ذكرت ابتداءً أنه لا توجد لديك خصومة مع أحد والأمر هو اختلاف في وجهات النظر مع بعض الرموز. ما هو خلافكم مع رضا لاري؟***

* كلمة (خصومات) لا بد أن تُحدَّد وهي مصطلح ينبغي الاتفاق على معناه، هل هي خصومة فكرية حول مواقف ثقافية مختلفة أم إنها خصومات مهنية أم شخصية؟

رضا لاري زميلي في المؤسسة. أُخترت أنا كرئيس تحرير لهذه الجريدة خلفاً له والاختيار ليس بيدي، لم يكن بإمكاني أن أقول: كيف ولماذا. هذا شكَّل بداية الحساسية. بعد أن دخلت المؤسسة وهو عضو فيها بحكم وجوده تزاملنا وتعاملنا وكان هو رئيس تحرير سعودي جازيت وكان الجدل محتدماً حول توقف الصحيفة أو استمرارها. لم يقم هاشم عبده هاشم باتخاذ قرار بإيقاف الصحيفة بمجرد تعيينه مديراً عاماً للصحيفة. هذا موضوع طويل عالجته المؤسسة على مدى سنوات وصلت فيه إلى قرار. الخلاف بيننا ليس شخصياً ولا إدارياً لأني مدير عام المؤسسة ولأنه رئيس تحرير الجريدة إنما مجلس الإدارة هو الذي اتخذ القرار وتم الاتفاق على صيغة معينة مع الأخ رضا لاري واستمر عضواً في المؤسسة، أنا من جانبي لا أذكر أن هناك احتكاكاً لكني قد أجد مبرراً للأخ رضا في أن يتحسس...

✍ ***مما يُتداول في الوسط الصحفي أن هاشماً أتى وأقنع رضا بأن يقبل بمنصب مدير عام مؤسسة عكاظ خلفاً للأستاذ محمد الحسون كنوع من الصراع الداخلي وبعد ذلك فوجئ بأن هاشماً نفسه هو الذي أصبح مديراً عاماً؟***

* أسألوا الأخ رضا. كيف أستطيع أن أقنعه بأن يصبح مديراً عاماً، وهل أنا الذي استبعده وعين نفسه في مكانه..؟

✍ ***لخلافك الشديد وصدامك مع الحسون المدير العام السابق؟***

* محمد الحسون خرج من المؤسسة وتم تعيين رضا خلفاً له، لم يتم تعيينه من قبلي إنما من مجلس الإدارة وأنا لم أقنعه ولم أتحدث معه. بالعكس كان هناك حديث في من سيكون؛ هاشم أم رضا؟ هناك من يقولون إنني نافست رضا على الإدارة العامة ثم جاء رضا مديراً عاماً فأزعج ذلك هاشماً، الآن أسمع من يقول إنني أتيت برضا...

أتيت به للتخلص من الحسون؟

* كان هناك تفكير عقب خروج حسون من المؤسسة ليس بسبب هاشم ولا غيره وإنما لسبب آخر، تم اختيار رضا بواسطة مجلس الإدارة الذي رفع الأمر للدولة وتم تعيين رضا أو كان تحت الترشيح حتى ذلك الوقت، لا أذكر. أنا لست طرفاً في الأمر وليس لي علم باختيار رضا لأنني كنت مسافراً في إجازة. كيف أختاره؟ وإذا كنت قد قمت بذلك فأعتقد أن لي فضلاً عليه، وهو ما لم يحدث.

لندع الأستاذ رضا وأنتقل معك إلى خصمك اللدود. ما هو خلافك مع محمد الحسون؟

* محمد الحسون استلم المؤسسة من إياد مدني وكان مكلفاً ولم يتم تعيينه مديراً عاماً حتى ذلك الوقت وكان مجلس الإدارة يفكر فيمن سيكون مديراً عاماً، هناك شخصيات كبيرة في المؤسسة أمثال صالح كامل وعبدالوهاب عبدالواسع وعمر فقيه وعلي بن مسلم وعبدالله خياط. كان التفكير في مجموعة كبيرة من ضمنهم عبدالله خياط ومحمد الحسون وغيرهم.

أنت تنفي أي خلاف بينكما؟

* لم يكن هناك خلاف شخصي، المدير العام ورئيس التحرير في كل المؤسسات يكونان غالباً في حالة اختلاف في وجهات النظر واجتهادات وهذا موجود في كل المؤسسات الصحفية. الخلاف كان مهنياً وإدارياً؟

ماذا عن الأستاذ عبدالله باجبير؟

* ليس هناك أي علاقة غير طبيعية أو احتكاك بيننا. عندما جئت إلى عكاظ كان محرراً لصفحة القراء واستمر قليلاً ومن ثم اختفى...

يُقال إنك وقفت أمام تعيينه في سعودي جازيت واعترضته؟

* أبداً، كانت هناك ثلاثة خيارات من بينها عبدالله باجبير وعلي الرابغي وأحمد اليوسف. لو كان الأمر بيدي لاخترت علي الرابغي صديقي الشخصي. أحمد اليوسف كان موجوداً في المؤسسة كمسؤول تسويق وطُرح اسمه، لو قلنا بأن الأمر انتهى باختيار شخص بتزكية فنحن هنا نقلل من شأن مجموعة من الأعضاء.

علي العمير، هل لك خلاف معه؟

* بالعكس فهو أستاذنا وهو الذي فتح لي صفحات مجلة (الجزيرة) وطروحاتي ونقاشاتي فيها مع مجموعة من الزملاء وأذكر قبل أن آتي إلى جدة كانت بيننا لقاءات في جازان وساعدني في التعلم. لكن الاختلافات المهنية حول وجهات النظر والكتابة عادة ما توجد بين رئيس التحرير والكُتّاب. أنا أكن لهذا الرجل كل تقدير.

وهل تشعر بعد اعترافك بأستاذيته لك بأنك قد رددت له الدين؟

* المسألة ليست مسألة دين وتسديد وأنا دائماً أذكر بالخير كل من ساعدني بأي شكل. أعتقد أن عكاظ استفادت من فكر علي العمير وطروحاته لفترة طويلة لكن ظروفه الصحية هي التي حالت دون استمراره في الكتابة. أنا أحمل محبة وتقديراً للجميع.

آتي لمحمد سعيد طيب.. هل بينكما أي خلاف؟

* لم تجمعنا أي رابطة أو صلة أو مصلحة واختلفنا حولها.

هذه الإجابة دكتور دبلوماسية، بيد أن ما يُشاع في الوسط الصحفي عكس ذلك؟

* أبو الشيماء رجل مجتهد ولديه طريقته في الحياة والتفكير وهو رجل يتمتع بالنشاط وخفة الدم وهو لاذع. لا يوجد بيننا شيء يدعو للنقاش أو الاختلاف، ولكن أن تكون لكل منا طبيعته وتوجهه وتفكيره فهذه طبيعة بشرية. هل هناك من يتحدث عن وجود خلافات بيننا؟

✍ ***نعم ويقولون إنها خلافات كبيرة والرجل يبدي اعتراضاً على طريقة "عكاظ" في بعض تغطياتها غير المهنية؟***

* ذلك من حقه. له الحق في أن يختلف مع "عكاظ" أو لا تتفق "عكاظ" معه وهذا شيء طبيعي. لكنه اتصل عليّ مرات عديدة وقال لي (هائل) على أشياء معينة وهذا يؤكد أنه لا توجد أشياء نختلف عليها سوى أنماط التفكير.

✍ ***الكاتب محمد عبدالواحد؟***

* اسألوه، أعتقد أن محمداً حالة خاصة وأنا لا أعرف لماذا ولكني متأكد أن الرجل لا يحمل أي ضغينة لي أنا شخصياً، إنما هو حالة تريد التعبير عن نفسها بشكل آخر غير ما هو معروف. هو ليس مختلفاً معي لكنه يحب أن يسجل وجوده دائماً حتى وإن بدا أنه مختلف مع الشيطان (قالها ضاحكاً).

كتبة "عكاظ" ورئيس التحرير

✍ ***بالنسبة لكتّاب "عكاظ".. بداية، ألست معي بأنك فرطت في الآونة الأخيرة بأسماء هم الأبرز في ساحة الكتاب؟!.***

* "عكاظ" تعتز بكتّابها.. وتعتز بدورهم في تحقيق نجاحاتها.. ونحن لم نفرط في أحد من كتّابنا.. وان كان التفاوت في وجهات النظر بين بعضهم وبين الزملاء المشرفين على قسم الرأي قد أدى إلى اختيار هذا البعض لمواقع أخرى.. وعلى أي حال فإن "عكاظ" لا تفرط في أحد وان كانت لا تجبر أحداً على أن يتفهم سياسات النشر بها.. وأحمد الله أن أصبح لـ "عكاظ" كوكبة من الكتّاب هم الأبرز على ساحة الاستكتاب كما قلت.. وهم كذلك عند قرائهم إن شاء الله.

✍ ***رددت مراراً أن "عكاظ" مدرسة يتخرج فيها الكتّاب والصحفيون.. لا بأس سأجاريك وأعترف، ولكن بعضهم يشير إلى أنك تمنّ على كتّابك بأنهم يكتبون***

لديك، وحادثة د. حمود أبوطالب شهيرة بشأن ما قلته له. ألمجرد أنه أبدى رأيه في "عكاظ" تلزمه إلزاماً أن يكتب لك ما تريد كتصحيح لما عبّر عنه.

* لا خلاف شخصياً بيني وبين العزيز الدكتور حمود أبوطالب.. وما تشير إليه هو زوبعة روّج لها بعض من لا تعجبهم جريدتنا.. وهم أحرار فيما يرون.

وكيف ستعلق على موضوع الدكتور عبدالعزيز الصويغ، ألمجرد أن أبدى الرجل رأياً مخالفاً لك، تقوم بطريقة غير مهنية اطلاقاً بالتعليق في زاويته والتصحيح له.. سامحني دكتور ولكنها باقعة صحافية تاريخية بالنسبة لعكاظ ولك شخصياً.

* الأخ الدكتور الصويغ هو الآخر لا يوجد خلاف شخصي بيني وبينه وإذا تفاوتت وجهات نظر أو اجتهاد كلينا.. فإنه قد اختار لنفسه الطريقة التي عبر بها عن قناعاته.. سامحه الله.

لهؤلاء الكتبة زواياهم، إن أحبوا أن يوضحوا الحقائق أو يختاروا الصمت فالكرة في ملعبهم، وأنتقل إلى الكاتب الأبرز في ساحتنا الصحافية، وهو الأستاذ الكبير عابد خزندار ذو القلم الحرّ الذي لا يرتزق به، لماذا فرطت فيه؟

* الحقيقة أن الأخ الأستاذ عابد خزندار.. كاتب جيد.. وقد صبر علينا كثيراً.. وصبرنا عليه كثيراً أيضاً.. وأخيرا تركنا ثم ترك غيرنا وعاد إلى حيث بدأ.. أدعو له بالعون.

ولكن ثمة مصادر قريبة قالت بأنه غضب غير مرة على فبركتكم لمقالاته، وقلب النقد مدحاً للجهاز الحكومي الذي انتقده، وهذا ما أضجره من "عكاظ"؟!.

* يبدو أن لديك عقدة يا عبدالعزيز تتمثل في تبني ما سمعت دون أن تعود إلى الأطراف السابق ذكرها لتعرف منها الحقيقة.. وأنا متأكد أن كلاً منهم يحترم "عكاظ" وسياساتها ويعرف أنها تحتكم إلى قواعد وثوابت وسياسات محددة..

وليس كما نسبت على ألسنتهم.. عد إليهم وستسمع شيئاً آخر قد لا يلبي طموحك ونزوعك إلى "الإثارة".

✍ ***عفواً دكتور، ما سقته متداول في الوسط الصحافي وكل ما فعلته أنني سقت بشفافية وأمانة ما يقوله الوسط الصحافي.. ودعني أسوق ما يشتكي منه ثلة من كتّابك في مجاملتك لبعض الكتبة لديك، هناك من أكل الدهر عليه وشرب.. يلوك في ذات التيه من الموضوعات، وأنت لا تزال تصر على التمسك به وتؤثره بزاوية في مكان متميز.***

* من تقصد؟! ومن الذي قيّم هؤلاء الكتاب؟! وما هي أهليته حتى يصدر حكماً بأن الدهر أكل عليهم وشرب..؟! وما هي معايير هؤلاء وما مدى مهنيتهم؟!.

كنت أتمنى أن تكون لديك إجابة محددة على هذه الأسئلة حتى أعطيك رأيي.. احتراماً لآرائهم أو تجاهلاً تاماً لها.

إن علينا أن ندرك أن لكل كاتب قارئاً.. وقد أجرينا عدة استبيانات وعرفنا من يريد قارئنا.. ومن لا يريد.. فهل اعتمد هؤلاء أي منهجية علمية في إطلاق أحكامهم.. اسألهم.. وستجد أن حديثهم لا يتجاوز الانطباعات التي تتردد في مجالس عامة.. في وقت الراحة.. أليس كذلك.. ذلك أن الفارق كبير بين من يمارس المسؤولية وبين من يتبرعون بالآراء ويصدرون الأحكام المطلقة دون سند.

✍ ***ما زلت أردد بأنني أطرح عليك انطباعات استشرفتها من ثلة متابعين في الوسط الصحافي. دكتور ثمة كتاب متميزون يكتبون باحتراف في قضايا الوطن بعيداً عن الترّهات واللواعج النفسية وأنت تلقي بهم في الصفحات الداخلية.***

* أما الذين يكتبون بتميز عن قضايا الوطن ولا تبرز مقالاتهم.. فليتك تدلنا عليهم.. وعلى أي حال فإن الكاتب المتميز والمقال القوي لا يحتاج لمن يبرزه.. إنه يدل على نفسه.. ولا يحتاج إلى من يضعه في الصفحة الأولى، فالكاتب

الجيد يلاحق حتى لو كتب في صفحة الإعلانات.. هل تدرك هذا يا عبدالعزيز؟!

✍ ***والله أدرك، ولكني صحافي مسكين حاول أن يوصل رسالة لم يستطع كثيرون من كتبتك الجهر بها أمامك ويتهامسون بها في مجالسهم. وعموماً سأنهي مكاشفاتي المطولة والشائقة معك بكلمة أخيرة في ختامها مؤملاً دكتور أنك لم تندم على هذه المكاشفات.***

* الكلمة الأخيرة لك يا عبدالعزيز. لقد أجهدت نفسك بتبني آراء وانطباعات الآخرين.. وحاولت أن تبدو (مشاكساً) وليس من طبيعة المهني الذي يحاول أن ينتزع الإجابات من ضيوفه أن (يفتعل).. أنصحك بأن تعزل نفسك عما تسمع، وأن تبحث عن الحقيقة وتطرحها كما هي.. وليس كما تريد.. حتى يقال بأنك محاور ناجح.. إن تخلصك من هذه العقدة سيجعلك صحفياً لافتاً.. ومقنعاً وليس مثيراً فقط.